



رسم يمثل اقتراب السيارات الثلاثة ، المريخ والمشتري وزحل من الارض  
( راجع الصفحة الاولى من باب الاخبار العلمية في هذا الجزء )



# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والتسعين

١٥ جادى الثانية سنة ١٣٥٨

١ اغسطس سنة ١٩٣٩

## السِر في حرارة النجوم

قد تكون الاجابة عن اسهل الاسئلة في بعض الاحيان من اشق الامور . فعلماء الفلك والطبيعة الفلكية في العصر الحديث يعرفون حقائق كثيرة عن طبائع النجوم : أبعادها وأفلاكها ومقدارها واشراقها ، ويعرفون في غير نجم واحد اقطارها الصحيحة . ولكنهم قضوا زمناً قبل ان يتمكنوا من الاجابة ، ولو بعض اجابة عن السؤال التالي : ما سبب اشراقها ؟

والاجابة عن هذا السؤال تبدو سهلة عند ما تقول ان سبب اشراق النجوم هو حرارتها . والواقع ان النجوم اجسام مرتفعة الحرارة حتى في طبقاتها الخارجية . ذلك انه اذا لم تكن حرارة الطبقات الخارجية في النجوم أعلى من اشد حرارة تستطيع توليدها في فرن صناعي كان من المتعذر عليها ان تشرق اشراقاً نستطيع تمييزه على هذه المسافات الشاسعة التي تفصلها عنا . والعلماء يستطيعون قياس حرارة النجوم كما يقيسون حرارة فرن صناعي من حيث المبدأ أي بقوة الضوء المنبعث ولونه . وعلى ذلك وجدوا ان نجماً احمر ( وهو نجم بارد بالقياس الى النجوم الاخرى ) تفاوت حرارة سطحه من التي درجة مئوية الى ثلاثة آلاف درجة مئوية . اما حرارة سطح الشمس فتبلغ ٥٧٠٠ درجة مئوية ثم تزداد الحرارة في النجوم البيض الى ١٠ آلاف درجة مئوية وتوقها الى عشرين الف درجة مئوية في نجوم منطقة الجبار وقد تبلغ ٥٠ الف درجة مئوية في احمى النجوم



وفي استطاعتهم كذلك ان يحسبوا حساباً لما يجب ان يكون عليه اشراق نجم ما اذا عرفوا حجمه وحرارته وبعده. ولكن ذلك لا يجديهم كثيراً في الاجابة عن السؤال المتقدم: ما سبب اشراقه او اشراق النجوم جميعاً

وقد يحاول بعضهم ان يقول ان سطح النجوم حارٌّ لأن باطنها اشد حرارة من السطح فيردُّ عليهم السائل: ولكن كيف تستطيعون النفوذ الى باطن النجوم لتعرفوا انه شديد الحرارة؟ والرد على هذا السؤال ان داخل النجوم يجب ان يكون شديد الحرارة، اذا كانت مادة النجوم من نوع المواد التي تتناولها في معامل علم الطبيعة. ان النواميس الطبيعية تقتضي ذلك. واما الادلة على ان مادة النجوم من نوع هذه المواد فتوافرة

تعرف كتلة الشمس من مقدار جذبها للسيارات ثم تحسب كثافتها فاذا هي على المعدل ١/٤ كثافة الماء. ثم إن جذبها لطبقاتها الخارجية، يحدث ضغطاً عظيماً على باطنها. واذا فرضنا أن كثافة الارض موزعة توزيعاً متساوياً في جميع جهاتها فالضغط على مركزها يبلغ ٨ مليون طن على البوصة المربعة. ومن المسائل العادية في علم الطبيعة استخراج حرارة كتلة غازية، اذا ضغطت حتى بلغت كثافتها كثافة الارض بضغط من رتبة الضغط على مركز كرة الارض، وإنما يشترط في ذلك ان تكون قواعد تصرف الغازات في معمل البحث مطبقة عليها عند تعرضها لمثل هذا الضغط العظيم. واذا كان الغاز ذرات ايديروجين فالحرارة تبلغ ١١٥ مليون درجة مئوية ولكن من المرجح الذي في حكم اليقين أن الضغط ليس موزعاً بالتساوي وانه في الباطن أعظم كثيراً منه على السطح ومتفاوت تدريجاً بين المركز والسطح. ولمعرفة درجات الضغط وتفاوتها بين المركز والسطح يجب ان يصنع مثالٌ لتبين ذلك. ولكن زيادة الضغط في المركز يعني تجمع معظم الكتلة فيه وحواليه، وهذا يزيد جذب الكتلة المركزية للطبقات الخارجية فيزيد الضغط في المركز. ولكن الحسابات المستخرجة من أمثلة مختلفة صنعها العلماء لدراسة هذه الظاهرة تدل على أن الزيادة في الضغط والحرارة متكافئتان على العموم. ففي المثال الذي صنعه ادنغتون جعل الكثافة المركزية ٥٤ ضعف المعدل فزاد الضغط ٩٢ ضعفاً أي بنسبة ١ الى ٢ تقريباً فكانت زيادة الحرارة — الناشئة عن زيادة الضغط — ١٧٠. ثم هناك عالم آخر يدعى ساندرا سيخار صنع مثلاً جعل فيه الكثافة المركزية ٨٨ ضعف المعدل فزاد الضغط ١٧١ ضعفاً أي بنسبة واحد الى ٢ تقريباً وزادت الحرارة ٩٥ ر ١

واذا اخذنا بهذين المثالين ظهر لنا أن حرارة مركز الشمس تبلغ ٦٠٠.٠٠٠ ر ١٩ درجة مئوية للمثال الاول و ٤٠٠.٠٠٠ ر ٢٢ درجة للتاني فافرضين أن غاز الشمس هو ذرات الايديروجين وهناك ما يحمل العلماء على الظن ان هذين المثالين يمثلان بناء النجوم الداخلي بوجه عام



ولكن الحرارة يجب أن تتناسب مع الوزن الذري للعادة . فإذا كانت مادة الكتلة من الحديد وجب أن تكون الحرارة ٥٦ ضعف الحرارة المقدرة لكتلة من غاز الايدروجين، أي تبلغ ألف مليون درجة . واذن فبحثنا عن طريقة لتعيين حرارة باطن الشمس يتوقف على المادة التي نظن أن كتلة الشمس مؤلفة منها أكثر مما يتوقف على نموذج ضغطها الداخلي

هذا الرأي كان قبل خمس عشرة سنة . يثبت القلق في اذهان العلماء فلا يجروؤن على المضي فيه إلى نهايته المنطقية . لأن الرأي كان أن الذرات تحشك معاً بفعل الضغط حتى يغدو من المستحيل أن يكون للضغط مهما يعظم ، تأثير في زيادة حشكها وتصغير حجم مجموعها . ولو كانت الذرات اجساماً دقيقة صلبة الكيان لكان لهذا الرأي وجه من الصحة . ولكن عند ما تقدم العلماء في دراسة الذرات تبينوا أن كهرباتها تفصل عنها بفعل الحرارة العالية فلا يبقى من الذرات إلا النوى وهي صغيرة الحجم بحيث يمكن حشك كمية عظيمة منها في مدى يسير . أي أن المادة مهما تكن تصرف في باطن النجم كأنها غاز

ولا يخفى أن درجة حرارة الغاز التي تمكنه من تحمل ضغط عالٍ معين ، تتوقف على عدد الجسيمات المتحركة التي فيه — لأنه من المفروض أن لكل منها شيئاً من طاقة الحركة . فإذا كانت الذرات جميعاً ذرات عنصر الحديد — ووزنها الذري ٥٦ ضعف وزن ذرة الايدروجين — فالحرارة يجب أن تكون ٥٦ ضعف حرارة كتلة من الايدروجين . وهذا يخيب ظننا بالحسابات المستخرجة من مثالي أدغتون وشاندراسيخار . ولكن لذرة الحديد ٢٦ كيرياً خارج النواة فإذا انفصلت جميعاً عن النواة بفعل الحرارة كان عندنا ٢٧ جسيماً ( أي ٢٦ كيرياً والنواة ) تنوزع فيما بينها طاقة الذرة . أي أن الحرارة تكون اضعف بعد انفصال الكيريات عن النواة بنسبة ٥٦ إلى ٢٧ أي ٢٠٨ ومن عجيب الاتفاق — أو من عجيب النظام الكوني — أنه مهما تكن المادة التي تتكون منها الكتلة فالنتيجة واحدة تقريباً . وزن الصوديوم الذري ٢٣ ولكن لذرتيه ١١ كيرياً فالنتيجة نسبة ٢٣ إلى ١٢ ( ١١ كيرياً والنواة ) أي ١٩٢ والاكسجين وزنه الذري ١٦ وله ثمانية كيريات فالنتيجة نسبة ١٦ إلى ٩ ( ثمانية كيريات ونواة ) أي ٧٨ ر

وإذن فتقدير درجة الحرارة في باطن الشمس لا يتوقف كثيراً على تركيبها الكيميائي ، ما عدا حالتين . أما الحالة الأولى فعندما تكون الشمس — فرضاً — مؤلفة من غاز الهليوم وعندئذ تكون النسبة ١٣٣ وهي أقل كثيراً من النسبة الناشئة من مثالي أدغتون وشاندراسيخار ومن النسب التي تنطبق على سائر العناصر وهي قريبة كما تقدم من نسبي أدغتون وصاحبه . وذلك لأن ذرة الهليوم وزنها ٤ ولها كيريات خارجيان فالنسبة تكون ٤ إلى ٣ أي ١٣٣ . وأما الحالة



الثانية فعندما تكون الشمس مؤلفة من غاز الايدروجين لان النسبة المستخرجة على النمط المتقدم تكون ٥٠ لان ذرة الايدروجين قوامها نواة ( بروتون ) وكهرب ووزنها واحد فالنسبة ١ الى ٢ اي ٥٠.

فاذا أخذنا بمثال أدنغن وفرضنا ان الشمس إيدروجين فقط ، استخرجنا حرارتها المركزية مما نعرفه من كتلتها وحجمها فاذا هي نحو ١٠ ملايين درجة مئوية . واذا كانت هليوماً كانت حرارتها المركزية ٢٦ مليون درجة مئوية واذا كانت مؤلفة من ذرات العناصر الأخرى عدا هذين العنصرين كانت حرارتها المركزية ٤٠ مليون درجة . واذا أخذنا بمثال شاندراسيخار وجب اضافة ١٥ في المائة الى جميع هذه الارقام

واذا قابلنا بين نجم وآخر ، مصنوعين على نفس المثال ، ومن نفس المادة ، ظهر لنا ان حرارتهما المركزية او حرارتهما في اية نقطتين متقابلتين يختلف باختلاف الكتلة مقسومة على نصف القطر . فكتلة الشعري مثلاً ٢٤ ( بالقياس الى كتلة الشمس ) ونصف القطر ١٨ ( بالقياس الى نصف قطر الشمس ) واذن فحرارتها المركزية يجب ان تزيد على حرارة الشمس المركزية ٣٠ في المائة . وأكبر النجوم المعروفة بنجم يعرف باسم ( الكلب الاكبر ) وهو نجم مزدوج اي نجمان يكسفا احدهما الآخر . ان كتلة كبيرها تفوق كتلة الشمس ٤٦ ضعفاً ونصف قطره يفوق نصف قطرها ٢٠ ضعفاً . واذن فحرارته المركزية يجب ان تكون اكثر قليلاً من ضعف حرارة الشمس المركزية . وفي الناحية المقابلة هناك النجم المعروف باسم الذراع المبسوطة وهو مزدوج كذلك كتلة أحدهما ٦٣ في المائة من كتلة الشمس وقطره ٥٧ في المائة من قطرها ، فحرارته ٩٥ في المائة من حرارتها . وكتلة الآخر — وهما متساويان تقريباً — ٦٦ في المائة من كتلتها وقطره ٦٠ في المائة من قطرها فحرارته نحو ٩٥ في المائة من حرارتها

ونجم الذراع المبسوطة يمثل طائفة من النجوم حرارتها المركزية قريبة جداً من حرارة الشمس المركزية . ولكن نجم العيوق وله كتلة تبلغ ٤٢ كتلة الشمس وقطره ١٦ ضعف قطرها ، فحرارته الداخلية — اذا تساوت العناصر الأخرى في القضية — يجب ان تكون ربع حرارة الشمس . أما النجم الجبار الاحمر المعروف باسم زيتا اوريجيا (ممسك الاعنة) او نجم العنز فكتلته ١٥ ضعف كتلة الشمس وقطره ٢٠٠ ضعف قطرها فحرارته المركزية ٧ في المائة من حرارتها ولكي يكون البحث عن حرارة باطن النجوم ، اقرب الى الصواب ، يتعين على الفلكي الطبيعي أن يتوسل بما يمكنه من معرفة مقدار الايدروجين والهليوم في باطن النجوم ، لأن حرارة باطن النجوم تزيد أو تنقص بالقياس الى قلة مقدارها أو زيادته

وهذه مسألة تبدو معقدة صعبة ولكن العلم لا يدم وسيلة الى معالجتها ، والفلكي في بحثه هذا



اشبه ما يكون بالشرطي السري ، عليه ان يستخرج النتائج بأعمال الفكر واستعمال قواعد المنطق الدقيق ، من بضع حقائق ومشاهدات تجمعت لديه . ومن هذه الحقائق ، أن الحرارة التي تنساب من باطن النجم الى سطحه ، تعادل بوجه عام الحرارة التي تطلق من سطحه في الفضاء وبدراسة الغازات وطبائنها في المعمل ، والذرات وجسيماتها وما لها من شأن في نقل الحرارة ، تبين ادنفتون أولاً ان معدل انسياب الحرارة من باطن النجم الى سطحه يتوقف في الاكثر على كتلة النجم — فمعدل انسياب الحرارة يزداد بازدياد مقدار الكتلة — ولما يتوقف على قطر النجم او بنائه الداخلي من حيث توزيع الكثافة فيه . ويعتبر استخراج هذه الصلة بين الاشراق والكتلة من أهم القواعد في نظرية بناء النجوم الحديثة

ولكن النظرية نفسها تقتضي ان اشراق النجم يتأثر كثيراً بالمواد التي يتألف منها باطن النجم فاذا كان الباطن كله من عناصر ثقيلة ( اي من عناصر عدا الايدروجين والهليوم ) كانت حرارة الباطن عالية جداً وكان معدل ما ينساب منها الى سطح النجم كبيراً وعلى ذلك فيكون اشراق النجم عظيماً . فاذا كان هناك ايدروجين كانت حرارة الباطن أقل ، ومن ثمة تقل الحرارة بزيادة مقدار الايدروجين ، وكذلك يقل اشراق النجم بازدياد مقدار الايدروجين في بنائه الداخلي فاذا بنى الفلكي الطبيعي حساباته على هاتين القاعدتين وعلى ما يعرفه من طبائع الغازات وطبقتها على مثال نجم كالمثال الذي صنعهُ ادنفتون للشمس ، استطاع ان يعرف مقدار الايدروجين الذي في باطنها . فاذا جعلت الشمس على هذا المثال بغير ايدروجين اطلاقاً كان اشراقها اعظم كثيراً من الحقيقة ، واذا جعل مقدار الايدروجين فيها كبيراً كان اشراقها أقل من الحقيقة . ونتيجة البحث على هذا الاساس في ما يتعلق بالشمس ان ٣٦ في المائة من باطنها وزناً ، ايدروجين ، والباقي عناصر ثقيلة وعلى ذلك تكون حرارة باطنها ٢٠ مليون درجة مئوية

\*\*\*

ولا عبرة على ما يقول ادنفتون بما تكون العناصر التي يتألف منها ال ٦٤ في المائة الباقية من كتلة الشمس . فقد اختلف هو والباحث ستومغرن Stongren في تقديرها لمزيج العناصر الاخرى ولكنهما وصلا الى نفس النتيجة تقريباً في ما يخص مقدار الايدروجين . والنجوم متقاربة على العموم في ما يخص نسبة الايدروجين في بنائها . فالنسبة في النجم المشرق المعروف بالشعري تبلغ ٣٦ في المائة وفي العيوق ٢٩ في المائة اذا لم يكن هناك هليوم . ولكن هناك بضعة نجوم تشد عن هذه القاعدة ، منها « زيتا هرقل » فاشراقها يفوق اشراق الشمس اربعة اضعاف مع انها تماثلها في كتلتها وحرارة سطحها . ولذلك فنسبة الايدروجين المقدرة لها ١١ في المائة ، لانه اذا قل الايدروجين — كما تقدم — زادت الحرارة



هذه بعض الحقائق التي اسفر عنها البحث الحديث في دراسة النجوم . ولكنها لا تفسر بوجه من الوجوه سر استمرار اشراق النجوم

كان الظن في اواخر القرن التاسع عشر ان العلم اماط اللثام عن هذا السر . فالعلماء هملمتز وكلثن من قبله ، يئسنا انه اذا تقلصت الشمس — او اي نجم آخر — تقلصاً بطيئاً ، تحوالت طاقتها الجاذبة رويداً رويداً الى حرارة ، فيستنفد نصف هذه الحرارة او اكثر قليلاً لرفع حرارة الباطن ويكون الباقي معدداً للاطلاق في الفضاء في شكل اشعاع ضوء وحرارة . وفرض ان الشمس تلامس بين مقدار تقلصها اللازم لتوليد الحرارة الكافية لحاجتها في الداخل والاشعاع الخارجي . فبقى على ذلك مشعة مدى طويلاً . وعند ما طبقت هذه النظرية على الشمس فسُرت اشعاعها بالمعدل الحالي مدى ١٥ مليون سنة قبل ان تبلغ حجمها الحالي . وخمسة عشر مليوناً من السنين كانت في اواخر القرن الماضي زمناً طويلاً جداً . ولكن الاستناد الى الادلة المستخرجة من وجود العناصر المشعة ومركباتها في الصخور ، يئس ان الزمن الجيولوجي يستغرق ١٥٠٠ مليون سنة على الأقل ، وهو زمن كانت الشمس في خلاله ترسل اشعتها وحرارتها في الفضاء فتأخذ الارض نصيبها منه فكيف استطاعت الشمس خلال هذا الزمن الطويل ان تبقى مشعة ، ومن أي مصدر كانت — وما زالت — تستمد هذه الطاقة العظيمة التي تسكبها في الفضاء ؟

اقترحت آراء مختلفة لتفسير هذا اللغز ؟ ولكنها عند الامتحان وجدت ناقصة . ففيلاولا ان مادة الشمس تحتوي على عناصر مشعة . ولكن قام الاعتراض على هذا القول من ناحية ان العناصر المشعة تمضي في اشعاعها على وتيرة واحدة ومعدل واحد غير متأثرة بحرارة او ضغط او غيرها . والنجوم تختلف اشعاعاً واشراقاً ، فالقول بان مصدر طاقة الاشعاع هو المواد المشعة التي في النجوم ، يقتضي منا القول بان مقادير هذه المواد وزعت قصداً في النجوم توزيعاً مختلفاً جعل النجوم متفاوتة في الاشراق والاشعاع . والا فاذ كان التوزيع بغير قصد ، فقد يصيب نجم معين قدراً من الاشعاع يزيد على حاجته فيضطر ان يمكس آية هملمتز وكلثن ، فيتمدد بدل ان يتقلص — لان مقدار الاشعاع لا يتغير — والذي يصيب اقل من حاجته يتقلص ، وقد يمضي الاول في تمدده حتى يصبح سديماً والثاني في تقلصه حتى يغور ، فلا يبقى في الفضاء الا النجوم المتوازنة التي اتفق لها ان كان نصيبها من المواد المشعة على قدر حاجتها اليها . وهذا نظام يصعب الأخذ به

\*\*\*

عند ذلك تطلع علماء الفلك الطبيعي الى علم الطبيعة الحديث لعلمهم يجدون في نظرياته الجديدة ما يسعفهم على حل المشكلة

وما لبثوا حتى وجدوا معاونهم الاول في نظرية النسبية العامة . فبحسب هذه النظرية الكتلة



والطاقة يتحولان ، احدهما الى الآخر . وكان الرأي السابق المشهور المأخوذ به ان المادة تتحول الى مادة ولكنها لا تتلاشى . وان الطاقة تتحول الى طاقة ولكنها لا تتلاشى . فجاء اينشتاين وقال ان المادة تتحول الى طاقة والطاقة تتحول الى مادة

فاذا أخذ بهذه النظرية ، فكتلة الجسم تزداد — من الناحية النظرية — برفع حرارته اي باضافة طاقة اليه . والسبب الذي يحول دون قياس زيادة الكتلة بزيادة الحرارة ان الزيادة يسيرة جداً في الاحوال العادية . خذ طناً من الحديد المصهور واركه حتى يبرد الى درجة الحرارة العادية فانه يطلق في خلال ذلك ١٥٠ كيلو واط ساعة من الطاقة ولكن كتلته لا تنقص — يفقد هذه الطاقة — الا جزءاً من ١٦٠ جزءاً من المليغرام

ولكن عندما تطبق هذه القاعدة على الاجرام السماوية نجد ان الشمس تطلق في الثانية  $3.78 \times 10^{33}$  من وحدات الطاقة المعروفة باسم « ارج  $erg$  » وهذا المقدار من الطاقة يعدل  $200,000$  طن أي ان الشمس تطلق من ذات نفسها اكثر من أربعة ملايين طن في شكل اشعاع في الثانية ، او ١٣٠٠ مليون مليون طن في السنة . وهذا أمرٌ يبدو لأول وهلة — اذا صح — باعثاً على القلق . لانه اذا مضت الشمس على هذا فما يكون مدى عمرها ؟ والرد ١٥ الف مليون سنة وإذن يقتضي منا بحثنا عن مصدر طاقة النجوم ، ان نبحث عن الاسلوب الذي يتحوّل بمقتضاه بعض كتلة ذراتها الى طاقة

أدركت هذه الحقيقة من عشر سنوات او اكثر قليلاً ، فذهب العلماء — قبل ان تتوافر لديهم الحقائق الناشئة عن التجريب — مذهبين . احدهما يقول ان الذرات تتلاشى ، لتحول كتلتها الى طاقة وهذه الطاقة تشع الى الخارج . والثاني ان ذرات عنصر ما تتحول الى ذرات عنصر آخر ، وان كتلة الذرات تنقص في خلال فعل التحول ، أي ان قدراً من الكتلة يتحول طاقة تشع . ولكنهم أهملوا المذهب الاول الآن إذ لم يقدّم دليل تجريبي عليه

أما المذهب الثاني ، فقد ارتقى من مقام فرض في علم الطبيعة الى مقام حقيقة مجرّبة . وما على قارئ المقتطف الا الرجوع الى ما كتبناه في خلال السنوات الاخيرة عن تحويل العناصر ، واطلاق بعض طاقتها في أثناء التحول ، لتحقيق صدق هذا القول <sup>(١)</sup> . وهذه التجارب التي يوالها العلماء في شتى المعامل الطبيعية بمختلف البلدان تقيم الدليل على ان تحول المادة الى طاقة حقيقة انبثت التجارب

والرأي الحديث ان مصدر حرارة الشمس هو في المقام الاول فعل تولد الهليوم من الايدروجين

(١) راجع محاضرتنا « الاشعاع قديماً وحديثاً » مقتطف فبراير ١٩٣٨ في آخر المقال وصف للجهاز الرحوي الذي استنبطه لورنس الاميركي وكيف يستعمل الآن لصنع عناصر مشعة من عناصر غير مشعة الخ



في قلب الشمس. ثم تولد العناصر الأخرى بفعل الضغط والحرارة العظيمين. ولكن تحول الأيدروجين إلى هليوم هو الأصل. ذلك بأن كتلة أربع ذرات من الأيدروجين تبلغ  $4 \times 10^{-25}$  ربيعي فهي تفوق كتلة ذرة من الهليوم بمقدار  $0.2866$  ربيعي أي أنه عندما تندمج أربع ذرات من الأيدروجين لتوليد ذرة من الهليوم يتحول مقدار  $0.2866$  ربيعي من الكتلة إلى طاقة. وهذا المقدار هو جزء من  $141$  جزءاً من كتلة ذرة الهليوم. وهو مقدار يبدو صغيراً. ولكن إذا كانت الشمس أيدروجيناً أصلاً وتحول الأيدروجين إلى هليوم، فالطاقة المتولدة من هذا التحول كافية لبقاء الشمس مشعة إشعاعها الحالي  $10^6$  بلايين من السنين وهذا مصدر وافٍ لطاقة إشعاع النجوم أما التحولات الأخرى — أي تحول العناصر بعضها إلى بعض — فتسفر عن تولد قدر أقل من الطاقة. فإذا تحولت أربع ذرات من الهليوم إلى أكسجين (إذا كان ذلك مستطاعاً) كان مقدار المادة أو الكتلة المتحول طاقة جزءاً من  $10.40$  جزءاً، حالة أنه في تحول الأيدروجين إلى هليوم جزءاً من  $141$  جزءاً

وقد أفرغ الدكتور يث Hans Albrecht Bethe استاذ الطبيعة في جامعة كورنيل هذه الحقائق في قالب نظرية رياضية طبيعية يعدها الدكتور رسل رئيس قسم الفلك في جامعة برنسن وأحد أعلام البحث الفلكي الطبيعي<sup>(١)</sup> «أهم تقدم في علم الفلك الطبيعي في السنوات الخمس عشرة الأخيرة». والدكتور يث لم يكن بدراسة تحول الأيدروجين إلى هليوم بل تتبع تولد العناصر الأخرى ومقدار ما يتولد من الطاقة في أثناء تولدها

بنقص مقدار الأيدروجين يزداد النجم تألقاً ويزداد حجمه قليلاً ثم بعد زمن طويل (يقدره يث بألفي عشر بليوناً من السنين للشمس) يفقد الأيدروجين فيبدأ النجم في التقلص فيصبح كثيفاً ويقل إشراقه. والنجوم الصغيرة الحجم الكثيفة المادة الضعيفة الإشراق معروفة لعلماء الفلك الحديث وهم يطلقون عليها اسم «الاقزام البيض» وهي تنصف عادة بصغر الحجم وارتفاع حرارة السطح وقلة الضياء وأول نجم كشف من هذا القبيل هو النجم المعروف باسم رفيق الشعرى. فكثافة مادته تزيد مائتي ألف ضعف على كثافة الماء. وهناك نجم آخر من هذا القبيل يزيد كثافة مادته على كثافة الماء سبعة ملايين ضعف ولا تزال الاقزام البيض تسع إشعاعاً ضعيفاً وبه نراها ولولاه لما رؤيت فهي في المراحل الأخيرة من حياتها الإشعاعية قبل أن تتحول أجساماً مظلمة والشمس على ما يظهر فيها  $36$  في المائة أيدروجين فهي — بحسب هذه النظرية — سائرة في هذا السبيل

(١) راجع السيتيفك اميركان أعداد مايو ويونيو ويوليو ١٩٣٩



# الدثار الكهربائي

المحيط بحجر الأرض

يجعل المواصلات اللاسلكية مستطاعة  
وبعض شذوذها مفهوماً

لما فاز ماركوني في سنة ١٩٠١ بارسال الإشارة اللاسلكية الاولى من اوربا الى اميركا ، قام بعمل عُدَّة عجيبية في ذلك العصر ، لانه كان مناقضاً لما يعرف من نوااميس الطبيعة . ذلك بأن الرأي العلمي في مستهل هذا القرن كان مجمعاً على ان الامواج اللاسلكية تطلق من المحطة التي تذيعها ، فلا تجاري في سيرها تحذب الأرض ، لانها تسير في خطوط مستقيمة كامواج الضوء فتخترق الهواء وتغور في الفضاء . ومن مفاخر ماركوني العالمية ان تنبسط العلماء طمته من هذه الناحية لم يثن عزمه فجرب تجربته الحاسمة في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ فتحقق حدسه وخاب رأي العلماء ، ولكن تجربته دلت على ان هناك في طبقات الجو العالية حالة كهربائية من شأنها ان تعكس الامواج اللاسلكية وتردها الى الارض . واستخرج هيشيسند وكنلي واقراهما اوصاف هذه الحالة استخراجاً نظرياً ، ولكن الدليل التجريبي على وجود طبقة او طبقات في اعالي الجو تفعل فعل المرآة بالامواج اللاسلكية ، لم يبق إلا في سنة ١٩٢٥ وقد اقامه جينز بريست Breit وتوف Tve بمعهد كارنيجي بواشنطن والاسناذ اپلتن Appleton في بلاد الانكليز وذلك بفوزهم بعكس امواج لاسلكية عكساً مباشراً من طبقات الجو العليا

وقد تقدم البحث في المنطقة المكهربة من جو الأرض تقدماً عظيماً منذ اجري هؤلاء الباحثون الثلاثة تجاربهم المتقدمة الذكر . ويطلق على هذه المنطقة اسم «ايونوسفير» Ionosphere أي «الغلاف الكروي المؤين» . ونحن نعلم الآن ان الشمس هي العامل الفعال في إحداث هذه المنطقة بتأين Ionization دقائق الهواء وجزئياته . وليست هذه المنطقة طبقة مؤينة واحدة بل طبقات متعددة منها طبقة E وهي اوطأها اي اقربها الى سطح الارض وهي تعكس الامواج اللاسلكية الطويلة او المتوسطة وارتفاعها ستون ميلاً . ثم هناك طبقة  $F_1$  وارتفاعها ١٢٠ ميلاً وهي تعكس امواجاً لاسلكية اقصر من الامواج الاولى . وطبقة  $F_2$  وارتفاعها ١٨٠ ميلاً وهي تعكس امواجاً اقصر من طائفتي الامواج المتقدم ذكرها



ان قدرة هذه الطبقات على عكس الامواج اللاسلكية رهنٌ بعدد الدقائق المكهربة التي في الجو، وهي إما كهربات، وإما جزئيات تحولت مكهربة بانفصال اجزاء منها فتعرف بالأيونات Ions أو الشوارد. فاذا كان عدد الكهرباء في البوصة المكعبة من الطبقة مليوناً استطاعت تلك الطبقة أن تعكس موجة لاسلكية طولها ١٣٠ متراً اذا أصابت الموجة الطبقة إصابة عمودية. أما الامواج التي اقصر من ذلك فتخترق الطبقة فتعكسها طبقة اخرى فوقها أو تطلق في الفضاء ولكن قلما تصيب الامواج اللاسلكية الطبقات المكهربة إصابة عمودية في اثناء تبادل الاشارات بين المحطات اللاسلكية. والغالب ان تصيبها منحرفة وفي هذه الحالة تستطيع الطبقة أن تعكس موجة طولها ثلاثة أضعاف طول الموجة التي تعكس اذا أصابتها عمودياً أي ان الطبقة التي تعكس موجة طولها ١٣٠ متراً اذا أصابتها عمودياً، تستطيع أن تعكس موجة طولها ٣٩٠ متراً اذا أصابتها منحرفة. وهذا يوافق ما يعرف عن انعكاس امواج الضوء عن سطوح المرايا ولما كان كتلة الأيونات أكبر من كتلة الكهرباء، فتحريكها اعسر من تحريك الكهرباء ولذلك يجب ان يكون عدد الايونات في بوصة مكعبة من الهواء ٣٠ ألف ايون لكي تكون لها خواص بوصة مكعبة تحتوي على مليون كهرب

هذه الحقائق لا تنطبق الا على طبقات «الايونوسفير» العليا حيث لا يكثر اصطدام الكهرباء او الايونات بجزيئات غير مكهربة من غازات الهواء. أما في طبقات الايونوسفير السفلى حيث تكثر جزيئات غازات الهواء فالاصطدام بين الكهرباء والجزيئات يفقدها بعض طاقتها فتعجز عن ردّ الامواج الى سطح الأرض. والغالب أن عدد الكهرباء في هذه الطبقات السفلى من الايونوسفير قليل فتأثيرها في المواصلات اللاسلكية التجارية البعيدة المدى يسير جداً. ولذلك تخترق امواج هذه الاشارات اللاسلكية الطبقات السفلى من الايونوسفير ولا تعكس الا بواسطة الطبقات العليا. ثم أن الطبقات السفلى تمص في النهار الامواج المعينة للأذاعة وهذا يفسّر تعذر السماع لأذاعة صادرة من محطة بعيدة في اثناء النهار

\*\*\*

ماذا يكرب أعالي الجو؟ قلنا ان الشمس هي العامل الاقوى في كهربتها، والمقام الاول بين أشعة الشمس المختلفة في تأيين طبقات الهواء العالية هو للأشعة التي فوق البنفسجي. بل ان بعض الباحثين يعتقد أنها المصدر الوحيد لهذا التأيين. وقد وضع سكلت Skellet جدولاً لمصادر التأيين في طبقات الجو العليا فاذا المكان الاول فيه للأشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس وتليه من بعد الشهب والأشعة فوق البنفسجي والأشعة الكونية والأشعة التي فوق البنفسجي في ضوء البدر. فاذا أخذنا بهذا الجدول ظهر لنا ان طاقة الاشعة التي فوق البنفسجي



وفعلها في تأيين طبقات الهواء العليا يفوقان عشرة اضعاف طاقة المصادر الاخرى مجتمعة وفعلها .  
وليس ذلك لان الاشعة التي فوق البنفسجي أقوى فعلاً وأنفذ من الاشعة الكونية مثلاً ولكن  
لان ما تلتقطه الارض منها اكثر كثيراً مما تلتقطه من الاشعة الكونية

\*\*\*

وقد كشف الباحث الاميركي ديلنجر Dellinger من عهد قريب كشفاً يحيط اللثام عن بعض  
أحوال الغلاف المؤيّن . ذلك ان أمواج الراديو القصيرة تتلاشى فجأة أحياناً في النصف المضاء من سطح  
الكرة الارضية . وقد يستمر هذا التلاشي من بضع دقائق الى اكثر من ساعة . وفي هذه  
الحالة يُعذر الاتصال اللاسلكي على السفن في البحر او الطائرات في الهواء او محطات الهواء  
اذا كان هذا الاتصال بعيد المدى . وقد حدثت حوادث كثيرة من هذا القبيل . ولوحظ ان هذا  
التلاشي في الناحية المضاءة من سطح الارض مقترن بأعاصير في الشمس تؤثر في مغنطيسيتها والتيارات  
الكهربائية التي تسري في قشرتها

وقد درست هذه الظاهرات دراسة دقيقة باشراف معهد كرنيجي وبواسطة مرصديه في  
هوانكايو في بيرو، وواترلو في غرب استراليا وبواسطة هيئات اخرى . وكانت الطريقة المتبعة  
في هذه الدراسة اطلاق أمواج لاسلكية قصيرة صوب الغلاف الايوني عشر مرات في الثانية ثم  
تدوّن أوقات ارتدادها الى الارض بعد أن تعكسها احدى طبقات الغلاف المؤيّن . ثم يعمل حساب  
ارتفاع الطبقة التي ردتّها بالاستناد الى الوقت الذي استغرقته حتى عودتها . وهي طريقة تستند  
الى المبدأ المعتمد عند ما تريد ان تقيس بُعد صخر باطلاق صوت صوبه ثم قياس المدة المنقضية  
بين اطلاق الصوت وسمع الصدى . وفي المستطاع ايضاً تقدير عدد الكهبريات في الطبقة العاكسة  
استناداً الى انه كلما قصرت الأمواج زاد عدد الكهبريات في البوصة المكعبة الذي يلزم لعكسها  
وعلى ذلك ظهر انه عندما تقع ظاهرة التلاشي ، يتعذر الفوز بعكس الامواج اللاسلكية  
من طبقات  $E, F_1, F_2$  ، فكأنك واقف أمام مرآة ترى فيها شبحك لانها تعكس أمواج الضوء ،  
ثم لا ترى شيئاً لان المرآة غدت وهي لا تعكس الامواج . فاما أنها انكسرت وهوت شظاياها  
وإما قام بينها وبينك حجاب صفيق . والتفسير الاول في ما يتعلق بانعكاس الامواج اللاسلكية  
غير معقول . لذلك فرض ان هناك حجاباً يقوم بين سطح الارض وبين هذه الطبقات المكهربة  
العاكسة فيحول دون عكس الأمواج اللاسلكية ، بل بالحري يحول دون وصول الأمواج اللاسلكية  
اليها . وهذا الحجاب قوامه كهبريات أو ايونات ، قائمة على مرتفع يسير اقرب اليها من طبقة  $E$   
ويجب ان ينظر الى هذه الطبقة نظرنا الى ملاءة تغطي الجانب المضاء من الكرة الارضية ولا  
تعلو عن سطحها اكثر من ٤٠ الى ٦٠ ميلاً



وقد تقدم معنا ان الاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس هي اقوى عامل في احداث الطبقات المكهربة في اعالي الجو فظهور هذه الملاءة التي تحدث تلاشي الامواج اللاسلكية ، على مرتفعات يسيرة فوق سطح الارض ، يقتضي ان تكون الاشعة التي فوق البنفسجي اقوى في هذه الحالة منها في الحالات العادية وهذا يرتد بها الى الاعاصير التي تتاب سطح الشمس فتقذف الغازات وأهمها الايدروجين في الفضاء المحيط بها . واذا اضيف الى ذلك فعل الكلف<sup>(١)</sup> ايضاً تيسرت قوة فعالة منطلقة من الشمس قادرة على زيادة فعل التأين في طبقات الهواء القريبة من سطح الارض فتتشأ الملاءة التي تغطيها احياناً فوق نصف المضاء فتحدث ظاهرة التلاشي ومن غريب ما يقال في هذه الطبقات المؤينة أنها ليست طبقات مستوية محدودة تحيط بغلاف الارض الغازي كأنها قشرة كرة ، ولكنها لتأثرها بالضوء والحرارة وغيرها من العوامل دائماً التحرك فتشق فيها الاودية وتبسط السهول وترفع الجبال ، وهذا يفسر بعض ما يصيب الاذاعات اللاسلكية من شذوذ في بعض الاحيان

ومن الطبيعي ان يخطر للباحث والمقارئ معاً ان يسألا هل وراء او فوق الطبقة  $F_2$  طبقات مؤينة أخرى ترد الامواج اللاسلكية القصيرة التي تنفذ من خلال الطبقة  $F_2$  ؟ والرد على ذلك ان مهندساً لاسلكياً زويجياً يدعى هالز Hals لاحظ سنة ١٩٢٧ انه سمع اشارة لاسلكية واحدة ثلاث مرات . فبعدما سمع الاشارة الاصلية لبث سبع ثانية فسمعها ثانية كأنها واردة من جهة مقابلة ثم بعد انقضاء ثلاث ثوان سمعها ثالثة . أما الصدى الاول ( المسموع بعد سبع ثانية ) فيمكن تعليله بأنه سمع بعد ما دارت الاشارة اللاسلكية حول الارض دورة تامة وهذه الدورة تستغرق سبع ثانية . ولكن من أين جاء الصدى الثالث . ان حجيته بعد ثلاث ثوان يقتضي ان يكون قطع ٥٤٨ الف ميل . ثم قيل ان آخرين سمعوا صدى لاشارة لاسلكية معينة بعد انقضاء خمس ثوان وان آخرين سمعوا صدى لاسلكياً بعد خمس عشرة ثانية . وأن فريقاً من علماء الفلك الفرنسيين سمعوا مثل هذا الصدى بعد انقضاء ثلاثين ثانية على سماع الاشارة الاصلية . وهذا يقتضي أن يكون هناك طبقات معينة ترد هذه الامواج اللاسلكية على ابعاد شاسعة فوق سطح الارض . ولذلك اتجه العلماء الى تفسيرها بطبائع الغلاف المؤين المتقلبة فقال فان دربول الهولندي واپلتن الانكليزي أن افضل تعليل لهذه الاصداء هو فرض انحصار بعض الامواج اللاسلكية بين طبقتين متغيرتين من الايونوسفير فتذبذب بينهما بضع ثوان ثم يحدث انقراج أو ثغرة في إحدى الطبقتين فتعود الامواج الى الارض . وهو تعليل لا بأس به ولكنه لا يزال موضع بحث وتجريب



# فلسفة سياسي

او سياسة فيلسوف

لعلي أدهم

العصر الحاضر من العصور التي اشتدت فيها العناية بدراسة السياسة والوقوف على مذاهبها المختلفة واتجاهاتها المتعارضة ، وقد كان هذا الاهتمام المتزايد نتيجة مرتقبة لذلك القلق العميق والاضطراب الداخلي المستولي على الروح الانسانية في هذا العصر ، وهناك الآن تجارب جديدة في الحكم واساليب مستحدثة تتحدى النظم القديمة التي ظلت زمناً فوق منازع الشك ، وقد رأيت من المناسب ان نقف في تلك الفترة على آراء زعيم خطير وسياسي منجذ مثل توماس ماساريك أول رؤساء الجمهورية التشيكوسلوفاكية التي عصفت بها الحوادث الاخيرة ، ويزيد في قيمة آرائه انها لم تستمد جميعها من حفير الكتب ولم يتكون اكثرها في أبهاء المطالعة وحجرات الدراسة ، وانما تمت وتكونت في ضوء الحوادث الجسيمة ، وهي ثمرة تجربة طويلة وخبرة عريضة ، وسيتبين القارىء من معارض احاديثه أنه لا ينتسب الى مدرسة ميكافلي المعروفة ، ولا يرى ذلك التفريق بين السياسة والاخلاق الفاضلة الذي يبلو العالم اليوم المر من ثمراته ، ويذهب بعض المفكرين السياسيين الى ان السياسة فرع من علم النفس لا تا اذا عرفنا الكثير من الحقائق عن الطبيعة الانسانية امكنتنا ان نستنبط النظم الملائمة لها ولكن ماساريك يرى ان الدراسة التاريخية لها المكانة الاولى لأن التاريخ عنده هو سجل الحقائق وهو زاخر بالحقائق النفسية لمن يعرف كيف يقرؤه ، واذا جهلنا التاريخ فامتنا لانستطيع ان نتبين الأثر العملي للدوافع والحركات النفسية والتبس علينا تقدير نتائجها ، والنظرية السياسية التي تكفي بالبحث عن الطبيعة الانسانية وتتخذها اساساً لا اختيار القوانين والنظم تمنى في أغلب الحالات بالفشل والاحقاق وعلم السياسة انما هو ضرب من فلسفة التاريخ ، وكبار فلاسفة العالم السياسيين كانوا يستمدون فلسفتهم السياسية من التاريخ مثل هوبز ولوك وروسو وكارل ماركس . فالسياسة عند ماساريك يلزم ان تدرس في ضوء التاريخ وان تقوم على اساس تنظيم نتائج تجارب الحكم عند الحكومات والدول المختلفة ، وقد بسط جانباً من هذه الفلسفة في المحاور الآتية وقد اخترتها من احاديثه مع صديقه الكاتب الكبير كارل كابك ، وقد استطاع كابك — قيل وفاته بقليل — ان يقدم



للعالم بهذه المحادثات خلاصة وافية لآراء زعيم بلاده في السياسة والاجتماع والفلسفة وان رسم لنا خلالها صورة دقيقة الملامح، قوية الأثر لذلك الزعيم النابه والمفكر الممتاز: —

كابك — هل تعتقد ان شريعة الحب تصلح في السياسة وفي الحياة الخاصة على السواء؟  
ماساريك — نعم هي بلا ريب صالحة للحياة على اختلاف ألوانها وللأعمال والأفعال جميعها، وكل سياسي أمين راجح التفكير يعمل على تقوية الانسانية في داخل بلاده وفي خارجها ويجاهد لبلوغها مرتبة الكمال، والسياسة كسائر الأعمال التي تصدر عن الانسان يلزم ان تكون خاضعة لتواميس الاخلاق، واني اعرف ان هناك فريقاً من السياسيين يحاولون انفسهم عمليين وجد حصفاً فلا يحفلون بهذا المطلب ولا يتوخون تلك الغاية ولكن التجربة — ولست اتحدث في هذا المقام عن تجربتي الشخصية وحدها — ترينا ان السياسيين الامناء ذوي الافكار الثابتة هم الأبلغ تأثيراً والاقدر على النهوض بالاعباء ومواجهة الحوادث وهم يؤدون لوطنهم وحكومتهم اعمالاً يشكّل عن القيام بامثالها الساسة الذي يسمون انفسهم بالعمليين البارعين ومرور الزمن كفيل باظهار غباثهم وقصر نظرهم

كابك — ولكن الساسة المتألمين قد يخطئهم التوفيق

ماساريك — في بعض الاوقات يصيدون وفي اوقات اخرى يخطئون، واذا كنت اتحدث عن الاخلاق في السياسة فاني واضع نصب عيني في اول الامر الاساليب السياسية والمناورات الحزبية والاعمال الادارية على وجه الاحمال، وممارسة السياسة نفسها يجب ان تكون عملاً أخلاقياً والبرنامج السياسي يجب ان يكون متمشياً مع قواعد الاخلاق. وفي مستطاع كل انسان ان يضع برنامجاً سياسياً محترماً ساهي المبادئ. ولكن معرفة الاعمال الادارية شيء والعمل على مزاولتها في رفق واعتدال شيء آخر، ومعرفة مصلحة الدولة ومنفعة الوطن في اوقات الازمات المتحرجة والمواقف الفاصلة تختلف عن ذلك كل الاختلاف. ولذا تتحدث الناس في مناسبة ذلك عن مسائل السياسة العليا ويفرقون بين رجل الدولة والسياسي الحزبي، والسياسة في هذا المعنى قائمة على ان يحسن السياسي ادراك الظرف المناسب الذي يخدم فيه اتمه خلال فيض التاريخ وتوالي الحوادث ومما يعين السياسي على ادراك ذلك وقوفه على تاريخ بلاده ومعرفة لحاضرها وعنايته بمستقبلها ولقد عاجلت تلك الحياة وتمرست بصروفها وانا رجل سياسة كما قدمت لك وقد همتني المسائل السياسية منذ كنت غص الشباب، وانت تعلم اني في سنة ١٨٩١ كنت نائباً ثم تنازلت عن النيابة. وكان الدافع الحقيقي لذلك شعوري بعدم نصحي السياسي، وذلك لاني عندما وقفت على سياسة فينا وعلاقتها بأوروبا وجدت اني رغم ما حصلت من علم غير متأهب تمام الأهبة، فبدأت من جديد دراساتي السياسية في دقة وتمحيص وحاولت ان أجلو نفسي مشكلة العصر، وكان تاريخ أمقي في نظري جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العالم، ولم يقتصر عملي خلال تلك الفترة على تأليف الكتب



كابك — كنت تعتقد في ذلك الوقت ان السياسة يجب ان تقوم على أسس علمية فهل لا تزال مستمرًا بهذا الرأي بعد تجربتك الطويلة ؟

ماساريك — نعم ان السياسة علم ويجب ان تكون كذلك على الدوام . حقيقة ان جامعاتنا ليس بها أساتذة لتلقين السياسة ، والسياسة عندنا تدرس من حيث هي فرع من علم الاجتماع وناحية من نواحي القانون وجانب من جوانب الفلسفة ، وقد خصصت لها في بعض الامم الاخرى مناصب وكثرت فيها المؤلفات واتسعت بحوثها ، وأمّانا مرحلة لا بد لنا من اجتيازها قبل ان نعمل على انشاء منصب استاذ لدراسة السياسة في جامعاتنا

كابك — وهل ترى ان البون شاسع بين السياسة العلمية والسياسة العملية البرلمانية ؟

ماساريك — نعم وكيف لا يكون كذلك ؟ ولكن يوجد كذلك خلاف بين آراء الجماهير التي تؤم الكنائس وآراء المستيرين من رجال الدين ، وليس الفرق بين الرجل العادي والمحامي الذي درس القانون بأقل من ذلك ، ولكني اذا كنت أقول بالسياسة النظرية العلمية فاني لا أنسى الفرق بين العملي والنظري ، ومما يسترعي النظر في تقدمنا السياسي ان بعض رؤساء الحكومة وقادة الاحزاب وأعضاء البرلمان لم يتلقوا تعليمًا جامعيًا ولكنهم برغم ذلك قد تزعموا الاحزاب وألقيت اليهم مقاليد الأمور وإني اعتقد ان السياسة العليا تستلزم اعداداً نظريًا ولكني أصرح مع ذلك ان حزمة من الاجازات العلمية لا تفني عن المواهب الطبيعية ، ولا تنس كذلك الناحية الاخلاقية لان الاطلاع والعلم واجتياز الامتحانات والحصول على الاجازات والالقب والدرجات ليس دليلًا على الشرف والشجاعة والاعتدال

كابك — اسمح لي بسؤال لا أريد به شخصك ، عندما تتكلم عن السياسة من حيث هي علم ما هي علاقة السياسة بالفلسفة ؟

ماساريك — تريد ان يكون سؤالك غير شخصي ولكنك في هذا السؤال شخصي الى أقصى حد لأنك تريد ان تقول أنني قد انتقلت من منصب أستاذ في الجامعة الى مسند رئاسة الجمهورية وسأحاول في الاجابة عن سؤالك ان أتجرد من شخصيتي . ولعلك تذكر أفلاطون وارسطو وسنت اغسطين وتوما الاكوييني وأمثالهم ، ولقد كان الفلاسفة على الدوام معينين بالمسائل الفلسفية ، والنظريات السياسية هي صورة من صور التفكير الفلسفي وقد كان ذلك نتيجة لتلك العلاقة الأكيدة بين الاخلاق والسياسات ، ولقد كانت الاخلاق على الدوام جزءًا من الفلسفة وفي العصور الحديثة استقل عن الفلسفة علم الاجتماع وفلسفة التاريخ وهما علمان سياسيان ، وكل علم يعتمد في ناحية من نواحيه على الفلسفة ويستند من ناحية اخرى الى الحياة العملية وللفلسفة علاقة مباشرة بالاخلاق لأنها تحاول ان تكون صورة عامّة للحياة والدنيا ، والحكومة في العصر الحاضر تستغرق جميع فروع الادارة الاجتماعية فهي من ناحية عملية



تجاهد وراء ما تقصد اليه الفلسفة. وعلى هذا الاساس يجب ان تفهم مارعى اليه افلاطون الذي اراد ان يكون الحكماء فلاسفة ، والسياسي الحديث يلزم ان يكون قوي الناقدة غزير العلم صادق الحكمة . والسياسي الذي يتصدى للقيادة يلزم ان يكون خبيراً بالرجال طبياً بأسرار الزعامة وما معنى الزعامة اذا اعجزه النفاذ الى قلوب الناس والولوج الى سرائرهم ؟ ولا ننس ان الفلاسفة او العلماء قد يتورطون في الاخطاء . واكرر ان الكتب او الاجازات ليست كافية لأن الرجل السياسي في حاجة الى التجربة والبراعة وحدها ليست مجدية

كابك — اراك تؤكد العلاقة بين التاريخ والسياسة

ماساريك — نعم وابت تعرف اهمامي بمادة التاريخ ، ولقد كنت على الدوام معنياً بالدروس التي تفيدها سياستنا من التاريخ ، ولست ادعي اني مؤرخ ولكن عقيدتي الغائبة كانت تستحثني لتبين معنى الدنيا وخفوى اعمالنا وكم اجهدت فكري في ذلك ، وانا التمس المعرفة من المؤرخين ولكني في الوقت نفسه اراقب سير الحوادث في بلادي وفي غيرها وفي مدى يجاوز نصف قرن يستطيع الانسان ان يرى كثيراً وان تتسع امامه منادح التفكير وتتكاثر موضوعاته ، وقد طالما رددت ان سياستنا يجب ان تقوم على اساس عالمي وان يكون اتجاهنا دولياً

كابك — وهل ترى ان السياسة الخارجية اجل شأناً من السياسة الداخلية

ماساريك — في بعض الاوقات ترجح كفة السياسة الداخلية ولكن في المدى المتطاوّل ستلتقي السياسات الداخلية في الامم والسياسات الخارجية ، وسياستنا تفرض علينا ان نكون يقظين لما يحدث حولنا ونحتم علينا مراقبة الاتجاهات والتيارات . وانا اتصور السياسات العالمية تصوراً عملياً فهي يلزم ان تقوم على دراسة الدنيا وتاريخها وهي تقتضي ان نكون واقفين على ما يحدث حولنا وما يتصل بشؤوننا ، ولا يهولك ذلك فاني لا اوصي بالابتداء من عهد آدم ولا اقول بالانغماس في تاريخ الدنيا بأسره اذ يكفيني تاريخ اوروبا وذلك الجزء من آسيا وافريقية الذي ارتبط بتاريخها بتاريخها

كابك — الحدود التي ذكرتها هي على وجه التقريب حدود الجنس الابيض

ماساريك — نعم على وجه التقريب ولنترك آسيا الاسيوية ، وآسيا الاوربية او اوروبا الاسيوية . إن جميع الامم القائمة على شواطئ البحر المتوسط قد امتزجت ثقافتها وكثرت العلاقات بينها وفي هذا الجزء من الكرة الارضية بدأ التوفيق بين مختلف المذاهب واللغات والسكان ومن المظاهر الباهرة انه في ذلك الجزء نهضت الحضارات من أقدم الازمنة وجاء نبعاً بالباليون والاشوريون واليرانيون والدول المصرية ، وقد انقسم الاغريق شعباً واحزاباً ولكن الاثنين حاولوا ان يوحدوا الأمة الهيلينية بعد ان نجحوا في رد غارة الفرس ، وبظهور الاسكندر جاءت الى عالم الوجود امبراطورية ضخمة تضم اليونان ومصر وجميع الاجزاء التي كانت معروفة في آسيا لذلك العهد ، وبعد عهد الاسكندر انهارت دولته وتصدعت أركانها ولكنها لم



تتحطم ثقافياً، وقد غزت الثقافة اليونانية روما وأوغلت في الغرب، وقامت بعد الاسكندر دولة الرومان وقد شملت اليونان ومصر وشمال افريقية واستولت في الشرق على الولايات التي ضمها الاسكندر الى امبراطوريته وانتزعت في الغرب إيبيريا وبلاد السلت والالمان، ثم انشطرت الدولة الرومانية شطرين وقد بقي القسم الشرقي في بيزانطة بعد انهيار القسم الغربي، ثم قامت في الغرب دول عظيمة منها دولة الفرنك والدولة الرومانية المقدسة ودولة أسبانيا والنمسا

كابك — ودولة الاسلام ومحاولة السويديين اخضاع شمال اوربا

ماساريك — نعم وفي العصور الحديثة نهض نابليون وظهرت قوة الانكليز والولايات المتحدة والروسيا وتمت الوحدة الايطالية واصبحت ايطاليا تحاول بسط سيادتها على البحر المتوسط وهذا الدافع الى طلب القوة السياسية ظاهر كذلك في تاريخ الولايات الصغيرة فدولتنا البوهيمية القديمة كانت الى حد ما قوة عالمية ومن الجائز ان يقال مثل ذلك عن بولندة وبلاد الصرب والبلغار، ففي كل زمان وبكل مكان نلتقي بهذا الدافع الذي يسوق الأمم الى التوسع خارج نطاقها والى أن تضم دولاً أخرى. ولقد كان للعوامل الجغرافية اثر كبير في نشوء الدول العظيمة مثل الجبال والانهار الكبيرة كالنيل والدانوب والراين وعلى الاخص البحر، وفي تاريخ الغرب كان للبحر المتوسط شأن سياسي بارز ونفس اسمه يدل على ما كان له من أثر في ربط الامم القائمة على شواطئه وبخاصة الاغريق والرومان والفينيقيين. ولم تتقدم الملاحة في المحيط الاطلسي الا في العصور الحديثة وهو الصلة بين اميركا واوربا وقد علّت منزلة المحيط الباسيفيكي وهو اليوم الصلة بين اميركا والشرق الاقصى وبذلك اصبحت الصين واليابان والهند مرتبطة باميركا واوربا ولقد نشأت تلك الدول العظيمة مدفوعة بدافع الرغبة في التملك وحب الغزو ولكن التفاهم المتبادل بين الامم الغالبة والامم المغلوبة كان لازماً، ومن ثم نشأت الروابط الثقافية وبذلك بلغت الروح مالم يبلغه حد السيف، ولقد كان اليونان من اكبر دعاة الثقافة وناشري لوائها وفي عهد الاسكندر وبعده صارت اللغة اليونانية لغة عالمية في اوربا وآسيا وافريقية، واذا تأملنا الحركة التاريخية وجدنا ان الأمم لا تستطيع ان تعيش في عزلة، والجنس البشري منذ أقدم الأزمنة يتجه تدريجياً في سبيل الوحدة وتاريخ الفتوحات والثقافات والدول الخوالي يرينا ذلك في صورة واضحة ولقد كانت الحرب الكبرى هي المرحلة الأخيرة في سبيل هذا التقدم

والمسألة الآن هي هل يتم تنظيم قوى الحكومات والأمم بالغزو والاختضاع او بالسلام والتحالف والاتفاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية؟ لقد وضعت عصبة الأمم بعد الحرب الكبرى برنامج التنظيم السلمي للعالم وولدت حركات كبيرة وعقدت اجتماعات جمة لتقريب العلاقات بين الامم ويجوز لنا ان نقول أننا نقف الآن على ابواب التنظيم العالمي الصادق. ولقد أطلت عليك الحديث ولكن نظرة الى الماضي تزودنا بالكثير مما ينفع في الحاضر والمستقبل



# يعقوب صروف

و « الاشياء الباقية » في الحياة

(١) الذكرى العاشرة لوفاته

لست ادري كيف اوجبه شكر الى محطة الاذاعة الفلسطينية ، لغنايتها باحياء ذكر العاملين في نهضة الشرق الفكرية والاجتماعية . فالكلام عاجز عن اداء هذه المهمة على اوفى وجه ، وذلك لأن عمل المحطة في الواقع عمل كبير الشأن عظيم الأثر بإذن الله

فنحن نجتاز فترة من حياة الشعوب ، انقلبت فيها الاوضاع ، وطفأ على وجه العمر كل مابر من الصفات والقيم الانسانية ، فحجب كل راسخ مقيم من السجاي والمناقب . وهذا ولا ريب متأثر بهذه الحضارة الآلية التي تبغي السرعة للسرعة ، او هي تبغي السرعة لتحقيق غرض آخر في الحياة هو تخفيف عبء العمل وتوسيع نطاق الفراغ في سبيل الثقافة والرياضة ، ولكنّه ، غرض على نبه ، لم تألفه الناس ، ولا تعودته الاخلاق الاجتماعية والنظم الصناعية ، فبهرنا بالوسيلة ، وأهملنا الغرض . وليس ثمة ريب ، في ان عناية الناس الآن ، بالدائم الاصيل من النوازع العالية والاخلاق النبيلة والقيم الاساسية في حياة الافراد والاجتماع ، اقل من عنايتهم بكل ما يبهز الطرف ويخطف البصر ويؤتي ثمراً عاجلاً . ولا تكون العودة الى النهج القويم ، في اصلاح الحياة والسمو بها ، نهج العناية بما ينفع الناس ، نهج التأمل في حقائق الحياة لاستخراج اصولها الصحيحة العميقة ، الا بالعودة الى عطاء الرجال ، ودراسة حياتهم ، واستكشاف فضائلهم ومناقبهم واذاعها . فليس من العبث ، ان تمر السنون وتكر القرون ، وأسماءهم كالشاي تتألق في صفحات تاريخ الفكر والاجتماع ، تضيء الطريق الوعر للسالكين . «أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض»

والواقع ان الحياة عمادها صدق الصالحين وقودتهم ، وحكمة الملمين وابداعهم ، واقدام الرواد وفناء اشخاصهم الفانية في سبيل الخير العام . هم يقفونها من الادران . ويخففون من وقع

(١) حديث لرئيس تحرير المقتطف اذيع من محطة الاذاعة الفلسطينية في مساء ٧ يوليو ١٩٣٩ على ذكر انقضاء اثني عشرة سنة على وفاة الدكتور يعقوب صروف



عنها على الكواهل . بل ان الحياة لا تغذب ، وقد لا تحمل الا في صحتها او في كنفهم . ومن محاسن الحضارة الحديثة ، انها تتيح لك صحة الانبياء والفلاسفة والشعراء والعلماء والرواد ، في تراجمهم ومؤلفاتهم ، وفي ما يكتب ويذاع عنهم ، ومن هنا كان فضل محطة الاذاعة الفلسطينية في عنايتها باحياء ذكر العاملين في نهضة الشرق . ومن هنا كان شكرها شكراً وافياً من الامور التي يعجز عنها الكلام

وقد اتاحت لي الحياة ان اصحب واعيش في كنف احد هؤلاء الرجال ، وما فتئت روحه تطالني كل يوم من صورته النضرة وسبعين مجلداً من المقتطف — صدرت في عهده — مصطفة أممي . وقد ترددت كثيراً قبل تلبية طلب المحطة في اذاعة حديث عنه لما بين الاسمين من صلة القربى ، ولكن الرجل مضى الى لقاء ربه من اثنتي عشرة سنة ، نضر الوجه طاهر الذيل جزيل النفع ، فهو في غنى عما نقوله فيه ، ولكننا لسنا في غنى عما في حياته الحافلة من العبر . فانا عندما اروي في الدقائق التالية نواحي من حياته ، اجرد نفسي من صلة الاسم والقرابة — على نخري بهما — واقف موقف واحد من ابناء الامم العربية اللسان نجاه هذا الرجل الذي كان ركناً اصيلاً من اركان النهضة الفكرية والاجتماعية فيها

من مزايا الدكتور يعقوب صروف ، أنه كان رجلاً جمع بين الذهن المتوقد والخلق النبيل ، أي العلم والفضيلة ، فكانت حياته حافلة بالنفع

ولو نشأ صاحب هذا الذهن في بيئة تأصلت فيها تقاليد العلم ووطئت مسالكه ، لكان على الغالب من العلماء المبدعين الذين تنسب اليهم النظريات والمذاهب العلمية والفلسفية . ولكنه نشأ في بيئة ، كانت قد انقطعت صلتها بسير العلوم منذ القرن الثالث عشر على العموم ، وغلبت عليها أساليب من البحث تمت الى الأدب واللغة والفقه بصلة قوية . نشأ متزوداً من اصول العلم الحديث بقدر وافر هياً لأن يكون من رؤوس رؤاد عصر جديد . ونحن اذا طويينا الف سنة تقريباً فرجعنا الى مستهل نهضة العلوم في العصر العباسي ، رأينا ان نهضة العقل والترجمة كانت التوطئة التي لا بد منها ، لتلقيح الفكر العربي الحنوب ، بلباق العلوم والفنون المنقولة عن اليونان والهند . واذا اتخذنا من جمهور المترجمين والنقلة في ذلك العهد ، من يمثلهم في شخص حنين بن اسحق ، فإنا لا نقع على نذر له الا بعد الف سنة تقريباً في شخص يعقوب صروف

تلقى العلوم في الكلية السورية الانجيلية ببيروت — وهي المعروفة الآن بجامعة بيروت الاميركية — وكان الطبيعة ارادت ان تهيه خاصة لعماله العظيم ، عمل تلقيح الذهن العربي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، بلباق العلوم الغربية الآخذة في التفتح والازدهار في ديار الغرب ، فأتاحت له ان يدرس مدى أربع عشرة سنة في جامعة بيروت الاميركية ، العلوم



الرياضية فالعلوم الطبيعية والكيميائية ، فأدّاب اللغة العربية وقواعدها . فاستكملت بذلك عدته ، من اطلاع واسع وفهم دقيق لأصول العلوم الطبيعية الحديثة وطرائق العلم التجريبي ، وقلم بليغ في سهولة وامتناع ، يرتدّ إلى أبلغ الأساليب العربية في صدر الاسلام

فأما حُدثت نفسه ونفس زميله وشقيقه الروحي الدكتور فارس نمر باشا — مدّ الله عمره — باصدار مجلة المقتطف ، كان الصديقان قد اقتسما فيما بينهما أهم طائفة من العلوم الحديثة فاشتركا في العمل إحدى وخمسين سنة متواصلة ، ولا آصرة بينهما من قرابة أو نسب ، وإنما كانت آصرة الناحي الروحي والاخلاص للعلم وللخير العام ، أوثق وأمتن . وأنت تمضي في مطالعة سبعين مجلداً ضخماً من المقتطف منذ صدوره الى حين وفاة الدكتور صروف في ١٩٢٧ فلا

تعرف من منهما منشئ المقالات فيها ، حتى لقد غدت كلمة « أحدهما » تؤثر عنهما للدلالة على اتحادهما في هذا العمل الفكري العظيم ، مع ان الدكتور صروف عكف على انشاء المقتطف خاصاً اياه بعنايته دون أخيه ، حالة ان الدكتور نمر اضطرّ ان يقف معظم وقته على المقطم ، ولا يزال عندما تسمح له أعماله بدقائق من الفراغ ، يتحسر على ان مقتضيات العمل ، حكمت عليه بأن ينصرف عن العمل العلمي الذي نشأ وترعرع فيه ، وملك عليه أسباب جبه

إن الخطوة العلمية التي وضعها منشئ المقتطف وجرياً عليها وجرى عليها من أوتن عليها ، مدى ثلاثة وستين عاماً ، جعلته الصلة الفكرية الموثقة بين الشرق الحديث والغرب الحديث . فنشر من المقتطف حتى وفاة الدكتور صروف في مثل هذا اليوم من اثنتي عشرة سنة أكثر من سبعين مجلداً في ما لا يقل عن خمسين الى ستين ألف صفحة ضمت فصولاً مطولة وموجزة ونبدأ في شتى فروع المعرفة الانسانية . في ساحتها التفت أقلام الكتاب والمفكرين بأفهام القراء . وهذا الالتقاء ولد احتكاكاً والاحتكاك بعث في العقول والنفوس نوراً وناراً

فمجلة المقتطف كانت بإشراف الدكتور صروف وبما دونّه فيها من حقائق العلوم ومتغير الآراء والمذاهب العلمية والفلسفية والاجتماعية ، وما راجعه ووافق على نشره فيها من أقلام الكتاب ، تأخذ باليمن لتعطي باليسار ، تأخذ من العالم والمستنبط والفيلسوف لتعطي الزارع والتاجر والصانع والمدرس والطالب وربّة البيت . فكانت بذلك صلة بين عالم الابداع الفكري وعالم التطبيق العملي . كانت مرتبة متوسطة بين مباحث العلماء الفنية الدقيقة ، ومدارك الجمهور الذي يطلب الحقائق واضحة جلية ، تقبلها العقول وتسيغها الافهام . والعلم لا يرتقي ولا ينال قسطه من الذبوع والتأييد ، ولا تجنى الفوائد التي يجب ان تجنى منه إلا اذا اتصلت نتائج المباحث العلمية بمقتضيات العمران وتغلغل في كل مصدر من مصادر حياة الفرد والمجتمع . لذلك كان بسط الحقائق العلمية ونشرها لازمين ككشفها وتحقيقها ، وهذا البسط والنشر جانب من المهمة العظيمة التي أخذها منشئ



المقتطف على عاتقهما عندما عرنا في ذلك اليوم التاريخي في بيروت ان ينشأ « مجلة علمية صناعية ». ولا يسعني الاّ الظن بأنه اذا جاء المؤرخ في المستقبل ، يحاول ان يكتب تاريخ النهضة الشرقية الحديثة على قاعدتين من الانصاف والتحقيق ، فانه لا يستطيع ان يغفل ذكر المقتطف وذكر الدكتور صروف الذي اقترن به حتى أصبحا متلازمين . ذلك بأن النهضة في أمة ما تبدأ أولاً في صدور النخبة من أبنائها وعقولهم . وأكثر هذه النخبة من أبناء الشرق العربي من اواخر القرن الماضي الى اواخر الربع الاول من هذا القرن ، يشهدون بأن المقتطف كان « معلمهم » ومن هنا أطلقوا عليه « المعلم الثاني » باعتبار ارسطوطاليس « المعلم الاول » هذا العمل العظيم الذي لا يتسع الوقت الا لوصفه بإيجاز ، ما كان في الاستطاعة لولا تلك الفضائل الاساسية في خلق الرجل الذي وقف حياته عليه ، حب راسخ للعلم وللخير العام ، ومثابرة لا تسترخي ، وتحقيق وتدقيق لا يحرفهما التسرع في المعالجة . وهذه مناقب تصل بخلق الرجل بعد ان لحنا ناحية من ذهنه

والعظمة في الرجال ينظر اليها من ناحيتين ، من ناحية النفع الذي تصيبه الأمة التي ينتمون اليها وسائر الامم من بعد . ومن ناحية السمو والنبل في حياتهم الخاصة وعلاقتهم بالناس أما الناحية الاولى في حياة الدكتور صروف ، فتمثلة في ما أصابه « المقتطف » والدكتور صروف نفسه ، من مكانة عند كبار الامم العربية من ملوكها وأمرائها الى وزرائها وعلمائها وكتابها ، وعند فريق غريب من علماء الغرب ، وما أسداه من خدمة الى تحرير العقول وثقيفها بيسط العلوم الحديثة والحث على الأخذ بها وبطرائقها . وحسبي ان أشير هنا الى عبارة وردت في خطبة توفيق رفعت بإشارته لجنة عيد المقتطف الذهبي الذي شمل برعاية المغفور له الملك فؤاد الاول قال : « وأنه وان أتيح لبيروت ان كانت مهد طفولة المقتطف ومبزع قرن شمسه ، فان لصرا ان تفخر بأنها مهد إيناعه بإيقاعه ، ومروقة اكتماله باكتماله ، وما تعميره في الشرق الى الخمسين ، الاّ ناجة يؤبه لها ونادرة يلتفت اليها . وان مصر وهي المتعطشة الى استعادة مجدها العالمي الذاهب لانزال جيدة التربة طيبة المنيث كريمة الجوهر . فكلما حيّاها صيب او جادها غيث اعشوشبت وتألقت جوهرها . فأصحاب المقتطف قد شتمروا عن ساعد الجدّ وجمعوا الى غزارة المادة مضاء العزيمة في إخصاب هذه التربة الحيدة .. ان مصر الشاكرة دائماً من يعاونونها في شؤونها تناصرت على معاودة المقتطف بنشره في دور العلم ومعاهد التعليم ... عمره الله للعلم الى مئين السنين ونصّر الله وجه ذويه »

ولا يتسع المقام لاقتباس عبارات موجزة من أقوال سائر الخطباء والشعراء في عيد المقتطف او في حفلة تأييد الدكتور صروف . ولعل قول المغفور له حافظ ابراهيم



إني قرأتك في الكهولة والصبا وملائت من ثمر العقول وطابي  
وقول شوقي : مشينا بنوري علمها وبيانها فلم نسر إلا في شعاع شهاب  
وعشنا بها حيلين قت عليهما معلم نشء أو إمام شباب

يعبران عما في نفوس الوف من ابناء مصر وسوريا وفلسطين والعراق حبال المقتطف  
وأما الناحية الأخرى من حياة الدكتور صروف فهي الناحية الذاتية وقد كان في مناقبه  
العقلية والخلقية على ما وصفه الأمير شكيب أرسلان : « مما لا أجده إلا في النادر الأندر من  
البشر . ولا شك أنه إذا كان أعلى أفق من الناس متصلاً بأقرب أفق من الملائكة فيكون  
فقيدا طيب الذكر في الفوج الأول من الأدميين الفارطين الى ذلك الأفق العالي »

فقد اقتنى الدكتور صروف اطيافاً كان يراها كلها في المقام الثاني بعد المقتطف وما كان يفتق  
عليها من العناية والوقت عشر معشار ما يفتق منها على هذه المحلة التي كان يحبها كوله ولا ينفك  
له عيش إلا إذا تم عمله فيها على الوجه الأكمل وأتيح له المحافظة على رسالتها العلمية الرفيعة  
وكان مثلاً حياً للتسامح المسيحي وله في ذلك نوادر يصح ان تجري مجرى الامثال منها  
ان خصماً صحفياً مشهوراً في اشتداد حملته على المقطم جاء — وقد نقد الورق من مخزونه —  
يطلب ملفات ورق لطبع جريدته من مدير المقطم. فلما سئل الدكتور صروف في ذلك لم يزد  
على قوله « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه .... »

وكان مستقيماً كالرمح لا يحد عن الصدق في القول والعمل قيد شعره. جاءه يوماً رجل عزيز  
عنده وطلب منه وساطة عند وزير على ان لا يعلم الوزير ان هذا الرجل في القاهرة. فقال  
الدكتور صروف « لا استطيع ان اقول غير الصدق . سافر من القاهرة وأنا ابغلك ما يتم »

وكان وديع النفس لا يأتف من مقابلة اصغر الطلبة ومحدثهم وارشادهم وتقبل آرائهم  
إذا كان فيها صواب، وعند عشرين من الامثلة على احداث اتوه متبيين فخرجوا من مكتبه  
وكانهم خارجون من حضرة والد حنون . وقد حدثني أحد الكتاب المشهورين بأنه رأى، وهو  
شاب، مأخذاً على بعض ما نشر في المقتطف فذهب الى مقابلة الدكتور صروف وهو يقدم رجلاً  
ويؤخر أخرى فأحسن وفادته وقبل نقده ونشره فكان ذلك الحافز الأول الذي دفع صاحبنا  
الى المضي في الكتابة . وكان ابي النفس لا يرضى عن الايذاء والكرامة بديلاً. جاءه مدير اعماله  
يوماً وقال له إذا حدثت فلان في القضية الفلانية فقد نوفر مبلغاً لا يستهان به . فقال اخشى ان  
لا اصيب عنده ما يرضيني . كام الخسارة المقدرة .... لتكن من حساب مما خسرنا او كسبنا

وكان وطنياً صادق العقيدة منزهاً عن الاهواء، اشترك في شبابه في الجمعية الثورية  
الاولى في لبنان، على ما حدثني بذلك الدكتور عمر، وكان من اشد اعضائها حماسة، وشارك



مصر في نهضتها فكان لا يقول إلا ما يراه صدقاً وخيراً ، فكان صديقاً مقرباً من جميع أقطاب  
فرقها السياسية بلا استثناء

وكان يؤمن بالحياة الأخرى إيماناً فلسفياً وكثيراً ما كانت الفلسفة مشكاة وسبيلاً الى كشف  
الحقائق . ولذلك كان الدكتور صروف يحاول ويتمنى ان يتاح له اثبات الحياة الأخرى عن طريق العلم  
هذا بعض ما أتيج ذكره في هذا الحديث . ويتبين انه عاش خمساً وسبعين سنة لم يأت أثماً  
وهو يعلم انه أثم ، ولم يضرب أحداً وهو يعلم انه يضرب ، بذل حياته كلها للخير الخاص والخير  
العام . وان غاية محطة الاذاعة الفلسطينية باحياء ذكراه وذكرى غيره من العاملين  
لدليل على ان العلم والفضيلة اذا اجتمعا في رجل ، فالزمان لا ينسج على اسمه او عيبر حياته  
خيوط النسيان . وفي هذا عبرة لنا ، نحن أبناء هذا العصر الذي يكاد يكون مصروعاً بجنون السرعة  
والثمر المعجل . ان طريق الخلاص انما هو في العود الى الفضائل الاساسية التي أثبت اختبار  
البشر خلال الوف السنين انها « الاشياء الباقية »

كلمات للدكتور صروف

### فضائل الحرب والسلم

الفضائل التي يدعي أهل الحرب ان الحرب توجد لها او تمكنها في  
النفوس كالشجاعة الوحشية والجسارة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر  
على المسكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت - كل هذه وغيرها ليست  
أعظم من الفضائل التي يوجد لها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن  
الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة ، اوقع في النفس من الاقدام  
على خوض ميادين القتال لأن الانسان يكون مدفوعاً في الاول بمعامل  
التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش ، وليس احد يقول ان  
الجنون خير من العقل . ورواد الحضارة الذين يجتأبون البلدان المظلمة لنشر  
لواء الحضارة ويعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين  
ينفقون اعمارهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال . والعالم الذي  
يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليله ونهاره  
في البحث والتقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل امانيه مرة وخيبة مساعيه  
اخرى لا رفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذا انك  
الاسكندر وارسطو ، ونايليون وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد



# المثل العليا

في الشعر

لعبه الرصمى شكرى

كان من خصائص نهضة الاحياء التي حدثت في اوربا بعد العصور الوسطى البحث والتقصي والطموح الى العرفان واختبار الحياة في حالاتها المختلفة وكشف خفاياها وقد ظهر اثر ذلك في الشعر وفي آداب عصر الاحياء على وجه التعميم وقد ازدهر هذا العصر في عهد الملكة اليبابا في انكلترا وظهر اكبر شاعر عُرِفَ بِبَحْثِ النفوس ووصف احساسها وخواطرها على طريقة شعر القصص التمثيلية وأعني به شكسبير ويصح ان يسمى هذا العصر العصر الرومانتيكي الاول فقد قضى على التزام محاكاة المذهب الكلاسيكي (١) القديم في القيود التافهة وكانت تلك المحاكاة قد قضت على روح المذهب الكلاسيكي الحقيقي بمغالاتها في اتباع ظواهر الامور دون حقيقتها وكان في بعض حربة آداب الرينيسانس (عصر الاحياء) شطط في اصول الفن فلما جاء عصر النقد الفني وخذت جذوة عصر الاحياء عادت النفوس الى محاكاة طريقة الاقدمين الكلاسيكية في عهد راسين وكورني وأشباههما وذاعت هذه الطريقة في القرن الثامن عشر وهو عصر النقد والمنطق والاناقة الشكلية بين رواد الفنون الا ان نهضة القرن التاسع عشر في اوربا اوجدت حرية وروحاً هما شبيهان بالحرية والروح اللتين كانتا في الآداب في عصر الرينيسانس عصر الاحياء والتجديد الاول فذاع المذهب الرومانتيكي في آداب اللغات وتشعب شعباً كثيرة. وكان من خصائصه ايضا البحث والتقصي واختبار الحياة وكشف خباياها والطموح الى العرفان وهذه هي المثل العليا في ذلك المذهب الرومانتيكي. وقد كان فاوست بطل قصة جويقي في العصر الرومانتيكي الثاني هو بطل قصة فاوست تأليف مارلو الشاعر الانكليزي المعاصر لشكسبير. ولم يأت هذا الاتفاق عفواً، بل كان اتفاقاً بين العصرين في المثل العليا وأعني بها الرغبة في كشف خبايا الحياة واختبار اسرارها والطموح الى العرفان ومصادر القوة فيها وكلا الشاعرين يعترف بما في هذه المثل العليا من خطر قد يؤدي الى شر كما ظهر في حياة فاوست بطل القصة ولكن

(١) كان بجانب احتذاء ومحاكاة المذهب الكلاسيكي في اواخر القرون الوسطى مذهب شعراء الرومانس والتروبادور وهذا كان في الحقيقة مبشراً مبكراً جاء يبشر بنهضة الاحياء



هذا لا يمنع من عد هذه المثل العليا أيضاً منبع الخير ووسائل الرقي في الحياة. وقد كان الطموح الى العرفان والقوة وكشف خبايا الحياة ومعالجة اسرارها المثل الاعلى ايضاً في كل حضارة قديمة او حديثة ولولا ذلك ما قامت الحضارة في عهد قوتها وعهد ازدهارها في حياة البابليين او المصريين او الاغريق او الرومان او الفرس او العرب . وظني ان اتفاق روح أدب جويقي ويرون في هذه الامور كان سبباً من الاسباب التي قربت بين الشعارين وادت الى العطف والتراسل على اختلاف طريقتيهما وثقافتيهما في امور اخرى فان أدب جويقي يعبر عن هذا الطموح الى القوة والعرفان في فالوست كما يعبر عنها في ولهم مايستر بمعالجة الحياة ومزاوتها والنشوق بما في هذه المزاولة من ثقافة ويرون ايضاً يعبر عن تلك الروح النائرة الطامحة الى القوة والعرفان والى كشف خبايا الحياة بمزاوتها والتقلب في وجوها ولبست رحلات تشايلد هارولد ودون جوان واختبارها للحياة في احوال مختلفة وإباؤها الاستقرار على حالة واحدة الا مظهر تلك الروح التي انبثت في اوربا جميعها في القرن التاسع عشر ولعل هذا هو السبب في ولوع غير الانكليز من الاوريين بشعر يرون اكثر من ولوعهم بشعر غيره من الشعراء الانكليز وهذه الروح شائعة في شعره كله فهي في قصة كين ومانفرد وورز ومازباً وغيرها . وقد عبّر شلي ايضاً عن هذه الروح التي كانت أساس صداقتهما ، عبر عنها ، في قصة (برميث الطليق) و(الاستور) وغيرها وقد استشهد العلامة وايتهيد في كتابه ( العلم في العالم الحديث ) بقطعة من شعر شلي للدلالة على انه كان مولماً بقصص حقائق العرفان بالرغم من اسلوبه الخيالي . وهذه المثل العليا كانت شائعة ايضاً في شعر تينسون وبروتيج وفي قصص إبسن السكندناوي او قل هي أساس الآداب الاوربية الحديثة بالرغم من اختلاف مظاهر مذاهبها حتى ان الرمزية في اول امرها قبل ان تُطْلَب الرموز لذاتها ولذلة التأمل فيها كانت تستخدم لتوضيح هذه المثل العليا فأبسن في قصة ( براند ) يرمز الى نشدان المثل العليا والطموح اليها بتسليق براند للعجل وحنه القوم على التسليق . وشلي في قصيدة ( الاستور ) يرمز بركوب الاستور البحر وانطلاقه فيه الى الرغبة في كشف خبايا الحياة والكون وكشف المجهول من اسرارها وقبلهما كان جويقي ايضاً يستخدم الرمزية على الطريقة المسماة (اليجوري)

وقد تأثرت عند دراسة هؤلاء الادباء والشعراء بهذه الروح واعني روح الطموح الى العرفان وكشف خبايا الحياة والتمست معيماً على ذلك في كل ناحية من نواحي الآداب التمسته في وصف شكسبير وبروتيج للنفوس ، وفي وصف النفوس والحياة في قصص كبار القصصيين ، وفي كلمات المفكرين في كلمات قصيرة ، كما التمسته في الخيال الرومانتيكي الطليق الذي يعبر عن هذه الروح على الطريقة الخيالية الرومانتيكية . وهذا هو السبب في ان جانباً من قولي يمثل الخيال وجانباً آخر يمثل التحليل



النفسى ومظاهر النفوس في الحياة لا على طريقة اميل زولا والمذهب الطبيعى فليس في اميل زولا تحليل للنفوس ولا خبرة بحكمتها وفلسفتها بل على طريقة شكسبير وبروتيج في الشعراء ودكنز وثاكري وبلزاك وانا تول فرانس وفلو بير وموباسان وتلستوي ورجنيف وغيرهم . وقد ظهر الجانب الاول اى جانب الخيال الرومانتيكى الذي يصف الطموح النفساني في قصائد عديدة منها، قصائد الباحث، والابد في ساعة، والكونين، وابناء الشمال، وشهداء الانسانية، والعصر الذهبي والمثل الاعلى، والى المجهول، ومصارع النجباء، والبطل المنتظر، وثورة النفس، وجهاد المصلحين، وصيحة المصلح وسنة العيش وغيرها فمن قصيدة الابد في ساعة : —

أه من لي بساعة أتَقَصَّى كل معنى فيها وكل بيان  
ساعة أخرج الحياة رحيقاً ثم أظمى لسؤر ما في الدنان  
ساعة اجتنى الوجود وما كان وما قد يكون في الاكوان

ومنها : —

انا فيها كالعيش والموت والدهر وحكي وحكما سيان  
أنا فيها أقوى من العيش والموت وأقوى من محكم الايمان  
احمل النفس في يدي مثلاً يد لف في الحرب فارس بسنان

ومن قصيدة بين الثريا والثرى : —

كانا قد قطعنا الدهر نهياً من الآباد للازل القديم  
وحولنا العوالم كأس لب حسوناها ولم تك من كروم  
ولم نعبأ بما تخفي الليالي ولم نخش المنية في الهجوم  
واسلفنا الزمان نعيم عيش ولم نحذر مقاضاة الغريم  
وكنا في ائتلاف الشمل نحكي نظام الشهب والدر النظم

وقصيدة شهداء الانسانية وموضوعها ان شهداء الحياة والعلم والاصلاح يزدحمون على باب الحياة ويسألون كل هالك هل تحقق الخير الذي بذلوا حياتهم من اجله فتدركه الحيرة ايكذب كي يدخل على قلوبهم الاطمئنان ، ام يصدق فيجمعهم في آملهم ام يغريهم بالصبر الطويل كصبر الاحياء، ام يغريهم بالعودة ان استطاعوا الى كفاح الحياة. ومنها : —

فيا عيش الورى ماذا تراه يقول لهم اذا الفى مقالا  
ومنها : — يقول لهم اذا اسطعتم فعودوا دفاعاً للنواب او صيالا  
وكم من نعمة لولا شقاء قديماً لم تكن إلا وبالا  
فكم خبر الاوائل من شقاء فلنا من شقاؤهم نوالا



ومن قصيدة النشوء والارتقاء : —

بعقل يبلغ الشمس واقصى الكون عرفانا  
وجدت لكل ما كان من الاكوان ميزانا  
كانك خالق الخلقين اكواناً وازمانا  
وسخّرت الرياح مطية والبرق فرسانا  
وقد أعليت عمراناً وقد قدّست اديانا

الى: —

وفقت الطير والحيوان آثاماً وأشجانا  
وزنت الذرة الصغرى وما اعددت ميزانا  
لعيشك كي يكون العيش إسعاداً وإحسانا

وقصيدة العصر الذهبي وقد اولى الناس من قديم الزمن بالتفكير في عصر الانسانية السعيد عصر الخير العميم الشامل فبعضهم كان ينشده في الزمن القديم ويكي انقضاءه وبعضهم ينشده في المستقبل من العصور. وكثيراً ما استخدم اهل الحرص شعاره لنيل اطاعتهم واقتياد الناس بذلك الشعار. وكثيراً ما علق الناس بكماله حتى اذا تحكموا ساروا على نهج الطغاة وهو مثل عالٍ لا تحلو الحياة الا به ومنها : —

عصر السلام تحية وسلام  
من كل عصر في نسيجك لحمة  
خلعت عليك رجاءها الافوام  
ألاجل صنعك تدلف الاعوام  
ومنها :

تغير المسئل التي شاقهم  
حسنب الورى من حسن عهدك قدوة  
تبديل الآمال والاحلام  
علياء ما إن شائها استبها  
ما فاتهم طب الطيب وانما  
تباين الارواح والافهام  
ومنها : —

واذا العبيد تحكموا في فتنة  
أرى العبيد يابل وبطية  
ساروا على نهج الظلوم وضاموا  
اغرتهم بكمالك الآلام  
لوانهم ملكوا لعافوا مسلماً  
يدني اليك وطاشت الاحلام

وقصيدة قوة الفكر في تقديسها وقد قيلت على لسان حالها . ومنها : —

ألوي برب الفكر عن ذويه  
أذهيل العازم عن اخيه  
طوراً وطوراً راحة وسلاماً  
اجبر عظماً وأهيض عظماً



ومنها : —

ورب غرٍّ كان عبد عمره زودته من خيرهِ وشهرهِ  
 كان صغيراً ففدا عظيمه كان يرى عيش النهى ألماً  
 رفقه عن لذة وألم فصار ناراً أضرمته في علمهِ  
 مشهراً بين الانام مغلبها مبغضاً طوراً وطوراً مكرماً

ومنها : —

كم حقة قد اختمرت فيها وكان طعمي قبلها كريحها  
 أقوى على الايام والدهور كما صفت عتيقة الخمر  
 والناس قد غرهم خمودي وهم على غرهم وقودي  
 وقصيدة (الشباب) توضح ان مستقبل الانسانية رهن بطموح الشباب الى المثل العليا  
 وبان يحاول ان يقهر طاغوت الامور وجبروتها وأن : —

يستفد الازمان من عبث الورى ويُطهر الاحشاء من اضعان  
 ويذل طاغوت الامور فيحتذى شرع الحياة شريعة الرحمن  
 وقصيدة (نحو الفجر) وقد جعل الفجر في آخرها رمزاً لآمال الانسانية : —  
 واملت الدنيا صباحاً مؤجلاً سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر  
 فيكل صباح رمزه ومثاله ووعد به يحدو الى الزمن النضر  
 نسر بنمائه وان لم تكن لنا ونشده فيما يكون من الدهر

وقصيدة (الباحث) او الباحث الازلي تعبر عن هذه الروح روح الطموح الى العرفان  
 وكشف خبايا الحياة والشيخ الخالد فيها رمز الى روح الانسانية التي تختبر الحياة دهرأ بعد دهر  
 وحالاً بعد حال ومنها : —

همت يوماً من قريتي انشد الحق لعلي اراه في الدهاء  
 كلما لاح شامخ قلت ان الحق يغدو من خلفه بازائي  
 ورعت الظلماء علي اراه خارجاً من سرائر الظلماء  
 وجزعت الصحراء ارجو لقاء منه يرجي في وحشة الصحراء  
 ولكم غصنت في العباب عليه اما الدر منه في الاحشاء  
 واثرت الاصداء ابني جواباً لسؤالي في منطق الاصداء  
 وسأت الرياح عنه فصمت عن دعائي فلا تحيب دعائي  
 وسألت السماء تبرز وجهاً منه يبهى في الأفق جم الضياء



وَأَعَارَتْنِي الطيور جناحاً ارتجى منه لقية في الفضاء  
طلما خاب ناشد الحق لكن رجائي كما عهدت رجائي  
قد يجيء الصباح منه بوجه طالما كانت مضمرّاً في الحقاء  
او تبين الاحلام منه ضياء في سماء الآمال مثل ذكاء

الى : —

أنشد الحق بالتقلب في العيش وأبغى سريرة الاشياء  
وقصيدة ( المثل الاعلى ) تصف ذلك الطموح بخيره وشره فانه قد يكون سراياً خداعاً  
وقد يكون ماء

طوراً كما رقص السراب وتارة يُشْفَى به من غلة وأوام  
وقد تسوق الرغبة في تحقيقه الى الآثام : —

ولطالما خاض الفتى من أجله كما يكون زواجر الآثام  
أقصى القساة من استبدّ به الحجا قَسَمَهَا عن العبرات والآلام  
وفي بعض الأحيان يمنع الولوع بخياله من معرفة الحياة واختبارها ومعالجتها فيصير قذى  
في العين واختلالاً في العزم وسقماً في الرأي والنفس : —

ولقد يعود قذى يصيب به العمى فينال من عزم ومن إقدام  
كالنار يهلك حرها وضيأوها يُعْشِي وفيها من هُدَى وقوام  
فان نبذ مثل الكمال العليا يؤدي أيضاً الى الشر : —

والمرء إن نبذ الكمال وهديه شقّ العصا وأحلّ كل حرام  
ورأى الأنام فريسة مذخورة لموفق في شره عزّام  
وخيال المثل الاعلى من العقل والعقل حقيقة الحقائق : —

ما في الوجود حقيقة غير النسي فاطمح بنفسك للذرى والهوام  
أتال اوهام الحقائق قانماً وتعاف خير حقائق الأحلام  
والعيش ان لم تبغِه لعظيمة فالعيش حُلْمٌ طوارق الاعوام  
ولا تعظم النفس الا بالمثل العليا : —

والنفس إما شئت كانت عالماً يسع الدنى في طوله المترامي  
ولا يستطيع المرء ان يرفض المثل العليا لانه يعرف حدود رقي الانسانية في المستقبل : —  
لو كنت تعرف قدر مقبل علمها او جهلها لكشفت كل قنام



والمرء يُضْمِرُ للبعد مهابةً      فاذا دنا أَلْفَاهُ حَظٌّ طَعامٌ  
وهي قصيدة طويلة يُنْظَرُ فيها الى نشدان المثل العليا نظرات مختلفة متعددة كهذه  
النظرات وامثالها . وقصيدة ( الى المجهول ) تصف طموح النفس الى كشف خبايا الحياة ومغاليق  
الأُمور فهي ايضاً تمثل الروح الحديثة في الادب ومنها : —

قد ثار ثائرٌ نفس عزَّ مطلبها      وطار طائر لب في مراقبهِ  
كالنسر لا حاجب للشمس يردعه      ولا الصواعق والارواح تثنيه  
وانت كالليل والافهام حائرة      مثل العيون علاها منك داجيه  
ليلٌ مهيب كموج البحر خندسه      تكاد تسمع منه صوت طاميه

وقصيدة ( ثورة النفس ) تعبر ايضاً عن هذه الروح . ومنها : —

وياحسن ما تُفلي الخيالات انها      حُلِّي على جِيدٍ من الدهر أجربُ  
تريدن أن الجسم يغدو كأنما      يضيء به منك الضياء المحجَّبُ  
ومن قصيدة ( الشاعر وصورة الكمال ) : —

صورة حسن صاغها لبه      وحدّها في الحسن حدّ الكمال  
يمد نحو النجم كفاً له      ويحسب النجم قريب المنال  
ومن قصيدة ( جهاد المصلحين ) : —

خليليّ هذا الكون من أولياته      أصلحه في العاملين طيبُ  
وكم من نفوس ساميات أذلّها      فعادت بادناس الحياة تطيبُ  
ترى دنس الاشياء رؤية آلف      يرى ان احلام النفوس لغوبُ  
يرى ان خير الكون ما هو كائنُ      ووحى النفوس الساميات مريبُ  
ويحسب ان الشر ضربة لازب      وان أساليب الحياة ضروبُ  
ويصبح في مجرى الحوادث ريشة      تجوب به الايام حيث تجوبُ  
ويطفئ نور النفس حتى كأنما      دواعي النفوس الساميات عيوبُ

وقصيدة ( الكونان ) في وصف الطموح الى حياة ارقى من الحياة وعيش ارقى من العيش : —

خارجاً منه مثاماً      تُخْرِجُ الليلة الضُّحَى

فروح البحث والتقصي والطموح الى كشف مغاليق الحياة والخلقة والى المثل العليا للحياة  
هي الروح الغالبة على المذهب الرومانيكي وهي الروح التي تأثرتها وتأثرت بها وهي شائعة بمقادير  
مختلفة في اكثر ما نظمت



# الجلجلة في الكلام

واستخدام اليد اليسرى  
دراسة من التجارب الشخصية  
للآنسة زينب الحكيم

الجلجلة او التلجلج في اللغة معناه التردد في الكلام — يقال : الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد من غير أن ينفذ . وهذا هو المعنى الذي نقصده فيما سنذهب اليه من شرح وإيضاح في هذا المقال . وقد يشمل هذا المعنى ايضاً ، العقدة والعقلة وهي التواء اللسان عند إرادة الكلام ، وكذلك الحبسة وهي تعذر الكلام عند إرادته . قال تعالى . « رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي »

اما ( اللثغة ) في اللسان وهي أن تصير الراء غيناً أو لاماً ، والسين تاء مثل : — فليخة أو فليخة عوض فرخة أو أشكت بدل أسكت ( والتممة ، والفأفة ) وهما التردد في التاء والتاء الفاء هذا وامثاله مما سنوضح الفرق بينه وبين الجلجلة ، إذ هناك فروق جوهرية بين هذه النقائص الكلامية والعوامل المؤدية إلى كل منها . ولقد دعاني إلى دراسة هذا الموضوع المهم ، ما شاهدته بنفسني في نظارتي لروضة الاطفال من خطر يهدد أطفالنا وهم لا حول لهم ولا قوة وقد صادفتني حالات كثيرة دقيقة ، أمكنني إصلاح بعضها ، واستعصى إصلاح البعض الآخر من أشق الحالات التي صادفتها ، طفل يستخدم يده اليسرى في الكتابة

انتظم هذا الطفل ( محمد ) بالروضة ، وهو في الرابعة والنصف من عمره ، وقد كان طفلاً صحيح الجسم والعقل مبدئياً ، سليم النطق واضح الكلام . وضع الطفل في فرقة خاصة لسبعة عشر طفلاً كلهم من سن واحدة ، قبلوا في المدرسة بالاستثناء لصغر السن ، وسمي فصلهم ( السنة الأولى جيم ) — وقد هيأت هذه الفرقة فرصة ذهبية لعمل التجارب التي أردتها ، فكنت ألاحظ كل طفل فيها ملاحظة دقيقة دون علم منه ، وكنت ألاحظ الفصول الاخرى بالدقة نفسها التي أولها للفرقة المخصوصة ، لكي أرى الفروق التي يحدتها التعليم على أساس برنامج متحد ، في أطفال من أسنان متفاوتة



فدخلت مرة فرقة « السنة الاولى الف » وعمر أطفالها خمس سنوات وبضعة أشهر، وكان عددهم ثلاثين طفلاً، وكان الدرس هجاءً عربياً وكتابة أحرف الكلمات التي يتعلمها الأطفال فلما جاء دور الكتابة قالت المعلمة : —

والآن يا أطفال ليمسك كل منكم طباشيره ويكتب على لوحه الاحرف المكتوبة على السبورة. انظروا إليّ، هكذا يكون امساك الطباشيرة، وأمسكت أصبع الطباشير بيدها اليمنى مواجهة الأطفال فما كان من الأطفال جميعاً إلا أن مسكوا طباشيرهم باليد اليسرى المواجهة تماماً ليد المعلمة اليمنى وهنا لم تدرك المعلمة عكس موقفها بالنسبة للأطفال، كما لم تلاحظ أية يد يستعملون... وللغاري أن يتصور حدوث هذا في كثير من المدارس، لولا يقظة بعض الناظرين أو بعض أهالي الأطفال وشكواهم بما يشاهدون في أطفالهم، وهلعهم من استخدامهم اليد اليسرى. وهنا يصح أن أسأل. هل الأعسر أخط في شيء من الأيمن؟ الجواب سلباً، كما دلت التجارب المقتنة — التي قام بها الدكتور « لي أدورد » في إحدى جامعات اميركا، والدكتور « هفنر » الأستاذ في جامعة كولمبيا في نيويورك، إذ اختار الأخير ثمانية وستين زوجاً من الاولاد يتحد كل زوج منهم في السن والسلوك والنشاط والمزايا الخاصة والجنس، ولا فرق بينهما مطلقاً سوى أن أحدهما أعسر والآخر أيمن. امتحن كل زوج على حدة، وراقب يديه مراقبة دقيقة فلم يبين بينهما اختلافاً، حتى ان المؤثرات الخارجية كان لها تأثير واحد في ميول الفريقين. نشاطهم متشابه واقفالاتهم متساوية. وإنما بدا له أن الأعسر كان أكثر مرونة في بعض الأحيان وألين في موافقة نفسه للبيئة التي يوجد فيها من الذي يستخدم يده اليمنى. من هذه النتائج لازى داعياً طلع الوالدين اذا ما كان أحد أولادهم أعسر انما الذي يجب أن يتخوفوا منه هو ما يحدث من نتائج سيئة بعد محاولة تغيير طفل من استخدام يسراه يميناه إذا كانت هذه طبيعته. وإذا فليعلم الآباء والأمهات أن المعارضة القاسية لرغبة الطفل الفكرية في استخدام يسراه لا تقيده، بل تضره إذ تفقده الموازنة وتسبب له اضطراباً قوياً في جهازه العصبي وتجعله قلقاً. وسندشرح أسباب ذلك بالتفصيل مستقبلاً

دخلت الفرقة المخصوصة لأرى نفس التجربة مع أطفالها، ولا أبالغ اذا قلت أن الخطأ نفسه وقعت فيه معلمة أخرى، إلا أن بعض الأطفال لم يستخدموا ايديهم اليسرى، بل استعمل بعضهم اليد اليمنى، والبعض الآخر استخدم اليد اليسرى. بحثت عن سبب هذا، فوجدت أنه ناشئ عن ضعف انتباههم بالنسبة لأطفال السنة الأولى الف، وذلك يرجع الى الفرق الذي بين أطفال الفرقتين في العمر. ( وليعلم الآباء والمربون، أن أقل اختلاف في العمر بين الأطفال يحدث فروقاً لا يستهان بها بينهم )



أمكن اصلاح حال معظم الأطفال ، لأن استخدام أيديهم اليسرى كان حادثاً طارئاً ، أما الأفراد القلائل الذين كانت حالاتهم شاذة فتحسنت حال بعضهم بعد علاجات اختلفت مددها وأما الذي استعصى أمر علاجه ، فكان الطفل (محمد) — فلم يكن تغيير استخدام يده اليسرى ممكناً ، وقد ضج والداه بالشكوى من حالته ، ففاهمتُ معها في أمره ، واجتهدت ان أقنعها بترك الطفل يستخدم يده اليسرى لان ذلك استعداد فطري فيه ، فلم يقتعنا . فسألتهما هل في أسرة الطفل أفراد يستعملون أيديهم اليسرى ، فأخبراني بأن له جداً على قيد الحياة يستخدم يسراه في الكتابة ، وفي أداء معظم أعماله . وله أيضاً بعض الأقارب يستخدمون اليد اليسرى ، فوجهت نظرهما الى ان هذه وراثية قوية في الطفل ، وأنه يجب تركه واستعدادة ففضبا ، وقالوا : نرجو عدم السماح له بالكتابة يسراه في المدرسة ، وسنشجعه في المنزل بكل وسيلة على استعمال يمينه — قلت حسناً سنفعل ما تريدان ، ورأيت ان نسير بالتجربة الى أقصى حد ، ونهت المعلمات اللاتي يدرسنه الى ان يشجعنه على استعمال يمينه دائماً في الكتابة والرسم وأعمال الاطفال والاكل وغير ذلك ففعلن

ولكني لاحظت بعد أسابيع قليلة ان الطفل اخذ وزنه ينقص تدريجاً نقصاً يستوقف النظر ثم ابتدأ يرتبك في كلامه ، فطلبت من المعلمات عدم التشديد عليه في استخدام يمينه اكتفاء بما يلاقيه من ضغط في المنزل ، فسرّ الطفل وأحب المدرسة وكره المنزل وشكأنه كما شك والداه من بطشه وعدم التفاته ، فأخبرتُهما بأن كل هذا نتيجة تغيير استخدام يسراه يمينه ، ورجوتهما ان يتساهلا معه فلم يقبلا . فقلت اولم تلاحظا ضعفه العقلي والجسمي ؟ ! قالوا . ان ضعفه لم ينتج من استخدام يمينه بدل يسراه قلت وكلامه ، قالوا : انما نشأ من خوفه لانتا زهبه كثيراً في المنزل . قلت سيتحول هذا الارتباك في النطق الى جلجلة كلامية يكون من العسير علاجها . قالوا وما ليد اليسرى والكلام ؟ اجتهدت ان أوضح لها العلاقة بين تغيير استخدام اليد اليسرى باليمنى وبالعكس بقدر ما يقبل عقلاهما ، فكانا اقرب الى الشك منها الى اليقين . وحضر اليّ الأب في الأسبوع التالي وأخبرني بأنه ذهب الى طبيب ماهر واستشاره في أمر ابنه ، وأكد له ان ليس من سبب طبي يمنع استخدام ابنه يده اليمنى . قلت ياسيدي طبيب الامراض الجسمية غير طبيب الامراض التعليمية ، وإني أشير عليك باستشارة عالم مختص بدراسة الاطفال . فقال من استشير ؟ الأمر ليس ذا بال ، فليستعمل الطفل يمينه مهما يكن من الأمر ، فان أمه لا يحزنها شيء اكثر من ذلك . قلت فليكن ما تريدون ، ولكني لن أسأل عن النتيجة ، فلم يمانع . وشدد الجميع على الطفل . . . فسأت حاله . وظهرت عليه الاعراض الآتية —

١ — نسي ما كان قد تعلم كتابته بيده اليسرى بسرعة وسهولة ، وصار ما يكتبه يمينه



عبارة عن سلسلة خطوط معوجة مشتبك بعضها ببعض . ولم يستطع رسمها باعتدال على الخط المسطر أمامه ، بل زاغ بها الى أسفل

٢ — ظهر التلجلج في كلامه بشكل محزن حتى خشي ان يفقد النطق بتاتا

٣ — أصيب بضعف هائل في الذّاكرة

٤ — صار يبكي لأقل سبب

٥ — نحف جسمه ، وذبلت نضارة وجهه

٦ — كره المدرسة والمنزل والاطفال ، وكره اللعب نفسه

وصفوة القول انه صار طفلا بائساً لم ير له صدراً حنوناً يلجأ اليه غيري ، لاني كنت أحدثه محادثات ودية خاصة ، كان يفضي اليّ فيها بما يثاله من ضغط في المنزل ، وشدة من المعامات في المدرسة بسبب هذه اليد اليسرى

قلت له مرة ، واذا تركتك تستخدم يدك اليسرى ماذا تفعل ؟ قال . أحضر لك الخاتم الذهبي الذي وعدوني به اذا انا كتبت بيدي اليمنى ، قلت وهل تكره الخاتم الذي لا بد أن يكون جميلاً ؟ قال . اني اكرهه لأنه يضطرنني الى استخدام يدي اليمنى التي تعني ، ولكنهم يقولون لي في البيت أنه غالي الثمن ، ويدل على أن لابس ولد شاطر فاذا (لبسته بقي شاطرة) فلكي أكون شاطرة أعدت الكرة في رجاء والد الطفل ليفكر من جديد في تركه (محمدًا) يستخدم يسراه . ويظهر انه كان لرجائي بعض القبول هذه المرة ، لما لاحظته على الطفل (ولده) من تغير خيف فتركه يفعل ما يريد وله الخيار في استخدام أي اليدين شاء

غير ان الفرصة كانت قد ضاعت ، ووصل محمد الى حالة تردد وارتباك في تقديم كلتا اليدين وتأخيرها ، وتحيّر تحييراً شديداً الا أنه كان لا يزال أكثر ميلاً لاستعمال يسراه وكانت نتيجة هذا كله بقاء الطفل في فرفته للاعادة — ولم يعارض والداه في ذلك على أمل اعطائه فرصة كافية من جديد لاستعمال يده اليمنى . وأعدنا الذي مضى من التشديد تارة والحيلة أخرى في استخدام يمينه وإهمال يسراه

سار الطفل بمستوى أقل من المتوسط في جميع العلوم التي تلقاها ، وكان ضعيفاً جداً في الكتابة والقراءة والتفكير والانتباه — الا أنه تناسى كثيراً استخدام اليد اليسرى عند ما اقترب من آخر العام الثاني له بالمدرسة ، فاستحق الخاتم الذهبي الذي وعد به ، ونقل الى السنة الثانية بالروضة مع شيء من التساهل تقديرًا لحالته . على أني مع هذا لا أتوسم أن هذا التلميذ سيزر زملاءه في المستوى العلمي مهما يحاول . ولعله الآن بالتعليم الثانوي . فاذا رأى هذا المقال وفهم انه خاص به ، فرجأؤنا ألا يرضن علينا بتقرير عن حالته . وسنوضح في المقال القادم اسباب الجلجلة وعلاجها



# طائرات المستقبل

اتجاه جريير في صناعتها

يجعل صنع ٣٦ ألف طائرة في مصنع واحد  
في السنة أمراً ميسوراً

ان الانتاج الواسع النطاق هو الآلة العصرية في صناعة السيارات الحديثة . فقد دخل كاتب هذه السطور معامل فورد في هيلند بارك بمدينة دترويت الاميركية من سنوات ، وتجوّل فيها فرأى كيف وزّعت الاعمال على العمال المتقنين ، ثم كيف نظمت هذه الاعمال بواسطة « السير المتحرك » وهو سير معدني يسير بسرعة معينة ناقلاً جزءاً من اجزاء السيارة امام عدد من العمال مرتبين بحسب تدرج مراتب العمل في ذلك الجزء ، فيعمل كل منهم عملاً خاصاً فيه ولا ينتهي الجزء الى امام آخر عامل واقف امام السير حتى يكون صنعه قد تم . ومتى صنعت اجزاء السيارة على هذا النمط وغيره في دور مختلفة من المعامل تركب معاً على سير كبير متحرك بالطريقة نفسها . ثم وقف الكاتب امام نهاية هذا السير الكبير فاذا السيارات وقد استوت كاملة الصنع ، تخرج واحدة اثر واحدة بمعدّل واحدة كل دقيقة

ولكن صنع الطائرات لم يبلغ هذه المرتبة من الارتقاء الصناعي . ففي صنع « اجسامها » قد يستغرق دق المسامير وتثبيتها في ما مساحته قدم مربعة من « الجسم المعدني » اربع ساعات وبقضي عمل عاملين . وهذا في عصر الارتقاء الصناعي مفارقة تستوقف النظر ، من شأنها تأخير صنع الطائرات في اِبان السلم تأخيراً قد يتحوّل الى كارثة في حالة نشوب الحرب

ولذلك قضى الضباط والمهندسون ومصمّمو الطائرات سنوات وهم يبحثون عن وسيلة لجلّ هذه العقدة في صناعة الطائرات بحيث تستطيع المصانع ان تختصر الوقت الذي يستغرقه صنعها فتخرجها كما تخرج السيارات . وقد اطلعنا في مجلة السينفك اميركان ( يوليو ١٩٣٩ ) على ان المنافسة بين الامم الصناعية والحربية الكبرى على تحقيق هذا الغرض قد اوشكت ان تسفر عن نجاح طريقة ابتدعها المهندس الاميركي الكولونيل كلارك — وقد كان رئيساً لمهندسي الطيران في الجيش الاميركي في اثناء الحرب العالمية — بالاشتراك مع الدكتور باكلند Baekeland



المستنبط المشهور في حلبة المواد المرنة او العجائن الصناعية Plastics وهو الذي تنسب اليه مادة البالكيت Baekelite المشهورة

والبالكيت مادة جديدة اي انها لا توجد في الطبيعة ، بل مردّها الى التركيب الكيميائي، ذلك بأن الكيميائي الألماني باير شرع في سنة ١٨٧٢ يعالج المواد التي تتولد من تكثيف الحامض الكربولييك والفورمالدهيد . فاذا سخنت هاتان المادتان احدهما مع الأخرى تكونت مادة عجينية راتنجية يتسنى صوغها أو افراغها في قوالب . ثم اذا عرضت للحرارة والضغط تصلبت فتصبح كتلة براقّة

وظلّ هذا النوع الجديد من المواد مطويّ الذكر — من الناحية الصناعية والتجارية — الى ان نبغ كيميائي آخر في اميركا هو الدكتور باكند فأتقن طريقة صنع هذه المادة العجينية العجيبة وأطلق عليها اسم باكليت ، فاشتهرت شهرة واسعة لأن العالم الحديث في حاجة ماسة الى مادة عجينية يتسنى افراغها في القالب المطلوب بحرارة غير مرتفعة ثم تتجمد بسرعة فتصبح صلبة متماسكة وتحفظ بعد ذلك بشكلها وروائها ، بغیر ان تؤثر فيها عوامل الصدأ أو الاحتكاك أو الذوبان أو الحرارة . ولذلك تصنع من مادة البالكيت الآن الصواني والالواح واقلام الجبر والواح المنضدات ومقابض المظلات وعلب الجواهر وعشرات غيرها من الأدوات ، ومازال البحث فيها لأتقان صنعها مستمرّاً (١)

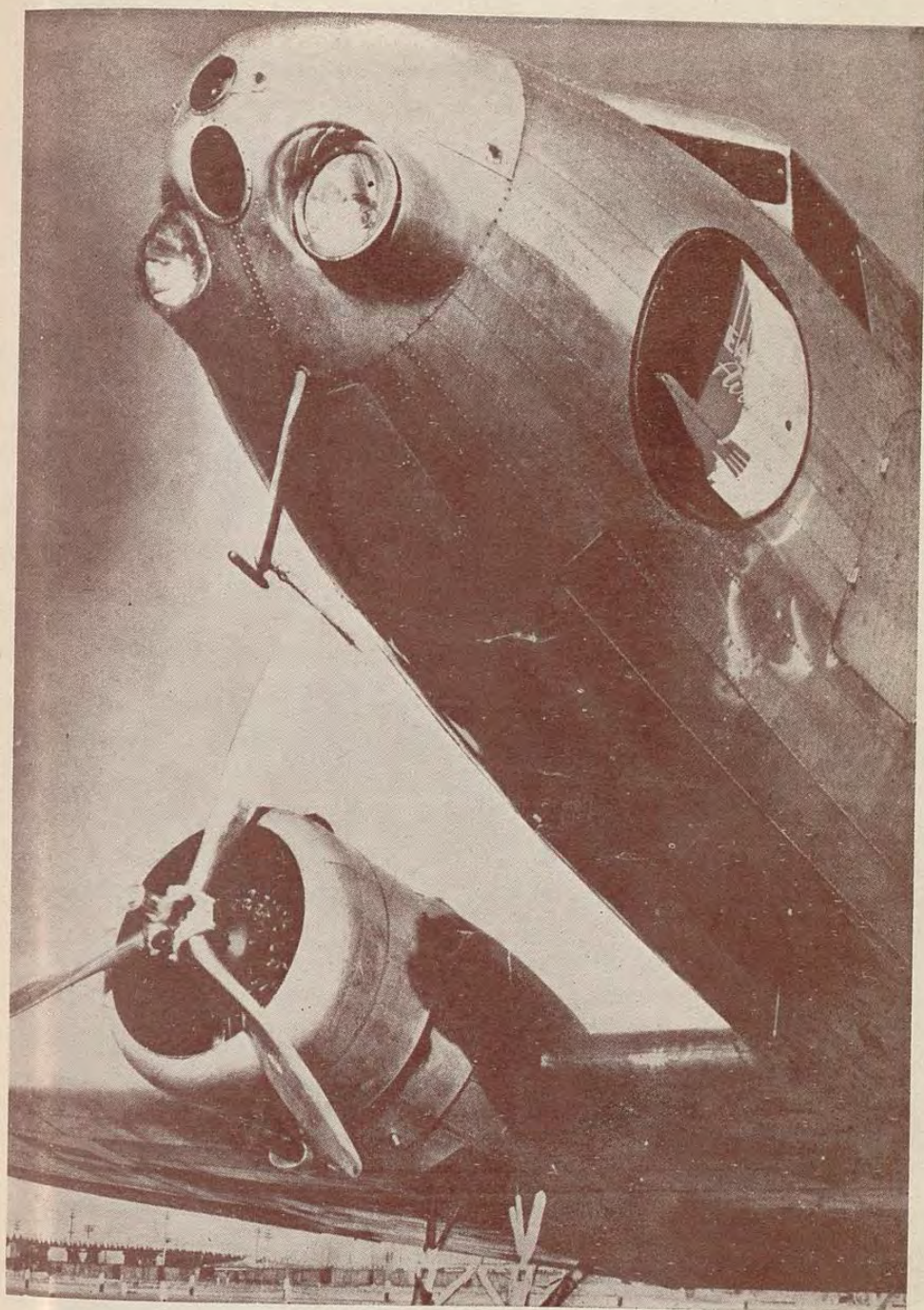
هذه المادة العجيبة هي أساس الاتجاه الجديد في صنع « اجسام » الطائرات على أنواعها ومن هنا قرن اسم الكولونيل كلارك باسم الدكتور باكند

\*\*\*

وقد انقضى الآن سنة ونصف سنة ورجال مطارات اميركا الشمالية من غرب الولايات المتحدة الى شرقها ومن جنوبها الى كندا ، يشاهدون طائرة قرمزية اللون لا يعلمون من امرها الا انها تطوي على سرّ . والواقع ان صانعيها قضوا سنة ونصف سنة حتى الآن وهم يجربونها في جميع الأحوال التي قد تتعرض لها الطائرات من عوامل الجو الكثيرة المتقلبة . وكان مجلس الشيوخ الاميركي يجري تحقيقاً في يناير الماضي في موضوع الاحتكار فدعي للشهادة امامه ابن الدكتور باكند — وهو من طياري الحرب الماضية — فلمّح في شهادته الى وجود

(١) راجع مقتطف يونيو ١٩٣٧ ص ١٠٧ هذا وقد بلغ انتاج العجائن الصناعية في الولايات المتحدة الاميركية ما وزنه ١٠ ملايين رطل سنة ١٩٢٦ و ٣٠ مليوناً سنة ١٩٣٢ و ١٦٢ مليوناً سنة ١٩٣٧





مقدم جسم طائرة معدنية وقد ظهرت فيه مئات المسامير  
التي تربط ألواحها بعضها ببعض



طائرة جديدة، جسمها مصنوع من مادة عجيبة Plastic ذات صفائح. وكان أهم ما استوقف النظر في كلامه زعمه أن في الوسع صنع «جسم» الطائرة من هذه المادة وتركيبه على هيكلها في خلال ساعتين! وهو نصف الوقت الذي يستغرقه دق المسامير في ما مساحته قدم مربعة من «اجسام» الطائرات المعدنية الآن

وما سمع مكاتبو الصحف هذا القول حتى بادروا الى صحفهم يلبثونها بالخبر العجيب واذا القول منشور في صباح اليوم التالي على صفحاتها الاولى بحروف ضخام. وكان كلارك عائداً من اوربا، فأخذ الصحيفة التي ثارت حول هذه الطائرة العجيبة، لأنه شعر ان النشر لا يسوغه سوغ حتى يتم تجاربه

ومقال السينفك اميركان — الذي تلخص عنه — هو اول بيان علمي دقيق عن هذا الاتجاه الجديد

\*\*\*

شغل كلارك بموضوع صنع الطائرات صنعاً واسع النطاق على اساس افراغ اجسام «الطائرات» في قوالب بدلا من وصل الواح المعدن بعضها ببعض بدق مسامير فيها، منذ وضعت الحرب الكبرى اوزارها. ولكنه اضطر ان ينصرف عنه زمناً لأنه عجز عن ابتكار طريقة لصنع جسم الطائرة من نوع مرن من الخشب بلصق رقائقه بصنع خاص ولأن صون الخشب من النخر كان متعذراً. ولكنه أعاد الكرة في سنة ١٩٣٤ بتأييد بعض رجال المال والاعمال لشغورهم ان الوقت قد أوفى لا نقاذ صناعة الطائرات من الورطة التي وقعت فيها ولاعتقادهم انه اذا لم يفعل كلارك ذلك فلا بد ان يسبقه اليه آخر. وكانت مصانع العجان Plastics قد اتاحت للمستبطين والصناع مواد جديدة ربما تكون السبيل الى الهدف

ومن ينظر الى صور الطائرات القديمة ويطالع أوصافها يعلم ان قوام أجسامها وأجنحتها كان قضباناً من خيزران وحريراً مغموساً في مادة واقية وألواحاً من خشب شجر التنوب Spruce وهو صنوبر صغير وأسلاكاً تربط هذه الاجزاء بعضها ببعض. ثم جاءت الحرب فاستعمل نوع مصطنع من الخشب يدعى Plywood (١). ولكن الخشب على كل حال لا يصلح لهذا الغرض إذ من المتعذر وقايته من النخر والفطائر والرطوبة والتعفن والاعوجاج. وفي سنة ١٩٢٩ صنع جسم الطائرات وأجنحتها من خليط معدني، ومعظم الطائرات الحربية والتجارية على هذا الاساس الآن. الا أنك اذا فحست طائرة من هذه الطائرات المعدنية وجدت هيكلها من الدعام لتقويتها علاوة على أنها مصنوعة من ألواح مربوطة بعضها ببعض بألوف من المسامير. ودق

(١) وهو رقائق من الخشب تلصق بعضها ببعض بصنع خاص أو بمادة راتنجية أو بالكهرباء



هذه المسامير وتثبيتها وانجاز صنع الجسم والاجنحة على هذا المتوال يستغرق أسابيع وأحياناً بضعة أشهر. فمصنع دوغلس المشهور بأميركا، لا يستطيع ان يصنع الخمسمائة طائرة التي أوصلت بها بريطانيا في أقل من سنة ونصف سنة مع استنفاد رجاله جميع وسائل الاسراع في الانجاز

\*\*\*

ولكن أنظر الى طائرة كلارك. اذا صحَّ عنها كل ما يقال فيها فانها لا تلبث ان تجعل الطائرات المعدنية من بقايا تاريخ قديم مهما يكن قريباً منا. ان جسمها مشقّق مالمس كأنه من الزجاج لا مسبار فيه. دقق النظر في أسفل جسمها ترى خدشاً هنا وبقعة تغير لونها هناك. وسبب ذلك اصطدام الجسم ببعض الاحجار التي تقفز من تحت العجلات عندما تدرج الطائرات على أرض المطار قبل الطيران او بعده. مع ان هذه الاحجار تحدث نقرات في أجسام الطائرات المعدنية لقد قضت هذه الطائرة ١٦٠٠ ساعة في الهواء في شتّى أحوال الجوّ معرضة للبرد والحر والضغط والرطوبة والمطر والبرد والتلج. دق عليها بقبضة يدك تسمع رنة قدح من البلور سليم من أي شعب فيه. أدخل اليها ودقق النظر في «جسمها» من الداخل فلا تجد دعامة او سلكاً واحداً وكل ما تراه خطأ خفيفاً يدلّك على المكان الذي وصل فيه نصف الجسم بالنصف الآخر

\*\*\*

وقد أطلق كلارك على هذه المادة التي صنع منها جسم طائرته «دورامولد» وهو لفظ اذا ترجم بمعناه كان «القالب المتين». ولكنه اسم مادة جديدة فلنحتفظ به علماً عليها. وهو يصنع بأسلوب سرّي، من العجائن التي اكتشفها باير وأتقن صنعها باكلند ولكن «الدورامولد» ليس من العجائن بحدّ ذاته. لأنه عجينة مصفحة. والفرق بين العجينة الصميّة والعجينة المصفحة ان المصفحة يتخذ لها أساس من ليف عضوي كالخشب أو القطن ثم تستعمل مادة راتنجية Resin للصق الألياف بعضها ببعض وتغطيتها بطبقة خاصة. أما العجينة الصميّة فأساسها مادة راتنجية وقد يستعمل فيها الليف العضوي أو لا يستعمل لمنحها قواماً. ثم أن العجينة الصميّة تحتاج الى حرارة عالية وضغط شديد لصوغها في الشكل المرغوب فيه. اما «الدورامولد» فيفرغ في قالب بغير مشقة تذكر. ومن الطبيعي أن يحتفظ بمكرو أسلوب صنعهِ بسرّه.

ومن خواص «الدورامولد» انه لا يتشظى ولا يصدأ وهو مقاوم لفعل الماء والزيت والاحماض. وعلاوة على هذا كله انه آمن من المعدن. فهو على قول كلارك اذا كان مفرغاً في شكل اسطوانة رقيقة الجدار آمن من الحديد ٤ ر ١٠ الضعف، ومن الصلب الذي لا يصدأ ٣٤



الضعف ، ومن خليط الالومنيوم ١ ر ١٢ الضعف . ثم انه مركب من مواد رخيصة شائعة ، وفي الوسع افرأغه في أي قالب تريد وصوغه في أي شكل تحتاج اليه

\*\*\*

وطائرة كلارك هذه لم يصنع إلا جسمها من « الدورامولد » . أما اجنحتها فمن الخشب واما دفنها وجنيحاتها فمن خليط معدني ، وسبب ذلك رغبته في أن يقابل بين « الدورامولد » والخشب والخليط المعدني بعد اجراء تجاربه عليها ، وقد اثبت الخبراء الذين يشتغلون معه أنه بعد امتحان الطائرة مدى عشرين شهراً ثبت ان المادة الجديدة غاية في المتانة . وينظر ان يصنع قريباً طائرة كل جسمها واجنحتها ودفنها من « الدورامولد »

ولما كانت الطائرة التي جسمها من « الدورامولد » ملساء ، فان مقدار الفرق بين خارجها وبين الهواء في اثناء طيرانها اقل من مقدار الفرق بين خارج طائرة معدنية وبين الهواء . ويبلغ مقدار الفرق ٧ في المائة . وهذا الفرق يزيد سرعة الطائرة ٧ في المائة بغير زيادة القوة المحركة . فالطائرة التي تسير بسرعة ٣٠٠ ميل في الساعة تستطيع ان تسير بسرعة ٣٢١ ميلاً اذا كان جسمها من « الدورامولد »

ولكن اهم اثر لهذا الاتجاه الجديد في صنع اجسام الطائرات هو الانقلاب الذي يحدثه في صناعتها . ففي احد المصانع المعدّة لهذه التجارب — من الناحية الصناعية — استطاع تسعة رجال ان يفرغوا نصف جسم طائرة كلارك في ساعة واحدة والجسم كله في ساعتين ! ثم ارسل الجسم الى مصنع آخر حيث ركب تاماً فاستغرق تركيبه خمس ساعات وثلث ساعة ، لا برّد ولا قرو ولا دق . وقدم هذا العمل ، والبحث ما يزال في طور التجربة . ولا ريب في ان اتقان العمل يفضي الى نقص الوقت الذي يستغرقه

\*\*\*

وغني عن البيان ان تأثير هذا الاتجاه من الناحية الحربية عظيم ومن المتعذر المبالغة فيه . فصانع الطيران في المانيا تضم ١٦٠ الفاً من العمال يضاف اليهم ٢٤٠ الفاً آخرين في مصانع اجزاء الطائرات والالواح المعدنية . ولكن استعمال « الدورامولد » يغني متى اتقن ، عن معظم هؤلاء . فاذا كان احد المصانع يحتوي على عشر مجموعات من القوالب لجسم الطائرة واجنحتها ودفنها استطاع ماثنا عامل في مصنع لا يزيد على بناية كبيرة ان يخرجوا ٣٠٠ جسم طائرة في الشهر . واذا كان في المصنع مائة مجموعة من القوالب استطاع الفاعل ان يصنعوا ويجمعوا اجسام ٣٦ الف طائرة في السنة



# محمد شاكر

شوال سنة ١٢٨٢ — ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٨  
مارس سنة ١٨٦٦ — ٢٩ يونيه ١٩٣٩

لا صحر محمد شاكر

فقدت مصرُ وفقد العالم الاسلامي كله عالماً من كبار العلماء ، ومجاهداً من أعلام المجاهدين وقف حياته على خدمة الوطن ، وخدمة الاسلام ، وخدمة الشرق — : في سبيل الله وقد رغب اليّ صديقي الأستاذ فؤاد صرّوف — محرر المقتطف — أن أترجم له ترجمة موجزة فأجبتُ ، ثقةً مني أن سيغلب الجانبُ العلميُّ في عاطفة النبوة ، وقد مرّنتُ نفسي على فنون الحديث والتاريخ ونقد الرجال ، وزعمتُ أني مستطيعٌ أن اكتب عنه تاريخاً صحيحاً ، لا غلو فيه ولا إسراف ، وأنّي إن كتبت مدحاً أو ثناءً فإنما هو حقُّ التاريخ عليّ

السيد محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، من آل أبي علياء ، وهم أسرة معروفة من أشرف الصعيد ، بمدينة جرجا

ولد بها في منتصف شوال سنة ١٢٨٢ (مارس سنة ١٨٦٦) وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى مبادئ التعليم ، ثم رحل الى القاهرة ، الى الازهر الشريف ، فتلقى العلم فيه عن كبار الشيوخ في ذلك العهد . وفي ١٥ رجب سنة ١٣٠٧ (٤ مارس سنة ١٨٩٠) عين أميناً للفتوى ، مع أستاذه العظيم ، الشيخ العباسي المهيدي ، مفتي الديار المصرية إذ ذاك . ثم أصهر الى جدّي لأمي ، العلامة الكبير ، إمام العربية غير مدافع ، الشيخ هرون بن عبد الرازق ( المولود بقرية بنجا من قرى مركز طهطا في يوم الخميس ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٩ والمتوفى بالقاهرة في يوم السبت ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٦ رضي الله عنه )

ثم ولي منصب « نائب محكمة مديرية القليوبية » وصدر الأمر العالي بذلك في ٧ شعبان سنة ١٣١١ ( ١٣ فبراير سنة ١٨٩٤ ) ومكث فيه أكثر من ست سنين

وكان في عمله القضائي يفكر في إصلاح المحاكم الشرعية ، بل لعله — فيما نعلم — أول من فكر في ذلك ، فقد أخبرني رضي الله عنه أنه حين كان أميناً للفتوى جاءت امرأة شابة حكمت على زوجها بالسجن مدة طويلة ، وهي تحشى الفتنة ، وتريد عرض امرها على المفتي ليرى لها رأياً في الطلاق من زوجها ، حتى تزوج رجلاً آخر ، تعصم به نفسها ، فصرفها الوالد رحمه الله معتذراً أسفاً



مثلاً ، اذ كانت الأحكام مقيدة بمذهب أبي حنيفة ، والعلماء المقلدون يأبون التفكير في مخالفة مذهبه ، بل يكادون يرون في الخروج عن المذهب أكبر المنكرات . وليس في مذهب أبي حنيفة ما يجيز للقاضي أن يطلق على الزوج المعسر أو المحبوس أو نحو ذلك . ثم عرض الوالد أمرها على شيخه المفتي ، واقترح عليه اقتباس بعض الأحكام من مذهب الامام مالك في مثل هذه المشاكل المعضلة ، فأبى الشيخ كل الإباء ، واستنكر هذا الرأي أشد استنكار ، وكان بين الأستاذ وتلميذه جدال حاد في هذا الشأن ، ولكنه لم يؤثر في ما كان بينهما من مودة وعطف . وما زال مقتنعاً برأيه ، واثقاً بصحته وفائدته للناس

حتى كانت سنة ١٨٩٩ وقد مكث في المحاكم الشرعية نحو خمس سنوات ، وظهر على كثير من عيوبها ، وما يرهق الناس من أحكامها ، سواء أكان ذلك في التشريع المعمول به ، وهو التقيد بمذهب أبي حنيفة ، أستغفر الله ، بل التقيد بما قال علماء من متأخري اتباعه ، والتمسك بألفاظهم الحرفية ، أم كان في سوء اختيار عمالها ، من قضاة وغيرهم ، أم كان في إجراءاتها المعقدة المطولة ، أم كان في نظمها وحقارة أمكنتها ، أم كان في إعراض الحكومات المصرية عن العمل على إصلاحها ، اتباعاً لسياسة مرسومة في القضاء عليها ، تقليداً للإفرنج ولما أشربوا آراءهم وعقائدهم ، رأى الوالد كل هذا وأكثر منه ، فوضع تقريراً نفيساً قدمه لأستاذه الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، رحمة الله عليه ، نقد فيه هذه المحاكم وقضاتها وعمالها وكل حالاتها ، وأبان عن أوجه النقص والخطأ في اللائحة التي كان معمولاً بها في ذلك الوقت ، واقترح طرق الإصلاح تفصيلاً ، ومنها اقتباس بعض الأحكام من مذهب مالك ، في التطبيق للاعسار ، وللضرر ، وللغيب الطويلة ، وغير ذلك ، وكان ذلك التقرير فاتحة العمل الصحيح في سبيل اصلاح المحاكم الشرعية ، والرقى بها الى مقامها السامي في الاسلام . وهذا التقرير لا تزال صورته الأصلية عندنا بخط الوالد ، وقد قدمته الى دار الكتب المصرية فصورته بالتصوير الشمسي ، ليكون بها أثراً علمياً تاريخياً ، لمن شاء ان يرجع اليه

قدم الوالد هذا التقرير في اوائل سنة ١٨٩٩ وفي صيف تلك السنة طاف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده على كثير من محاكم الوجه البحري ، واطلع على سير الاعمال فيها ، ليصف لها الدواء والعلاج بحكمته ، ثم وضع هو ايضاً تقريره المشهور في اصلاح المحاكم في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، وهو التقرير الذي طبع بمطبعة المنار في شوال سنة ١٣١٧ (سنة ١٩٠٠) ، فاتفق رأي الأستاذ الامام ورأي تلميذه ، في كثير من أنواع النقد وطرق الإصلاح

ولكن يظهر أن الأستاذ الامام لم يجد الفرصة مواتية لاقتراح احكام تخالف مذهب الامام أبي حنيفة ، وخاصة في التطبيق من القاضي ، فترك الكلام في ذلك ، وأشار في الكلام



في المرافعات إشارة عامة ، ودعا الى الأخذ بشيء من أحكام المذاهب الثلاثة الأخرى (ص ٣٨) وأظن أن الاستاذ الإمام رأى أن يمكن للوالد في بعض البلدان حتى ينفذ آراءه في الإصلاح ولذلك زكاه لمنصب قاضي قضاة السودان ، وأخذ ولي الأمر بتزكية الإمام ، فصدر الأمر العالي بإسناد هذا المنصب اليه في يوم ١٠ ذي القعدة سنة ١٣١٧ ( ١١ مارس سنة ١٩٠٠ ) وكان ذلك بعقب انتهاء الثورة المهدية ، وعودة السودان الى حظيرة مصر مُلكاً واحداً ، ودولة واحدة ، وإن فرقت بينهما في المظاهر مقتضيات السياسة

وكانت بلاد السودان حينئذ كما تكون البلاد بعد الثورات الماحقة ، هدمت النظم والقوانين والحكومة ، فكأنها كانت بلاداً بكرّاً ، ينشأ فيها كل شيء من ذلك انشاءً جديداً ، وكان ذلك أيسر له في وضع النظم للمحاكم هناك على النحو الذي يريد ، وتنفيذ آرائه كلها أو أكثرها في الإصلاح والتجديد ، على مثال لم يسبق اليه ، واقتبس في التشريع من المذاهب الاسلامية ما كانت الحاجة اليه ماسة ، مما تنصره أدلة الشريعة وفقهها الصحيح . وأشد ذلك ظهوراً للمتصلين بالقضاء الشرعي الحكم بالتطبيق للغة والاعسار والحبس والضرار ونحوها ، مما اقتبس في مصر بالقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ووضع كثيراً من القواعد الدقيقة الاجراءات مما اقتبس بعضه في مصر في اللائحة التي صدرت سنة ١٩١٠ فسبق السودان مصر في بعض نواحي الإصلاح بعشر سنين ، وفي بعضها بعشرين سنة

ولولا أن السياسة العامة للدولة المصرية في التشريع والقضاء وضعها ناس لا يعرفون الشريعة الاسلامية ودقائقها ، وغرهم مارأوا من ضعف القضاء الشرعي بضعف رجاله في ذلك العهد ، واحتكر تنفيذها ناس جهلوا دينهم فأعرض عنه بعضهم وعاداه بعضهم ، لولا هذا لسار في القضاء الشرعي سيرة تمكن له في البلاد أن يكون القضاء العام في الشؤون كلها ، من مدنية وجنائية وشخصية ، ليكون الحكم في بلاد الاسلام بشريعة الاسلام ، كما هو الواجب على كل مسلم أن يعمل له ، طاعة لله ورسوله . ولا تزال آثاره في السودان قائمة ، يسترشد بها العلماء والقضاة والحكام ، ولا يزال أهل السودان — وهم أهلنا وإخواننا — يحفظون له أجل الذكرى ، ويعرفون له مواقفه الحازمة في خدمة البلاد ونصر الاسلام ويحفظون له أنه لم يشغله القضاء ، ولم يلهه المنصب السامي عن تعليم الناس شؤون دينهم ، بالدروس العلمية والخطب والمواعظ ، وقرأ لهم صحيح البخاري كله ، وهو أصح مصدر للسنة النبوية

\*\*\*

ثم في ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٤ صدر الأمر العالي بتعيينه شيخاً لعلماء اسكندرية فبعث فيها نهضة علمية كانت فاتحة خير ، بزغ نورها في ارجاء المملكة المصرية ، وقصدها الطلاب من أطراف



البلاد ، وبث فيهم من روحه الوثابة ، فأحيائهم حياة أخرى غير ما كانوا يعرفون في المعاهد الدينية وضع أسس النظام في التعليم ، وأحسن اختيار الكتب والمقررات في الدراسة ، من العلوم الدينية والعربية وما إليها ، ومن العلوم الأخرى التي يحتاج إليها طالب العلم في ثقافته العامة ، مما يسميه الناس « العلوم الحديثة » وأكثرها كان معروفاً في الأزهر بتدريسه أهله ، إنما كانت اختيارية لا اختبار فيها ، فجعلها إجبارية ، واختار لعونه في عمله نوابغ العلماء من الأزهر ، والرعيل الأول منهم أربعة : الشيخ عبدالله دراز والشيخ عبد المجيد الشاذلي والشيخ عبد الهادي مخلوف رحمهم الله ، والشيخ إبراهيم الجبالي شيخ معهد طنطا الآن متعنا الله بحياته . وكانت هذه « العلوم الحديثة » يعلمها للطلاب علماء الأزهر أنفسهم

وسن حينذاك سنة حسنة ، أن يحتفل في آخر كل عام دراسي احتفالاً رسمياً بالناجحين من الطلاب ، تعطى لهم المكافآت من الكتب العلمية النفيسة ، ويحضره سمو الخديوي أو نائب عنه ويحضره الوزراء والكبراء والعلماء والطلاب ، في مسجد أبي العباس ، ويخطب فيه شيخ العلماء خطبة تناسب المقام ، وهي خطبة مشهورة معروفة ، ومن أشهرها الخطبة التي ألقاها في الاحتفال يوم السبت ٢٢ رجب سنة ١٣٢٥ ( ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧ ) والتي ردّ فيها على اللورد كرومر بكلمات تعرض فيها للإسلام ، وكان من شهود هذا الحفل ( أصحاب العطفة حسين فخري باشا القائم برآسة مجلس النظار ، وناظر الاشغال العمومية ، وأحمد مظلوم باشا ناظر المالية ، وأصحاب السعادة والعزة محافظ الاسكندرية ، ورئيس الديوان العربي الخديوي ، ووكيل ديوان عموم الاوقاف ) الى آخر من ذكروا في وصف الاحتفال في ( التقرير الرابع عن أعمال مشيخة علماء اسكندرية سنة ١٣٢٤ دراسية المرفوع للحضرة الفخيمة الخديوية ) فقام بالواجب عليه من الذب عن الاسلام ، في هذا المقام الخطير ، خير قيام

وكان مما قال في هذه الخطبة كلمته المحفوظة السائرة : ( ويقولون : « إن هذا الدين يحجز الرق ، ويتضمن سنناً وشرائع في علاقات النساء بالرجال تناقض آراء أهل هذا العصر » . نعم إن الدين الاسلامي أباح الاسترقاق كما أباحت كل الشرائع السماوية من قبل ، ولكنه سوّى بين الأرقاء وبين الآباء والأمهات في الوصية بالاحسان ، والرفق والحنان . أليس يقول الله تعالى في كتابه العزيز : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . أباح الدين الاسلامي استرقاق الافراد ، ولكنه بحمد الله لم يبيح استرقاق الشعوب ، ولا مصادررة الانم في مقومات حياتها القومية والاجتماعية . اما علاقات النساء بالرجال فليس وراء الشريعة الاسلامية غاية في عدل ولا في مرحمة ، ولا في



محافظة على الأعراض المصونة ، يتطلع اليها اصحاب النفوس الالية ) . والمناهج التي رسمها للمعاهد الدينية هي الأسس الثابتة للتعليم الصحيح ، الذي يؤتي الثمرة المرجوة منه ، ولا يزال اكثرها قائماً الى الآن ، وهي مفصلة في التقارير التي كان يرفعها لولي الامر في آخر كل عام وكانت غايته من التعليم الديني ان يخرج رجالاً كامليين ، يعرفون دينهم ويخشون ربهم ، يقولون قولة الحق ، لا يخافون في الله لومة لائم . يتصلون بأممهم واثق الصلات ، فيشعرون بما تشعر ، ويحسون ما تحس ، في شؤونها الدينية والدنيوية ، يهتفون علمهم وتربيتهم وثقافتهم لقيادة الأمة الى طرق المجد ، والى سبل الاصلاح في الاحوال كلها ، اجتماعية كانت أو سياسية . وقد اشار الى هذا المعنى في مقدمة التقرير الذي رفعه عن اعمال المشيخة سنة ١٣٢٢ قال : —

« وما يجب أن يتنبه له عقلاء الاسلام وعظماء الامة ، أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصراً في طبقات الفقراء ، وبعض الطبقات الوسطى من الامة الاسلامية ، دون الطبقات العليا منها ، وذلك خطر غير قليل على الجامعة الاسلامية ، بمرور الدهور والاعوام ، اذا قدر أن ينتهي الامر بالانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات ، فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولها سواهم من الطبقات الاخرى ، وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم ، وبعبارة أوضح : تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية ، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكرام القوم ، وخاصة المسلمين وعقلاء الامة . فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا ، فلعلهم اذا فكروا فيه كثيراً يترجع عندهم أن يتربى أبناءهم تربية دينية اسلامية محضة ، تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، حتى اذا تخرجوا على هذا المبدأ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم ، الخدمة التي ترحي من أمثالهم ، مع الترفع عن الدناة وعن السقوط في مهاوي الخسران . واذا شاء عظماء الامة أن يتربى أبناءهم هذه التربية فليهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ، ويجعلوا له المكانة العليا في أئمة الناس أجمع ، وما ذلك على الله بعزيز . نسأله الهداية والتوفيق لاقوم طريق »

وقد بدأ بنفسه في تنفيذ ما دعا الناس اليه ، ليكون مثلاً يقتدى به ، فأخرجنا — أنا وأخي السيد علي — من المدارس المدنية الى المعاهد الدينية ، وكنت في السنة الرابعة بكلية غردون بالخرطوم ، فاستأنفت الدراسة في السنة الأولى بالقسم الأولي من معهد الاسكندرية وكان اكثر ما يحرص عليه في طالب العلم ان يكون قوي الخلق عزيز النفس مستقلاً الرأي ، تمهيداً لما كان يرجو ، من إخراج رجال يزوجهم في معتك الحياة ، ويثبت منهم في أعمال الدولة من إدارة وغيرها ، وقد كان متفاهماً على هذا مع ولاية الامور ، كما سمعت منه مراراً ، في سبيل الاصلاح العام ، حتى نُبِئت الروح الاسلامية في نظم الدولة ، وتقوام تغلغل النفوذ الأجنبي ، الذي كاد يخرج بالدولة وبالأمة عن دينها وعن مقومات حياتها . كان يرجو أن يعيد للاسلام مجده لو تحقق ما كان يرجو

وفي اواخر سنة ١٣٢٤ ندب للقيام بأعباء منصب مشيخة الجامع الازهر نيابة عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربيني بالاضافة الى عمله في مشيخة الاسكندرية ، أربعة أشهر ، من رمضان الى ذي الحجة



وفي ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ ( ٢٩ ابريل سنة ١٩٠٩ ) صدرت الارادة السنية بتعيينه وكيلا لمشيخة الجامع الازهر ، فسار فيه سيرته في الإصلاح ، ومهد لذلك برحلة واسعة الى الصعيد ، صدر بها اليه أمر عال ، زار فيها مدن الصعيد وكثيراً من قراه ، يستطلع أحوال الدراسات الدينية في مساجده ، مهيئاً لانشاء معاهد علمية فيه ، تكون فروعاً من الازهر ، كما تحقق أخيراً بالانشاء معهد اسيوط وقتاً . ثم صدر قانون النظام في الازهر سنة ١٩١١ وانشئت فيه ( هيئة كبار العلماء ) فكان في الفوج الاول منها الى أن مات . وعهد اليه بتطبيق هذا القانون ، فألثىء القسم الأولي ، وعين شيخاً له مع عمله في وكالة الازهر ، وكانت في القانون بعض نظم لا يرضاها ، وضعت على الرغم من معارضته ، فكان يبذل جهده في التخفيف من اخطاء القانون . وله في ذلك مواقف معروفة مشهورة ، لا يسع المقام تفصيلها

وفي سنة ١٩١٣ انشئت الجمعية التشريعية ، وكان في السابعة والاربعين من عمره ، وليس بمستطيع ان يطلب الاحالة الى المعاش قانوناً وهو في تلك السن ، وكان من قانون الجمعية ان الموظف اذا انتخب او عين عضواً فيها خيّر بينها وبين عمله الحكومي ، فان اختارها احيل الى المعاش ، وكان له الحق في العودة الى منصبه ، فرأى الفرصة سانحة لطرح اغلال المناصب الحكومية ، والتقلت من إسارها ، وما يحاك حوله فيها ، في الازهر وخارج الازهر ، فرغب الى اخيه وصديقه وصفيّه ، المغفور له ( محمد سعيد باشا ) ، وكان ناظر النظار إذ ذاك ، أن يكون عضواً معيناً في الجمعية ، فأجاب طلبه . وبذلك ترك المناصب الرسمية ، وأبى ان يعود الى شيء منها ، ولم يخضع بعد ذلك لشيء من مغرياتهما ، بل فضّل ان يعيش حرّاً للرأي والعمل والقلب والقلم وعاش في حريته كما عاش في مناصبه ، للناس لا لنفسه ، ما قصده طالب حاجة إلاّ بذل له من نفسه وماله وجاهه ، يعمل الخير للخير ، ولوجه الله

وكانت له في كبريات الصحف ، وفي المقطم خاصة ، اثناء الحرب العظمى ، جولات صادقة ومقالات نيرة ، لا يزال صداها يدوي في آذان كثير ممن عُنُوا بالشؤون السياسية في ذلك الوقت . اذ كان مرمى كتاباته كلها الى الدفاع عن بيضة الاسلام ، وردّ كيد المهاجمين ، من المعتدين والحائثين ، خشية أن يكون ما كان ، من تقطع أوصال الأمة الاسلامية ، وتفرقها أمماً متباينة ، بدعة القوميات التي اخترعتها أوربة ، لتفرّق بها كلمة المسلمين ، وتضرب بعضهم ببعض ، ولتفتنهم عن المبدأ السياسي والاجتماعي السليم الذي شرعهُ الله لهم ، وأمرهم باتباعه والعصّ عليه بالنواجذ : ( إن هذه أمّتكم أمة واحدة ) ( سورة الأنبياء آية ٩٢ وسورة المؤمنون آية ٥٢ )

ثم قامت الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ ، فضرب فيها بسهم وافر ، وتبعه أهل الأزهر قاطبة ، فكان هو الروح الوثابة فيهم ، وكان هو القائد ، وكان هو الزعيم



وكتب في الشؤون السياسية المصرية عشرات من المقالات في الصحف ، أبانت عن بعد نظره ، وصدق فراسته ، حتى لقد توقع فيها كثيراً مما كان بعد سنين ، إذ درس مرامي السياسة الانكليزية ، في شؤون الأمة المصرية والأمة الاسلامية ، وعرف كيف يسعون الى نيل مقاصدهم حتى لقد كنا في العهد القريب ، اذا اذلهم الخطب ، واضطربت الأمور ، رجنا الى مقالاته في الظروف المشابهة لها ، فوجدنا أنه يكاد يصف ما نحن فيه ، وكأنه يكتبه حين قرأناه وكأنه ينظر اليه بنور الله

ولم يفكر يوماً واحداً في خوض معترك الأحزاب المصرية بل كان يترفع عن أن يسلم مقاده الى أحد من الناس ، كائناً من كان ، كما أبى من قبل أن يعود الى إيسار المناصب الحكومية ، وكان يقول للزعماء والقادة قوله الحق ، فينقد خطأ المخطيء ويمدح صواب المصيب ، وعن ذلك كان يظن كثير من الناس أن له هوى أو ضلماً مع بعض الأحزاب أو الزعماء ، إذ كان يكثر خطأ المخطيء ، فيكثر من نقده والنصيحة له ، فيظن المنتقداً أو انصاره واتباعه أن الناقد من خصومه ، او من انصار خصومه

وبجانب هذا لم يدع مسألة شرعية او اجتماعية ، أثرت في الصحف ، مما يتعلق بشؤون الاسلام والمسلمين — إلا قال فيها ما يراه حقاً وصواباً . وصَدَعَ بما أمر الله به الدماء والهداة ، وأعرض عن المنكرين ، ثقة بربه ، وتوكلاً عليه . اذ كان أبرزُ سجاياه ، أنه صلبٌ في دينه ، صلبٌ في عقيدته ، صلبٌ في رأيه ، شجاعٌ غير جبان ، لا يرهب أحداً من الناس ، ولا يخشى إلا الله

\*\*\*

أما الناحية العلمية منه فإنه كان عالماً بكتاب الله ، يفقهه ويعرفه ، ويدوم مدارسته والفوص على أسراره ، وكانت له في التفسير نظرات دقيقة ، وقد قرأ لنا التفسير مرتين ، مرة في تفسير البغوي وأخرى في تفسير النسفي . وله في السنة اطلاعٌ جيدٌ وفقه سليم ، وقرأ لنا صحيح مسلم وسنن الترمذي والشهائل وسنن النسائي وبعض صحيح البخاري . وقرأ لنا فقه الحنفية في كتاب الهداية ، على طريقة السلف ، في استقلال الرأي وحرية الفكر ، ونبت العصبية لمذهب معين ، وكثيراً ما خالف مذهب الحنفية عند استعراض الآراء ونحكيهم الحجة والبرهان ، ورجح ما نصره الدليل الصحيح . وقرأ لنا في الاصول جمع الجوامع وشرح الأسنوي على المنهاج . وفي المنطق شرح الخبصي وشرح القطب على الشمسية وغيرها . وفي البيان الرسالة البيانية . الى غير ذلك من الرسائل الصغيرة في علوم مختلفة

وكان في العلوم العقلية آية من الآيات ، بل هو اقوى رجل ظهر في الأزهر فيها . ولذلك



لم يكن يصمد له أحد في مناظرة أو جدال ، لا بداعيه في إقامة الحجّة وإخفاف المناظر ، لحسب ذهنه وتسلسل أفكاره ، وانتظامها على قواعد المنطق الصحيح السليم . ولست أقول هذا خفراً أو غلوّاً ، بل أشهد به عن يقين وخبرة ، وقد تلقيت عنه أكثر العلوم العالية ، ولازمت دروسه أكثر من ثمان سنين ، في الصباح والمساء ، كما يعرف ذلك ويشهد به إخواني في الدرس والطلب ، وكما يقر به المنصفون من أقرانه من أهل العلم وأخلاقه كانت أخلاق العلماء الأولين ، كان رجلاً مسلماً ، يخاف الله ويرجو رحمته ، ولا يخاف غيره ولا يرجوه ، يعمل ما يعمل ، أو يقول ما يقول ، خالصاً لله . أذكر أنه في أوائل الثورة المصرية ، كتب نداءً شديد اللهجة ، يزيد في وقود الثورة ، ثم دعاني أنا وأخي السيد علي ، وقرأه علينا ، يطلب رأينا ، فأعجبنا به ، وقلت له : ولكن بعده الاعتقال ، فما عباً بذلك ، وأذاعه على الناس في الصحف

ولم تكن الدنيا من همه في شيء ، وقد كانت تجري على يديه ، وكان له من النفوذ في الدولة ما يمكن له من الغنى لو أراد ، وكان دائماً مقرباً إلى العرش ، بل أتى عليه حين من الدهر كان أقرب الناس إليه زلفى ، فعصمه زهده وعفته وإباؤه . ولقد حدثني واحد من شيوخى حفظه الله ، منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، أنه حاوره مرة ليحمله على شراء دار لأولاده ، فأبى رحمه الله ، وقال له : إنما أحسن تربيتهم وتعليمهم ، ولهم رزقهم عند الله . وكان يضع الميزانية سنوياً لمعهد اسكندرية ثم في الأزهر ، وكان يقرر فيها ما يستحقه العلماء والموظفون من علاوات ونحوها ، فكان يكتب لنفسه أمام اسمه ما لا يخطر على بال أي رئيس أو عامل أن يصنعه ، كان يكتب بخطه لنفسه ( لا يستحق شيئاً ) . ولو أراد لنفسه عرض المال لاستحق شيئاً كثيراً

\*\*\*

ومنذ سنة ١٩٣١ اعتزل الدنيا ، ثم أقعده المرض في المنزل ، وألزمه الفراش ، إذ أصابه الفالج ، فاحتمله صابراً محتسباً ، راضياً عن ربه وعن نفسه ، موقفاً أنه قضى دينه ، فقام بما وجب عليه خير قيام ، نحو دينه ونحو أمته ، منتظراً دعوة ربه لعباده الصالحين : ( يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جناتي ) إلى أن جاءت الدعوة فأجاب ، هادئاً راضياً مطمئناً ، فقبضه الله إليه في منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ ( ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٩ )

ونسأل الله أن يلحقه بأبائه الطيبين الطاهرين ، وإخوانه الصالحين السابقين . ( والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلثة من الأولين . وقليل من الآخرين ) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



# البن والقهوة

بين التاريخ والعلم

شجرة البن من أصل افريقي ولكنها ظهرت أول ما ظهرت شجرة تزرع وتجنى ثمارها، في شبه الجزيرة العربية على ما يعلم . واول وصف لها مرتدٌ الى مخطوطة عربية من القرن الخامس عشر . ففي ذلك العهد كانت تزرع على السواحل الشرقية للبحر الاحمر ، ولعلها حلت الى البلاد العربية مع الغزاة الاحباش قبل قرن او قرنين من الزمان وجاء في دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة مادة Coffee ما ملخصه: ان اللفظة الفرنجية Coffee تردُّ على الغالب الى اللفظ العربي « قهوة » وقد ذهب بعضهم الى أنها تردُّ الى « كفا » وهو اسم مقاطعة في الحبشة حيث تنمو شجرة البن بريّة والجنس كوفيا Coffea وهو من الفصيلة الفويّة Rubiaceae يشتمل على ٢٥ نوعاً منتشرة في المناطق الحارة في العالم القديم وفي افريقية على الغالب . فعلاوة على وجودها في الحبشة توجد كذلك في منطقة موزمبيق وعلى سواحل بحيرة فكتوريا نيانزا وفي انجولا على الساحل الغربي . وفي ليبيريا بنُّ يعرف باسم « كوفيا ليبريكا » وقد انتشرت زراعته في بلدان مختلفة . ومنها بنُّ سيراليون ويعرف باسم « كوفيا ستيوفيليا » وبن الكنفو ويعرف باسم « كوفيا روبستا » وهناك نوع آخر يعرف باسم « كوفيا اكسليسا » وينتظر له مستقبل باهر ولكن أشهر أنواع البن هو المعروف باسم « كوفيا أرايكا » وشجرته دأمة الاخضرار تنمو حتى يبلغ ارتفاعها من ١٨ الى ٢٠ قدماً ولها أوراق بيضية مستطيلة ملساء لامعة يبلغ طولها ست بوصات وعرضها بوصتين ونصف بوصة . والزهر أبيض يقق له عَرَفٌ عطري . والثر كالكرز الصغير تحتوي كل ثمرة على حبتين مدفوتين في لبٍ طري أما البن الليبيري فيختلف عن العربي في ان أوراقه وازهاره وحبوبه اكبر ، وشجرته اخصب اتاجاً ، ولكن نكهته دون نكهة العربي . ثم انه ينمو على مرتفعات واطئة لا تصلح لشجر البن العربي والبن في اللغة حبٌ شجر يعرف به على هيئة نواة الثمر الصغيرة يحمص ويعمل من دقيقه





غصن من شجرة البن  
المربي (كوفيا ارايكا)



جني حبوب البن . ونسبلاً للجنبي يحفظ ارتفاع  
الشجرة بين ٦ — ٨ اقدام



غصن من شجرة البن العربي وقد  
ظهرت فيه الازهار والحبوب



مطبوخ يقال له القهوة.... والقهوة الحمر قليل سميت بذلك لأنها تقهى أي تذهب بشهوة الطعام. والمولدون يسمون شراب البن بالقهوة وربما سموها البن نفسه قهوة. وتشبيه القهوة بالحمر حمل بعض المشايخ القدماء على تحريمها وعلى ذلك قول الشاعر

قهوة البن حرمت فاشربوا قهوة الغنم

وقد جاء في رسالة عنوانها البن أو القهوة Coffee وضعها الباحث دالغرن Dahlgren الأمين الاول لقسم النبات في متحف فيلد يشيكاغو ما يلي :

ان استعمال شراب البن نشأ اولاً في بلاد العرب وغدت المقاهي مجتمعاً يتبادل فيه الناس النواذر واحاديث التجارة والسياسة ولكن المقاهي اقبلت في مكة المكرمة سنة ١٥١١ بعد تحريم القهوة وكسرت في القاهرة سنة ٢٥٣٤ ومنعت رخصتها في الاسكندرية غير مرة.

وكانت بلدة مخا<sup>(١)</sup> ببلاد العرب اهم مركز من مراكز تجارة البن واحتفظت ببلاد العرب مدى قرنين من الزمان بما يكاد يكون احتكاراً لهذه التجارة. وفي مستهل القرن السابع عشر انتشر استعمال القهوة من الاسكندرية الى ايطاليا ويقال ان ظهورها الاول في ايطاليا كان في البندقية سنة ١٦٢٤ ثم في روما سنة ١٦٢٥. ومن ثم اخذت المقاهي تكثر في شتى المدن حتى قيل ان باريس غدت بمقاهيها الالف والثمانمائة مقهى كبيراً، وروي ان عددها في لندن بلغ في سنة ١٦٧٥ ثلاث آلاف مقهى.

ولم ينتشر شرب القهوة في المانيا بالسرعة التي انتشر في غيرها من البلدان ولكن لم تنقض مائة سنة على ادخالها الى المانيا على يدي فردريك الكبير حتى قال احد الكتاب « ان زيادة المستهلك من البن في المانيا يؤسف له. فكل عامي وفلاح تقريباً تعود شرب القهوة »

ووصلت القهوة الى روسيا عن طريق النمسا والاسكندرية ولكن غلاء ثمنها حال دون انتشارها في روسيا. وفي القرن الثامن عشر وصلت الى البلدان السكندرية حيث يفوق المستهلك منها في البيوت معدل المستهلك في هولندا

\*\*\*

تبدأ شجرة البن العربي في الازهار في السنة الثالثة من حياتها وتغل غلتها الاولى في السنة

(١) ومنها الاسم الفرنسي Moka جاء في مقالات وصفي زكريا عن اليمن مقتطف مارس ١٩٣٧ صفحة ٢٢١ ما نصه :— وفي أقصى الجنوب فرضة « مخا » التي كانت في العصور المتوسطة مدينة كبيرة تعد اكبر موافي اليمن بل كل جزيرة العرب ويدخل مرفأها الامين سفن الهند والحبشة والرنج وتصل اليها قوافل مصر والمجاز وغيرها فتبادل العطور والطيوب والاصباغ والمنسوجات والمصنوعات والرقيق. وكان فيها ٧—٨ آلاف دار وعشرات من الخانات والمستودعات لا تزال اطلالها ماثلة. وكانت البن اليمني الناجم في لواء نقر وأفضيته يصدر منها ويعرفه الافرنج باسم (بن مخا : Moka)



الرابعة وتكون صغيرة وتبلغ أقصى غلتها في السنة السابعة أو الثامنة وتبقى تغلُّ غلة متناقصة من عشر سنوات الى عشرين أو ثلاثين سنة وأحياناً الى خمسين سنة . والشائع في بلاد العرب أن اشجار البن في بلاد العرب تبلغ مرتبة النضج في السنة الخامسة ويجب تبديلها بغيرها بعد انقضاء عشرين سنة على زرعها . وفي بعض المزارع الاميركية يبلغ الشجر الذي يقطع ويبدل بغيره كل سنة ١٠ في المائة

وشجرات البن الصغيرة في حاجة الى شيء من الظل ولذلك يزرع عادة في الثلوم نبات سريع النمو كالذرة يظلُّها وفي بلدان أخرى يستعمل الموز لهذا الغرض  
في الحبشة ، حيث موطن البن الأصلي ، يزرع نباته في النجود ، وخير ارتفاع للارض التي تزرع فيها أشجار البن في بلاد العرب يتفاوت من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر صنف البن الذي يستغلُّ من منطقة ما يتوقف في المقام الاول على طبيعة الضرب المغروس ، ولكن طبيعة التربة والاقليم ووسائل العناية بالشجر ، عوامل ذات شأن في تحديد مقدار الغلة وجودتها . ففي بلاد المكسيك يقلُّ ثمن البن المزروع على ارتفاع ٥٠٠ متر ، ثلاثة ريالات في المائة رطل عن البن المزروع على ارتفاع ١٨٠٠ متر ، ثم ان جودة الغلة تتوقف على طريقة جني المحصول واعداده للسوق . فالجني باليد حيث تتخير الحبات الناضجة وتعرف بلونها القاتم يضمن الفوز بمحصول متناسق جيد . أما حيث يكون الجني غير دقيق فيخلط الحبُّ الناضج بغير الناضج وهذا يكفي لافساد نكهة الدقيق بعد التحميص والسحن . ولما كانت الحبات على الشجرة الواحدة لا تنضج جميعها في وقت واحد فالجني باليد يجب ان يكرَّر . واذا خلط الحبُّ الناضج بغير الناضج في اثناء الجني ، تعذر فصل بعضه عن بعض بعد الجني ، فصلاً دقيقاً يعتمد عليه وبعد الجني يُعدُّ الحبُّ للسوق . وباختلاف اساليب اعداده تختلف جودة مقادير من البن من صنف واحد . ومن المسلم به ان تحفيف الحبِّ في الفضاء افضل من تحفيفه بالاساليب الصناعية . ولكن هناك اماكن لا يتاح فيها تحفيف الحبِّ التحفيف اللازم في الهواء الطلق فيجفف بالطريقتين الطبيعية والصناعية

\*\*\*

بلغ مقدار محصول البن سنة ١٩٠٠ عشرة ملايين كيس والمستهلك كذلك . وقد زاد المستهلك بعد ذلك زيادة مطردة حتى بلغ ٢٣٩٠٠٠٠٠ كيس سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ ولكن المحصول زاد زيادة أكبر من زيادة المستهلك اذ بلغ في السنة نفسها ٣٧ مليون كيس ونصف مليون ثم زاد الى نحو اربعين مليون كيس في سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ وهذا التوسع المطرد في زراعة البن أفضى الى تجمع مقدار كبير فائض لا سوق له



والبن المزروع في العالم الجديد هو البن العربي على الاكثر ( ٩٠ في المائة ) . ولكن منذ اصبحت زراعة البن وتجارتها عملاً كبيراً أخذ الباحثون يبحثون عن اصناف جديدة من نبات البن في افريقية فعثروا باصناف كثيرة

فوجدوا مثلاً ضرباً من البن العربي *Coffea Arabica* في جزيرة « غراند كومورو » لا كافيين فيها . ووجد نوع آخر في جزيرة ماسكارين ومدغشقر فيه أثارة من الكافيين ولكنه منصف بخواص سامة

والعنصر المنبه في البن هو مادة الكافيين وأول من كشفها باحث يدعى رنج *Runge* واستخرجها من حبوب البن سنة ١٨٢٠ . وقد ثبت بعد ذلك ان مادة الكافيين توجد في جميع أجزاء النبات ولا سيما في الاوراق . ولا يزال سبب وجود مادة الكافيين في النبات ، وما يفيد النبت منها ، غامضاً . واذا استفردت مادة الكافيين نقية وبلورت كانت بلورات بيضاً دقاً كالابر . وتأثيرها الفسيولوجي ، في مقادير صغيرة كالمقدار الذي يوجد منها عادة في فنجان قهوة ، هو التنبيه الفسيولوجي والذهني بتنشيط الجهاز العصبي المركزي والنشاط العضلي ، وهي تفرز عن طريق الكليتين بعد انقضاء بضع ساعات على تناولها

وأهم ما تتصف به كمنبه أن تنبيهها لا يعقبه هبوط او ضعف ، وهو ما يحدث عادة بعد تناول معظم المنبهات الأخرى . هذه الصفة من اهم البواعث على انتشار عادة شرب القهوة ، علاوة على نكهتها الطيبة

ومادة الكافيين توجد في نباتات أخرى غير نبات البن . « فالتاين » الذين كشف في ورق نبات الشاي هو والكافيين واحد . والواقع ان معظم الكافيين المجهز للبيع في الصيدليات يستخرج مما يعرف « بغبار الشاي » لان استخراجه منه أفضل من الناحية الاقتصادية من استخراجه من البن

\*\*\*

ويختلف مقدار الكافيين في البن باختلاف الصنف . فمن ضروب البن ما لا كافيين فيه ومنها ما يحتوي على مقدار من الكافيين يبلغ ٣ في المائة وزناً . وهو يختلف في اصناف البن العربي من نصف واحد في المائة الى  $\frac{1}{2}$  في المائة . وأكبر مقدار من الكافيين يوجد في بن كولومبيا وأقله في بن المكسيك . أما بن البرازيل وغواتيمالا فتوسط بين الاثنين ومقدار الكافيين فيه يتفاوت من  $\frac{1}{3}$  الى  $\frac{1}{2}$  واحد في المائة . ويبلغ مقدار الكافيين في فنجان عادي من الشاي أو فنجان عادي من القهوة نحو قحمة ونصف قحمة



# خليل مطران

شاعر العربيت الأبدية

المبحث الثامن

للكنور اسماعيل احمد ادهم

عضو ا카데미 العلوم الروسية ووكيل المعهد  
الرومي للدراسات الاسلامية

## الطور الثالث من حياة مطران

﴿ توطئة ﴾ كان الطور الثاني من حياة مطران — كما سبقت الاشارة — طور النضوج ، ففيه تفتحت شخصيته ووضحت مناحيه على أساس من الأصل الثابت من طبيعته ، تلك الطبيعة التي تقومت بالعوامل التي تداخلت معها في الطور الأول من حياته فجعلته يخلص بشخصيته واضحة السمات في تلك الفترة من الزمن التي امتدت من عام ١٨٩٢ إلى عام ١٩١٤ . فمن هنا نرى أن هذا الطور يشغل القسط الأوسط من حياة الخليل . وقد أظهر مطران في هذه الفترة من الزمن نشاطاً أدبياً يذكر في ميدان النظم وفي ميدان النثر . فكان من مظاهر نشاطه في الميدان الأول « ديوان الخليل » ، وهو مجموعة ما قاله نظماً حتى عام ١٩٠٨ ، وكان من مظاهر نشاطه في الميدان الثاني كتابته « مرآة الأيام » الذي أصدر جزءه الثاني عام ١٩٠٦ وهو سفر جليل في التاريخ العام جاء في جزئين . على أن جهود مطران لم تقف عند هذا الحد فقد تعدتها إلى دائرة المسرح ، غير أننا لم نشأ ونحن نعرض للطور الثاني من حياة الرجل في المبحث السابع أن نتناول ما يدخل في هذا الطور من جهوده المسرحية ، ذلك أن هذه الجهود بدت واضحة آثارها في أواخر الطور الثاني من حياته ، وظلت متصلة في حلقاتها ممتدة على صفحة الطور الثالث ، حتى تهيأ لمطران من جهوده المتواصلة وخبرته التي خلص بها من اتصاله هذه السنين الطوال بالمسرح العربي أن يكون المهيمن على حركتها بتوليده عام ١٩٣٤ رئاسة الفرقة القومية المصرية لرفع مستوى فن التمثيل<sup>(١)</sup> ولهذا ابقينا الكلام فيها لهذا المبحث حيث نعرض لمطران وجهوده المسرحية متماسكة في الجملة غير منقطعة في الأجزاء .

(١) « لرفة مستوى صناعة التمثيل » هكذا عند بركاز في — تكملة تاريخ الادب العربية —  
الحق الثاني ، فقرة ١٥ ص ٩٠



والواقع ان اشتراك مطران في العمل على انهاض مستوى المسرح المصري ، يعود الى عام ١٩١١ ، تلك السنة التي عاد فيها « جورج أبيض » من فرنسا بعد أن درس في « كونسرفتوار باريس » فن التمثيل المسرحي ، وعمل على تأسيس فرقة قوية جمعت نخبة من أعلام الممثلين في مصر في ذلك الحين نزل بهم ميدان العمل على خشبة المسرح المصري . وكان أن طلب « جورج أبيض » إلى صديقه مطران أن يترجم له شيئاً عن المسرح الانكليزي وخاصة عن شيخ اعلامه « وليم شيكسبير » يقوم بتمثيله هو وأفراد فرقته ، فترجم له الخليل مسرحية « عطيل » Othello التي مثلت في الأوبرا الملكية ( الأوبرا الخديوية في ذلك الحين ) مساء ٣٠ مارس ١٩١٢ وقام بتمثيل الدور الرئيسي فيها جورج أبيض نفسه . وكان أن قدّم مطران في نفس الزمن لفرقة جورج أبيض ترجمته لمسرحية « تاجر البندقية » . ومما لاشك فيه أن المسرح المصري وجد في ذلك الحين في هاتين الرائعتين <sup>(١)</sup> اللتين ترجمهما مطران مادة طيبة تستند اليها . غير أن الروح التمثيلية التي أخذ بها « جورج أبيض » هو وأركان فرقته كانت تدور حول الطرائق التمثيلية التي وضعها الممثل الفرنسي الكبير « سيلفيان » فلم تقدر بحجوها الصناعي أن تهضم القوة « الدراماتيكية » التي في مسرحيتي شيكسبير ، هضماً يساعد على جلوها بمشهد من « النظارة » على المسرح في جو طبيعي . ومن هنا كان سقوط هاتين المسرحيتين ، وكان لسقوطها أثر في نفس الخليل جعله يميل عن فكرة تقديم شيء من « المسرحيات الشيكسبيرية » الى المسرح المصري ولو الى حين غير أن شيئاً من طبيعة المعادة في نفس مطران من جهة وروابط الزمالة من جهة أخرى مع أركان المسرح المصري ، جعلته يعود عقب الحرب العظمى فيشارك في نهضة المسرح المصري فيقدم ترجمة المسرحية « ماكبث » الى « جورج أبيض » وفرقة التي التأمت من جديدودخلتها عناصر جديدة . غير أن حظ مسرحية « ماكبث » على المسرح لم يكن خيراً من حظ أختها السالقتين . فقد سقط دور « ماكدف » الذي قام بتمثيله عبد الرحمن رشدي ، وذلك نتيجة كونه صاحب طبيعة تخالف طبيعة الدور الذي أسند اليه <sup>(٢)</sup> . إلا أن شيئاً من الصداقة بين مطران وجورج أبيض جعله يقف من هذا السقوط موقف الآمل خيراً في المستقبل ، فتقدم الى المسرح بترجمته لمسرحية « هاملت » . ولم يكن حظ هذه المسرحية خيراً من حظ أخواتها ، لهذا لحقتها في مصيرها . ومن هنا أحس مطران إحساساً قوياً أن حالة المسرح المصري — في صورته في ذلك الحين — لا تقوى على هضم الروح « الدراماتيكية » التي في مسرحيات « وليم شيكسبير » ، لأن ذلك يستلزم أن يدور التمثيل في جو طبيعي . ولم يكن الممثلون الذين عرفهم خشبة المسرح

(١) ينظر المفرد وهو رائحة الى التعبير الانرسي — Chef-d'œuvre — والترجمة لمطران (٢) محمود تيمور في حياتنا التمثيلية ، ص ١٠٨ — ١٠٩



المصري الى ذلك الحين يقدرّون على جعل التمثيل يدور في أجواء طبيعية . ومن هنا كان قنوع الخليل بما كان ، واكتفاؤه بطبع بعض الروائع التي ترجمها عن شيكسبير ، فكان أن قدم منها الى الطبع ثلاث مسرحيات : « عطيل » و « تاجر البندقية » و « هملت » . على أن مطران بعد ذلك يحفظ بين مجموعة أوراقه بترجمات لبقية مسرحيات شيكسبير <sup>(١)</sup> . هذا فضلاً عما يروى من أن له مسرحية « القضاء والقدر » وهي معربة . ولكننا لم نقف لها على أثر ( صديق شيوب — البصر ٥ يونيه ١٩٢٥ )

على أنه مما لا يمكن انكاره ما كان لهذه المسرحيات من أثر في رفع مستوى الجو الذي يدور فيه التمثيل العربي في مصر . كما لا يمكن انكار ما كان لاشتراك مطران من أثر في رفع مستوى المسرح المصري ، فالواقع أنه في هذه الفترة اتصلت بين مطران وبين حركة المسرح في مصر الأسباب فكان ان اشترك مطران اشتراكاً فعلياً في حركة تقدم المسرح . ومن آثار هذا الاشتراك مساهمته في تأسيس « شركة ترقية التمثيل العربي » وتأسيس مسرح لها بحديقة الأزبكية ، تلك المساهمة التي تكللت بالنجاح ، إذ افتتح المسرح ابوابه في ٣٠ ديسمبر ١٩٢٠ والتي فيه مطران كلمة الافتتاح متضمنة تاريخ الحركة المسرحية في مصر الى ذلك الحين <sup>(٢)</sup> . وهذه الجهود آتت أكلها مع الزمن إذ انتهت حكومة الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٤ الى وجوب الاهتمام بحركة المسرح ، فعملت على تأسيس الفرقة القومية لرفع مستوى فن التمثيل وعينت أغراضها في العمل على رفع مستوى التأليف والتعريب المسرحي وترقية الاخراج وترقية الموسيقى المسرحية والغناء المسرحي الحديث حتى تكون صالحة للتمثيل العربي والأجنبي واعداد الممثلين والخرجين اعداداً قسماً ، وأسندت رئاسة الفرقة الى خليل مطران <sup>(٣)</sup>

ولاشك أن وجود مطران على رأس الفرقة القومية كان مغماً عظيماً لنهضة المسرح المصري ، لأن وجود هذا الرجل — كما يقول محمود كامل الحامي — « الذي قرأ شيكسبير وفهمه وهضمه وترجمه وقدم الى الناطقين بالعربية آثاره خير تقديم ، والذي قرأ هيجو وراسين وموليير وفهمهم وحفظ أشعارهم عن ظهر قلب ودرس روح فرنسا من كتبهم وهضم الأدب المسرحي هضمًا كاملاً ، وعاش حياة أدبية مسرحية حافلة جديرة بأن يجعل جهود المسرح المصري وثيقة الصلة بالجهود الخالدة التي خلقت الأدب المسرحي » <sup>(٤)</sup>

(١) توفيق حبيب في « شيكسبير في العربية » — مقال بالهلال م ٣٦ ج ٢ ص ٢٠١ — ٢٠٤

(٢) الهلال م ٢٩ ج ٥ ص ٤٦٥ وتجد نص كلمة مطران من العدد ص ٤٦٥ — ٤٧٢ (٣) الاثرام

١٤ — ١٢ — ١٩٣٧ ص ١٤ قلا عن اشارة لبروكلان في تكملة تاريخ الآداب العربية ، الملحق الثاني فقرة ١٥

(٤) محمود كامل في مجلة الجامعة — ٣ نوفمبر ١٩٣٨ — م ٩ ص ٣٠٣ ص ٢٣



وفي الفرقة القومية يبدأ مجهود مطران العظيم في رفع مستوى المسرح المصري ، فقد بدأ العمل والفرقة لا تملك شيئاً من المعدات اللازمة فلا مكان للفرقة ولا روايات مختارة ولا اي استعداد — اللهم الا ثقة الرجل بقدرته على القيام بالعمل الملقى على عاتقه (١) — وسار العمل في أوله يكسفه بعض الاضطراب . وسرت الاشاعات هنا وهناك ، وتنبأ من يحلو لهم التنبؤ بفشل الفكرة قبل ان تولد ، ولكن بشيء من الصبر والمثابرة اللذين عرف بهما الخليل أمكن للفرقة أن تجتاز الصعوبات التي لاقتها ففضت في سبيلها يحدوها الأمل في المستقبل . وبواسطة تشجيع الفرقة للأدباء خصوصاً الناشئين منهم أمكن لها أن تجمع لديها أكثر من ستين مسرحية قدمت منها في ثلاثة مواسم اثنتين وثلاثين رواية جديدة ، وهو رقم قياسي — كما يرى مطران — لم يقدمه مسرح من قبل (٢)

على أن الأقوال تختلف بخصوص ما أدته الفرقة وحققته من الاغراض والغايات التي قامت من أجلها (٣) . على أنه مما لا ينكر حقيقته بعد ذلك أن جهود مطران في الفرقة أخذت تؤتي اليوم أكلها ، والحق — كما يقول راشد رسم — أنه لولا مطران على رأس الفرقة بسعة صدره وتحمله وصبره وجلده في هذه السن ، ولولا مكاتته الشخصية لضاعت الفرقة القومية (٤) . على أنه بعد ذلك يمكن ان يقال إن ما عرف به مطران من عدم التقيد بنظام وما اشتهر به من «البوهيمية» التي عرف بها رجال الفن إلى جانب ما عرف عنه من حب الاريحية التي تجعله لا يدفع قاصداً له في حاجة هو قادر عليها ، كل ذلك كان سبباً للثورة على رأسته للفرقة القومية ونوجيهه لسياستها العامة . وذلك يتجلى في الحملات الصحفية التي شنت عليه (٥) . على أنك بالرغم من كل ذلك يجد هؤلاء الذين يحملون عليه لا يقدررون على جحد الرجل ومزاياه وطيب سيرته ، ويحملون ما في ادارته للفرقة القومية من ضعف على عدم تقيده بنظام في العمل ، الأمر الذي يجعل شؤون الفرقة تضطرب بعض الشيء ، وهو بعد ذلك يغطي على هذا الاضطراب أمام الرأي العام وأمام الحكومة بما فيه من قوة الشخصية

(١) حديث لمطران عن رسالة الفرقة القومية في مجلة — الامام — ٣ يوليو ١٩٣٩ م ٣٩ ع ٦ ص ٦  
 (٢) المرجع ذاته (٣) مجلة الرسالة ، السنة السابعة عدد ٢٩٢ ص ٢٨٥ — ٢٨٦ والعدد ٢٩٣ ص ٣٣٢ — ٣٣٣ والعدد ٢٩٤ ص ٣٨١ — ٣٨٢ والعدد ٢٩٥ ص ٤٢٩ — ٤٣٠ والعدد ٢٩٦ ص ٤٧٦ — ٤٧٨ والعدد ٣٠١ ص ٧٤٩ — ٧٥٠ ، آراء زكي طليمات وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وابراهيم رمزي وابراهيم ناجي وراشد رسم في رسالة الفرقة القومية وما قامت به من تحقيق للاغراض التي قامت من أجلها  
 (٤) راشد رسم في مجلة — الرسالة — السنة السابعة عدد ٣٠١ ص ٧٥٠ ع ٢ ص ٣ — ٦ (٥) دكتاتورية المدير في الفرقة القومية بمجلة الرسالة ، السنة السابعة ، العدد ٢٨٨ ص ٩٣ — ٩٤



-٩-

من الاهمية بمكان ان نعود ونحن بمعرض استجلاء ترجمة حياة مطران في الطور الثالث من اواخر الطور الثاني ، تلك الاواخر التي مررنا عليها سريعاً في ختام المبحث السابق ، فنستجلي حياة مطران في الفترة التي جاءت عقب اخراجه للناس مجموعة شعره في ديوان عام ١٩٠٨ . وأول شيء يستوقف النظر من شؤون هذه الفترة هو تحول الخليل عن عالم الصحافة الى عالم الاقتصاد والمال ، فقد كان مطران يحيا في الدورين الاول والثاني من الطور الثاني من حياته ومعيشته تدور في عالم الصحافة ، الا أن انصرافه عنها الى الاشتغال بشؤون الاقتصاد كان نقطة تحول خطير في حياته . وهو في هذا يقول :

[ مارست الصحافة اثنتي عشرة سنة . ثم انتقلت منها الى العمل في الاقتصاديات . فهل نعتقد ان هذا الحادث الذي أثر في مجرى حياتي فحولها من حال الى حال ، عظيم الشأن ؟ كلا ، فانه حادث بسيط جداً ، ولكنه هو الذي غير حياتي هذا التغيير الكبير ، فصرفها عن الصحافة الى الاشتغال بالسائل الاقتصادية ذلك أنني اشتغلت بالتحرير في جريدتي « الاهرام » و « المؤيد » وغيرها ثماني سنوات ، ثم عن لي ان اشتغل لحساب نفسي ، فأنشأت « المجلة المصرية » نصف شهرية ، وعلى أثرها أصدرت « الجواب المصرية » فوجدت من الناس اقبالا ومؤازرة عظيمة ، ولكن نوع المؤازرة الذي كان في هذا الوقت لا يلائم طبعي ، فان رواج الصحف لم يكن وقتئذ بالاعلاق او بواسطة المتعدين كما هو اليوم بل كان بالاشتراك وكثرة عدد الاصدقاء والحبين

ومما يمس النفس ان دافع الاشتراك في ذلك الحين كان يعد نفسه صاحب فضل في حياة الجريدة وفي كل ما يبلغه صاحبها من جاه او مال او كرامة . وكنا نسمع من هذا القبيل منجماً بلاحد فيها يتعلق بالجرائد المعروفة في ذلك الوقت . وأنا بخلي تقور من سماع امتنان على هذه الصورة خصوصاً أنني كنت على علم بما يعاينه صاحب الجريدة ومحورها من مشقة واعناء

وقد كنت امتعض وأحس ان بي ميلا للعمل لرزقي في غير الصحافة حينما يعود « الجابي » فيقول ان فلاناً المشترك قال كذا وفلاناً قال كذا من الاقوال التي وان امتزج المدح بها غالباً فهي تسيء الى النفس لانها تأتي أشبه بذكر الجليل او التذكير به

وذات مساء رجع الي الجابي من جولة ، وأبلغني ان صديقاً لي ممن كنت أعالجهم معاشرته متصلة استعمله في أداء ما عليه ، ولم يكن ذلك المرة الاولى . ويظهر ان - الجابي - ألح عليه باعتبار ما يعرفه من الصلة بالحكمة بيننا ، فالتفت اليه هذا الصديق وجابهه بقوله « هو ممن عيش » . فلما سمعت هذه العبارة ، خيل الي أن كل من أرسل اليه جريدتي ، وان تطف في الظاهر ، يحسبني متطفلاً عليه فيما أتقاضاه منه ، ولا يقدر تقاء ذلك ما يبذل من جهد في التحرير وفي نفقات الطبع والبريد وما الى ذلك من أعمال تستنفد مجهوداً ووقتاً ومالاً

وكان ان صممت على اعتزال الصحافة ، وصرت آتربص للفرصة الاولى حتى سنحت بخروجي من الميدان موفور العرض سليم الشرف والكرامة ، فوهبت جريدتي وبعث مطبعتي وانصرف الى ممارسة الأعمال الاقتصادية وما زلت عليها الى الآن . [ (١) ]

وكان انصراف مطران عن الاشتغال بالصحافة الى الاشتغال بالشؤون المالية عام ١٩٠٤ . وقد دارت حياة الخليل منذ ذلك اليوم متصلة بممارسة الشؤون المالية ، حتى اكتسب الخليل

(١) الهلال : م ٣٨ ج ٣ - أول يناير ١٩٣٠ - ص ٢٦٩ - ٢٧٠ . رد مطران على استفتاء الهلال عن أهم حادث أثر في حياته



بحكم الممارسة مهارة في الأعمال المالية والاقتصادية أهله للاشتراك في المشروعات الاقتصادية الكبرى التي عرفها مصر في تاريخها الحاضر ، وعلى وجه خاص في وضع المذكرة التأسيسية لبنك مصر<sup>(١)</sup> التي كتبها عام ١٩٢٠

وقد كان من اشتغال مطران بالشؤون الاقتصادية واعتماده عليها في المعيشة أن اخذته حمى المضاربة ، فكانت من ذلك مضارباته التي كسب فيها الخليل كثيراً وخسر كثيراً ، وهو بعد ذلك جُلد على المضاربة ، لا ينحسر حتى يعاود الكرة من جديد وكله أمل في الربح ، والمال يجيء ليذهب ، حتى كان أن فوجيء في إحدى مضارباته عام ١٩١٢ بخسارة كل ما يمتلكه ، وأصبح الخليل وإذا به صفر اليدين ، والرجل بعد ذلك بصلاته ومكاته من الهيئة الاجتماعية محتاج الى المادة . لهذا كانت صدمته كبيرة في خسارته التي ذهبت بكل جنى جهوده في حياته الى ذلك الحين . ومن هنا جرفت الخليل موجة يأس برزت معها في ذهنه فكرة « الاتجار » . ولكن طبيعة المعاودة في نفسه ، جعلته يعيد الكرة على هذه الفكرة وينزل بها الى مقوماتها من نفسه ، ومن هنا انتهى الى أن الاتجار هروب من الحياة ، ولهذا اعتقد الخليل ان الاتجار جبن . فرجع في حالة يأس الى — مدينة عين شمس — ( مصر الجديدة — Heliopolis — ) . وهناك قضى أياماً في غمرة من اليأس نظم فيها قصيدته الوجدانية « الاسد الباكي » — « الشعراء الثلاثة » ص ٣١٥ — ٣١٦ — وفي مستهل هذه القصيدة يقول مطران :

دعوتك استشفى اليك فوافني على غير علم منك انك لي آسى  
فان ترني والحزن مله جوانحي أداريه فليغررك بشري وايناسي<sup>(٢)</sup>  
وكم في فؤادي من جراح نخينة يحجبها برداي عن أعين الناس  
نخذت لهبي « عين شمس » مباءة فتمت إضحائي فريداً واغلاسي  
يخالون آني في متاع حياها وبئس متاع الحي حيرة ديماس  
أرى روضة لكنها روضة الذوى وأصفي وما في مسمعي غير وسواس  
وأنظر من حولي مشاةً وركباً على مزجيات من دخان وأفراس  
كأنني في رؤيا يزف الاسى بها طوائف جن في مواكب أعراس

وأنت تلمس في هذه الايات ما كان يجتاح قلب الخليل من الالم والحزن وما كان يسود عينيه من النظر القاتم الى الحياة ، وما كان يوسوس في صدره بالاتجار . ولا ادل على تلك الحالة الشعورية عنده من رؤيته رياض « عين شمس » روضة موت . وما في نفسه من الاسى

(١) توفيق حبيب : المبحث الخامس ، فقرة ٢ من هذه الدراسة (٢) البيت أثبتت عجزه في « الشعراء الثلاثة » هكذا : « أداريه فليغررك بشري وايناسي » ص ٣١٥ س ٢ وهذا لا يتفق مع الوزن



كان يستولي على بصيرته فيجعل الأشياء تبدو له في صور يشوبها شيء من الإبهام ومن خلال هذه الصور تجلت له مرأى « عين شمس » والآناسى الذين يمضون فيها ما بين ركب في القطر وعلى الافراس وما بين مشاة كطوائف جن في مواكب اعراس . وذلك من حيث جرفت وجدانه . شاعر الاسى فجعلته يأخذ الأشياء من عالم الواقع لينزل بها من عالم الاحلام تخيلات وأوهام . هذه الايات — كما سبقت الاشارة — تصور أسى مطران وشجوه وألمه . فلما انتهت القصيدة التي تضمنتها الى اصدقائه قلقوا عليه وكانوا قد قلقوا عليه من قبل لغيابه ، فضافوا هذا القلق وذلك وكان ان اخذوا يفتشون عنه في الاماكن التي كان معتاداً ان يرتادها ، ولكن تفتيشهم هذا لم يجد شيئاً . ثم كان ان سعى بعض العارفين بمكان اقامته اليه ليواسوه في نكبته التي كانت قد ألمت به وكانت قد أبعدته عن الحياة الصاخبة التي كان يحياها ، فكان ان عاد الخليل ثانية الى تلك الحياة ، وكان في عودته هذه جلدأ . ثم لم تلبث ان بسمت له الحياة التي كانت قد عبست له من قبل فذهب يغامر من جديد .....

\*\*\*

عين الخليل في ذلك الوقت سكرتيراً مساعداً بالجمعية الزراعية الخديوية (الملكية الآن)<sup>(١)</sup> وقد كان تعيين مطران في هذا المنصب عن رغبة من الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان يريد ان يجعل للشاعر مركزاً ثابتاً وإيراداً غير متقلب . وقد اختار الخديوي لمطران ذلك المنصب خاصة نظراً لما يعرفه عن الرجل من الاشتغال الطويل بالشؤون الاقتصادية ، ذلك الاشتغال الذي أعطاه دربة فيها ، ومن ادراكه الجيد الذي أظهره فيما يتصل بالمسائل الزراعية ، تلك المسائل التي أظهر فيها الخليل معرفة مستفيضة أيام كان يصدر « المجلة المصرية » ويوقف باباً من أبوابها على الشؤون الزراعية . وبعد أن تقلد مطران ذلك المنصب انتظمت شؤونه المادية واستقامت . وأصبح الرجل لا يخشى تقلب الزمن وما يمكن أن يجعله في طيات هذا التقلب من كوارث

وظل مطران منذ ذلك الحين حتى الآن يشغل هذا المنصب بجانب المناصب الاخرى التي اتفق له أن يشغلها

وكان عمل مطران في « الجمعية الزراعية » من حيث يتصل بشؤون سكرتاريتها يدور حول الحسابات ، ومن هنا اكتسب مطران بجانب دربته الاولى في الشؤون الاقتصادية والمالية خبرة واسعة بالشؤون الحسائية ظهرت آثارها فيما عهد اليه من القيام بوضع بعض المذكرات الاقتصادية التي تمت الى شؤون الحساب بسبب . وقد كان من تلك المذكرات التي راجع جانبها

(١) تأسست في ٢٠ ديسمبر ١٨٩٨ بسراي الجزيرة تحت رعاية سمو الخديوي عباس حلمي الثاني



الحسابي وضبطها تلك المذكرة التي وضعها عبد العزيز باشا فهمي ضد السر وليم برويت (١) وكان أن كلف حشمت باشا وزير المعارف اذ ذاك مطران وصاحبه حافظ بك ابراهيم أن يترجما الى العربية كتاب «الموجز في علم الاقتصاد» وهو سفر ضخيم للبروفسور بول لروا پوليو مدير جامعة بواتيه بفرنسا، فجاءت الترجمة في خمسة اجزاء كبار في نحو ٩٣٠ صفحة (٢). والكتاب، وما فيه من دقة الترجمة واستيعاب المعاني التي دارت بذهن مؤلفها، يعود الى مطران لا الى حافظ (٣). هذا فضلا عن ان بعض الريب يحف بما لحافظ ابراهيم من جهد في الترجمة. ومن ذلك الحين عرف مطران بأنه من رجال الاقتصاد والحساب (٤). غير ان ذلك لم يطغ على الاصل الشعاري من نفس الرجل كما ستجيء الإشارة الى هذا

وما كان لمطران من حظ الاشتراك في تقدم مصر الاقتصادي والعمل في ميدان استقلالها الاقتصادي، جعل محرر الهلال يتوجه اليه بالسؤال عن مصر كما يريد من الوجهة الاقتصادية، وذلك عام ١٩٣١، وكان ذلك ضمن سلسلة الاسئلة التي وجهتها دار الهلال الى اعلام رجالا ومصرفي النواحي التي برزوا فيها. وقد اجاب مطران وقال:

[أريد مصر عزيزة بكل المعاني. على أن في مقدمة العناصر التي تكون عزة الامة: العنصر الاقتصادي. ولما كانت مصر تعاني الآن أزمة اقتصادية لا يذكر التاريخ الحديث أنها عانت مثلها كان الافضل ان اجعل مدار أمنيقي ما اعتقده وسيلة أولية لا لبلاغ مصر العزة التي أرجوها لها مصر غنية — على القول المشهور — ولكن بمعنى ان نيلها يدرك الخير وأرضها خصبة تجود بأربعة محاصيل. ولها عدا ذلك موارد أخرى من طبيعتها وسجايها أهلها التي فيها قابلية عجيبة للصناعات والنوثر وينبغي ألا تقل ثروتها منها عن ثروتها من ارضها

ولكن تصرف السواد الاعظم من الامة في شؤونهم الكسبية والمعيشية قد أفقدهم تلك المزايا فليس نصيبهم منها بأوفر نصيب وعلى هذا لا بد من عكوف كل كاسب في مصر زارعا كان او صائغا او تاجرا او ذا منصب على نفسه بحاسبها ويطالبها بما هو واجب عليه لنجاته من هذه الضائقة وبالتالي نجاة قومه وهل الامة الا مجموع أفرادها

يجب ان يعرف كل منا في مصر ان الحياة أداء واجب وان المتاع نتيجة من أداء ذلك الواجب فالصدق في المعاملة وان ابد صاحبها، والقصد في النفقة بحيث تستقضى بها الحاجة وان ظن الانسان ترك اللهو واجتناب معاهده حراما — واقبال الفلاح على غيطه يحرقه حق

(١) توفيق حبيب — المبحث الخامس فقرة ٢ من هذه الدراسة (٢) صديق شيبوب في البصير — ٥ يونيه ١٩٢٥ ص ١ من مقال له عن مطران (٣) أحمد محمد عيش في مجلة أبولوم ج ١ ص ١١ — يولييه ١٩٣٣ — ص ١٣٩٣ س ٨-٩ مقال عن «سيرة حافظ» (٤) الشفق الباكي — ديوان شعر لابي شادي — ص ٧ مقدمة الناشر حسن صالح الجداوي — الهامش س ٥



حرثه ، والعامل على عمله يوفيه ويحيده ، والموظف على وظيفته يؤديها اداء الذمة ، والعريف على ادارته يحكمها بصبر وبصيرة الخ . . . كل اولئك مما يكون أمة رضية البال قوية الغزيمة راضية مرضياً عنها

فأنا أريد مصر عاملة مجددة صابرة على ما تقتضيه الحياة الكبرى ، أريدها حاسبة متعفة خيرة في الموازنة بين دخلها وخرجها ، أريدها ان تعدل عن السرف حكومة وشعباً وان ترد الرأي التي صدرت عنه قبلها الامم السائدة الآن في العالم ، وهو ان القوة والمنفعة فيما ندخر ، وان الضعف والذلة وراء السرف والتبذير <sup>(١)</sup>

هذه وصايا حكيمة ألقاها مطران على شعب مصر وحكومتها عام ١٩٣١ اثناء اشتداد الازمة المالية في العالم ، وهي تدل على شعور مطران نحو مصر من جهة ، كما تدل على خبرته بمواطن الداء في الوضع الاقتصادي في مصر من جهة اخرى

— ٢ —

كان الخديوي عباس حلمي الثاني في اواخر عهد خديويته على مصر ملتقى آمال شباب العرب ومعقد رجاء أحرارهم خصوصاً بعد أن ظهر الاتحاديون بنياتهم العدائية نحو العرب <sup>(٢)</sup> وقد اراد الخديوي ان يجمع من حوله قلوب العرب ويادهم آمالهم فيه بتشجيعهم ، فشمل برايته رجالهم ، وكان من ذلك عنايته الشديدة بخليل مطران الذي كان يعتبر لظهور شخصيته في المجتمع المصري سفير سوريا في مصر . ومن مظاهر عناية الخديوي بمطران توجيهه منصب السكرتير المساعد بالجمعية الزراعية الى مطران ، وانعامه عليه في اواسط شهر اغسطس سنة ١٩١٢ بالوسام المجدي الثالث <sup>(٣)</sup> واياعازه بواسطة اسماعيل باشا اباطة المشهور بأدبه واتصالاته بالادباء المصريين والسوريين الى «سليم سركيس» — صاحب مجلة «سركيس» — باقامة حفل لتكريم الخليل . وقد لاقت الفكرة بحبداً عند جمهور الادباء وأولاهها سليم سركيس اهتمامه وجرت في شأنها مكاتبات انتهت بفكرة اقامة الحفل <sup>(٤)</sup> . وفي ٢٤ ابريل سنة ١٩١٣ اقيمت الحفلة في دار «الجامعة المصرية الاهلية» <sup>(٥)</sup> تحت رعاية سمو الخديوي ونيابة الامير محمد علي عنه . وقد افتتح الحفل الامير محمد علي بكلمة رقيقة اثنى فيها على الشاعر المحتفل به قال فيها :

[ لقد سمعت منذ زمان طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت وهو حضرة خليل مطران فأبتهجت بماوصل اليه من أفكاره السديدة التي تنبئ عما هو من علو في الهمة وثبات في الرأي ووفور في العلم . ولم

(١) مصر كما أريدها من الوجهة الاقتصادية لمطران — الهلال ، ٣٩ ج ١ ص ١٩ (٢) المقتطف ٩٣ ج ٤ الحركات العربية لانيس المقدسي (٣) مجلة سركيس — سنة ١٩١٣ ص ٢١١ س ١ — ٣ (٤) مجلة سركيس — ١٩١٣ ص ٢١١ — ٢١٥ (٥) مجلة سركيس — ١٩١٣ ص ٣٤٤ س ١ — ٢



يكن أعجائي به لما أوتيه من المواهب الجليلة في دولة العلم فقط بل لما تحلى به أيضاً من الاخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة وتباعد بنه وبين التجبر للغير حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بين الاجلال والاعتبار متأهياً لنيل المجد والفخار

ومن البديهي ان اتصافه بهذه الصفات المدوحة لم يكن الا نتيجة تربية عالية . . . . . وقد وهب الله صديقنا مطران ذكاء فطرياً فجادت قريحته الوقادة بالاشمار الرقيقة والحكم البليغة الدقيقة فارتقى بذلك الى الدرجة التي نال بها الخطوة عند خدوينا المعظم . [ (١) ]

ثم اتى احمد شوقي بك رئيس الادباء في الحفل قصيدة حباً فيها مطران . وتوافد بعده الأدباء فألقى جورجى زيدان كلمة عن شعر مطران والتاريخ ( مجلة سر كيس ، سنة ١٩١٣ ص ٢١٩ — ٢٢٤ ) . وكتب أمين الريحاني كلمة ( المرجع ذاته ص ٢٣٠ — ٢٣٣ ) ، والفي حليم دموس شاعر زحلة قصيدة عصماء ( المرجع ذاته ص ٢٣٤ — ٢٣٧ )

وأرسل جبران خليل جبران من نيويورك أقصوصة عن الشاعر البعلبكي مدارها خليل مطران وعبريته ( مجلة سر كيس — ١٩١٣ — ص ٢٣٨ — ٢٤٤ ) . واتى شبلي بك الملاط مطوقة من الشعر ( المرجع ذاته ص ٢٥٠ — ٢٥٦ )

واتى انطون الجميل كلمة عن شاعرية الخليل [ المرجع السابق ذكره — ص ٣١٨ — ٣٢٩ وهو في الأصل مقال بالهلال م ١٦ ج ٩ — ( ١ يونية ١٩٠٨ ) ص ٥٣١ — ٥٣٩ ] . وفي الختام اتى الخليل قصيدة عصماء حباً فيها الذين احتفلوا به وشكر سمو الخديوي والأمير محمد علي ( مجلة سر كيس — ١٩١٣ ص ٣٤٥ وما بعدها )

لقد كان الاحتفال بمطران مهرجاناً كبيراً للأدب ، ومظهراً للروابط التي كانت تربط سوريا بمصر . وقد ظهر ذلك في أكثر ما قيل في هذا الحفل ممّا قاله الشعراء وما قاله الكتاب ، وفيما علق به الصحف على الحفل (٢) بكل وضوح

كان لهذه الحفلة أثرها الكبير في جو مصر الأدبي ، إذ أظهرت من ثنايا المهرجان وما تلى فيه شخص الخليل كالمع شخصية أدبية في العالم العربي . فقد اشترك في هذا المهرجان جميع أدباء العربية وكتابها وشعرائها وأعلامها والناهين من حملة القلم فيها ، فقد جمعت شوقي بك وحافظ إبراهيم واسماعيل صبري باشا ونقولا رزق الله وبشارة الخوري وحليم دموس وشبلي الملاط ومسعود سماحه ويوسف بك حيدر وأسعد داغر وأحمد نسيم وشكيب أرسلان ومحمد حمدي النشار الذين اشتركوا بمقطوعات وقصائد من الشعر ، كما جمعت جورجى زيدان وأمين الريحاني وجبران خليل جبران وماري زيادة وانطون الجميل ومحمد لطفي جمعة وعباس محمود العقاد ومحمد كرد علي الذين اشتركوا بنفثات أقلامهم ، والدكتور ابراهيم شدودي الذي اشترك

(١) مجلة سر كيس ١٩١٣ — عدد خاص عن مطران . ص ٣٤٠ — ٣٤٢

(٢) مجلة سر كيس ١٩١٣ . ص ٢١ س ١٦ — ١٧ و ص ٢٢٦ بالقطع الثاني من القصيدة و ص ٢٤٢ — ٢٤٤ و ص ٢٥٤ — ٢٥٥ مثلاً . . .



في المهرجان الكبير بقطعة زجلية رائعة . وقد نشر معظم هذه القصائد والنثبات القامية في مجلة سركيس في عدد خاص <sup>(١)</sup>، كما نشر في الأعداد التالية ما لم يتسع له العدد الخاص . ولا شك أن هذا الحفل كان أعظم مهرجان أدبي شهدته البلاد العربية ومصر الى ذلك الحين ، ولم يجيء بعده ما يضارعه غير يوبيل المقتطف عام ١٩٢٦ وحفل مبايعة شوقي بك بأمانة الشعر في دار الاوبرا الملكية عام ١٩٢٧ . ومما لاربية فيه أن هذه الحفلة حققت أغراضها من حيث القضاء على الدعاية التي كان يروج لها البعض للتفرقة بين المصريين والسوريين . كما أنها كانت خير مكافأة لمطران على جهوده الأدبية وخدماته للخديوي ولييته وإخلاصه لمصر ، تلك الاشياء التي شهد له الأمير محمد علي بها فقال في حديث له عام ١٩١٣ :

« قد عرفت مطران من عهد والدي حتى الآن فرأيت أنه قد امتاز بانصرافه كل هذا الزمان الى المحافظة على خطة ولاء مستقيمة لم يحد عنها كل حياته القلمية في مصر وهذا الثبات على المبادئ والإخلاص الدائم لمصر والمصريين هو فضيلة يجب اعتبارها وإكرام المتحلي بها (٢) »

\*\*\*

يظهر مطران في الفترة التي جاءت قبل الحرب العظمى متشبعاً بفكرة الجامعة العثمانية ، وذلك بحكم عواطفه التي كانت تجري مع عواطف معظم المصريين في ذلك الحين مما سبق الإشارة إليه . أما بعد الحرب فترى عواطفه المصرية وإن خالطها بعض العطف على بلاده الأولى سوريا . وهذا التطور نتيجة لأحداث الحرب والآثار التي خلفتها في المجتمع المصري ، كالثورة المصرية التي أظهرت الشعور المصري ميالاً الى الاستقلال متقبضاً على نفسه عند حدود قوميته . وقد جارى مطران هذا الشعور الجديد فقال مع الفكرة القومية المصرية وأيد سعد زغول في حركته الوطنية ولف ملف الوطنيين المصريين في حملتهم على السياسة الانجليزية . على أننا يجب ألا ننسى ان هذا الشعور طبعى عند مطران لو نظرنا الى ان الأحوال التي كانت مصر تجتازها كانت سوريا بلاده تجتازها ايضاً . ومن هنا كان صدق الشعور عند الرجل وخلوص العاطفة في مياله مع الفكرة القومية المصرية

ويظهر ميل مطران مع الفكرة القومية المصرية في قصائده التي تتصل بذكريات جهاد مصر في سبيل استقلالها وتأمين دستورها وفي مراثيه لسعد باشا زغول عام ١٩٢٧ التي ضمها الكثير من النساوير والتهاويل الشعرية التي تحمل خلعجات نفسه وميول عاطفته نحو مصر <sup>(٣)</sup> . وكذلك في مراثيه لصديقه محمد بك أبو شادي تظهر ميوله واضحة . يقول مطران :

زمان قضينا المجد فيه حقوقه ولم نله عن لهُ ورشف رضاب

(١) عام ١٩١٣ ص ١٩٠ - ٢٦٠ (٢) مجلة سركيس - عام ١٩١٣ ص ٢٠٧  
(٣) مراثية مطران لآبي شادي ص ٧١ - ٧٣ من كتاب محمد أبو شادي - دراسة أدبية تاريخية  
للسيد عبد الحميد السكيلاني وعبد الحفيظ الروبي



محضنا به مصر الهوى لا يشوبه  
وما مصر الا جنة الارض سبجت  
فداها ولم يكثر ان جار حكمها  
فكم وقفة اذ ذاك والموت دونها  
وقفنا وما تلوي اتقاء عقاب  
كررنا وما نرتاض غير صعاب (١)

وأنت تلمس في وضوح في هذه الايات شعور الخليل نحو مصر، وما كان يخالجه من احساس  
الميل لها والذود عن حياضها ، وهذا الشعور يتسق مع ما قلناه بخصوص عواطف الرجل نحو مصر

— ٣ —

انصلت في الفترة التي بين عام ١٩١٢ وعام ١٩٢٤ الصلة بين نفس مطران وآثار الشاعر العالمي  
«وليم شكسبير». فقد كان مطران في ذلك الحين يترجم بعض الروائع من مسرحيات شكسبير الشعرية  
الى العربية نقلاً عن ترجماتها الفرنسية . وما كان له ان يشتغل بالترجمة ويدير معاني شكسبير في  
ذهنه حتى يستنزل لها قالبها الشكلي في العربية ، الا ويلقى بذهنه بعض معاني «شكسبير» وأخيلته  
وتساويره وتشايبه وتساويله الشعرية . ونظراً لان هذه الاشياء كانت تصطبغ في ذهن  
الخليل، فقد كانت تحضر عنده حين يعرض لنظم الشعر، وتتسرب الى قصائده، ومن هنا جاء  
ما في شعره لتلك الفترة من التأثر بالاغراض والمعاني الشكسبيرية . ومطران لم يخرج في ذلك  
عن كونه انساناً يتأثر بمطالعاته خصوصاً اذا كانت من الطراز العالي . فضلاً عن ان هذه الآثار  
التي يطلعها كان يعيد الكرة عليها حتى تلمن له معانيها فيقدر على صبها في القالب العربي ، ومن  
هنا كان تذوقه للمعاني الشكسبيرية والاخيلة الخاصة بوليم شكسبير ماثلة الرواء Fresh دائماً . ولهذا  
يجب ألا نتحدث عن الاقتباس والنظر حين نرى مطران يسوق في قصائده الشعرية التي نظمها لتلك  
الفترة من الزمن بعض المعاني والاغراض والاخيلة الخاصة بشكسبير . لأن السبب في ذلك واضح  
ثم عندك اسكل من الشعارين - وليم شكسبير وخليل مطران - منحاه الخاص في شعره الذي  
يتسق بطبيعته الخاصة

وشعر مطران لتلك الفترة من الزمن متفرق في بطون مجلات وصحف ذلك العهد وبعضه روي في بعض  
الكتب الادبية . وهي بعد ذلك لم تجمع في مجموعة شعرية ، وأولى القصائد التي تصادفنا من آثار تلك الفترة  
وتلك القصائد التي تتعلق بالحرب الطرابلسية ، نجد نماذج منها في كتاب الشعراء الثلاثة ( في سبيل الهلال  
الاجر ٣٠٨ — ٣١١ ووداع لبعثات الهلال الاخر ص ٣١٤ ) كما نجد مقطوعة في المقتطف ( عتاب  
واستصراخ - م ٨٤ ج ٦ ص ٦٦٣ ) . ثم يجيء بعد ذلك قصائد ومقطوعات في الرثاء وفي بعض حفلات  
التكريم التي أقيمت لذلك العهد ، من ذلك قصيدته التي اقامها عن تحية الشام لمصر في نادي الاتحاد السوري  
في ٢٨ ابريل ١٩١٥ ومستهلها :

الى مصر أوف عن الشام تحيات الكرام الى الكرام  
وتجدها في الشعراء الثلاثة ص ٣٣٢ — ٣٣٤ ورتاؤه للشيخ علي يوسف ( ص ٢٧٤ — ٢٧٧ الشعراء  
الثلاثة وقد تليت في حفل الاربعين بدار السادات مساء ٥ ديسمبر ١٩١٣ ) ومرثاته لجورجي زيدان

(١) مجموعة المراثي التي قيلت في سعد زغلول



( ص ٣٠٢ — ٣٠٣ الشعراء الثلاثة ) وراثته لنقولا رزق الله ( ص ٦٩٥ من الهلال م ٢٣ ج ٨ يولية ١٩١٥ ) وقصيدته عن ميشيل لطف الله وما ثره ( ص ٢٢٨ — ٢٢٩ من الهلال م ٢٤ ج ٣ ديسمبر ١٩١٥ ) والقصيدة منشورة بخط مطران ( وقصيدته لأعانة الطلبة الشوام بالازهر ( الهلال م ٢٤ ج ٦ ص ٥٠٤ والشعراء الثلاثة ص ٣٤٥ — ٣٤٦ ) وفي مستهلها يقول :

يا مصر أنت الاهل والسكن وحى على الارواح مؤتمن

ومن قصائده الغر لذلك الحين قصيدته عن « وقفة وردة » ( الهلال م ٢٥ ج ١ ص ٢٣ — ٢٤ ) ومرثاة للدكتور شبلي شميل (١) ( الهلال م ٢٥ ج ٥ ص ٤٢٤ — ٤٢٦ وبين الرياض وصاحبته (٢) ( الهلال م ٢٥ ج ٨ ص ٦٢٤ — ٦٢٦ ) و « الالم أخاء والوسيلة السخاء » ( الهلال م ٢٦ ج ١ ص ٥٤٣ — ٥٤٤ ) ومستهلها :

عفوكم ما تقدمه أقدم حتى مثلما عن مثله الاحتجام

وتحية مطران لشوقي عقب عودته من المنفى ( الشعراء الثلاثة ص ٢٥٩ — ٢٦٣ ) وقصيدة الآخاء والوثام بين أبناء مصر وأبناء الشام ( الهلال م ٢٧ ج ٨ ص ٧٤١ — ٧٤٣ وقفة القيت في حفل في دار البطريركية المارونية بالقاهرة ) و « حكاية وردة » ( الهلال م ٢٧ ج ١٠ ص ٨٩٧ — ٩٠٠ ) وفيها التأثير واضح بسوتات شيكسبير وقصيدة « يوم البرميل او مرقص البر والبحر » ( م ٢٩ ج ١ ص ٧٠ — ٧٢ ) و « الحياة والفن في تكريم محمود مختار المثال بمناسبة محته تمثال نهضة مصر » ( الهلال م ٢٩ ج ١ ص ١٨ — ١٧ ) ومرثاة لولي الدين يكن ( الهلال م ٢٩ ج ٨ ص ٧٤٣ — ٧٤٤ وقد أقيمت في حفلة التأبين ) وقصيدة « الحديقة المرشوشة » ( الهلال م ٣٠ ج ١ ص ١٦ ) و « الى أمي » شكرًا لها على اهدائها له « ابتسامات ودموع » ( الهلال م ٣٠ ج ٢ ص ١٢٥ — ١٢٧ ) و « رثاء مريانا مرامش » ( الهلال م ٣٠ ج ٤ ص ٣٢١ — ٣٢٢ ومقدمة بكلمة من مجلة الهلال فيها ان هذه القصيدة بوصفها لم يسبق مطران اليها سابق في العربية ) و « النواردة او زهرة المرغريت » ( الهلال م ٣٠ ج ٤ ص ٣٣٠ ) و « نشيد الكشافات » ( الهلال م ٣٠ ج ٤ ص ٣٨٧ ) و « رثاء نعم شقير » ( الهلال م ٣٠ ج ٨ ص ٧٤٤ — ٧٤٥ ) ومرثاة اسماعيل صبري باشا ( الشعراء الثلاثة ص ٢٧٧ — ٢٨٣ ) و « الشعر الذهبي » ( الهلال م ٣٢ ج ١ — ٢ ص ٢٩ ) و « صيحة ألم » ( الهلال م ٣٢ ج ٣ ص ٢٤١ ) و « يوم الخميس » ( الهلال م ٣٢ ج ٥ ص ٤٧٦ — ٤٧٧ ) وفي ظل تمثال رعمسيس ( المقتطف م ١٤ ج ٢ ص ١٢٩ — ١٣٤ ) و « الحسن الجديد » ( الهلال م ٣٢ ج ٧ ص ٦٨٩ ) و « نشيد توت عنخ آمون » ( الهلال م ٣٢ ج ٩ ص ٩١٣ وقد لحنها فيكتوريا ملحمة وأنشدتها في حفل ) [

وفي هذا الوقت في صيف عام ١٩٢٤ سافر مطران الى سوريا وطاف في ربوعها وانتهى الى حلب وعملت له حفل تكريم في نادي الشبيبة الكاثوليكية تحت رعاية الحاكم العام حلب وذلك في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٤ وألقى فيها مطران قصيدة عصماء عن حلب ( تجدها ص ٤٨٩ — ٤٩٢ من مجلة الكلمة السنة ١٣ عدد تشرين ثاني وكانون أول ١٩٣٨ )

ورجع مطران من القطر السوري وعلف على ترجمة كتاب عن البروفسور بايون مدير جامعة اكس موضوعه الارادة ، نشر منه فصولاً في مجلة الهلال ، تجدها منشورة على صفحاتها لذلك الحين (٣)

(١) الهلال م ٣٦ ج ١٠ ص ١٢٠٤ يقول مطران : انه يتعرض لقرض الشعر بايحاء قاهر مثال ذلك مرثاة لشبلي شميل. فقد جعله الحزن يجيد بدلا من ان يستسلم للدموع ويبكي، فهو يفرج عن ضيق نفسه وعاطفة الحزن التي عده بتأليف القصيدة ويخرج منها كل رجل الحزون يبكي حتى يكاد يقتل نفسه من البكاء (٢) نظمت عام ١٩١٤ وأهديت الى مدام تولا باشا شكرًا لها على اهدائها هدية قيمة اليه وهي من النوع الرمزي — ص ٢٦٤ ص ٢ م ٢٥ ج ٨ من الهلال (٣) الهلال م ٣٣ ج ١ ص ٥٧ — ٦٢ ج ٢ ص ١٢٥ — ١٢٧ ج ٣ ص ٢٤٢ — ٢٤٤ ج ٤ ص ٣٥٧ — ٣٦٠ ج ٥ ص ٤٧٢ — ٤٧٥ ج ٦ ص ٦٣٤ — ٦٣٦



وقد أظهر مطران لهذه الفترة من الزمن بجانب نشاطه في عالم الشعر ، نشاطاً يذكر في عالم النثر . فقد نشر ثلاثاً من ترجماته لروائع مسرحيات ولیم شيكسبير وقد سبقت الإشارة الى ذلك ، كما كتب مطران فصولاً أدبية تمتاز بمطالعاتها العميقة في الأهرام والهلل والمقتطف ، من تلك الكتابات ما كتبه عن دائرة المعارف لفريد وجدي (الأهرام — ١٩ سبتمبر ١٩٢٢) ، وما كتبه عن الجزء الثاني من البؤساء ترجمة صديقه حافظ إبراهيم (الأهرام ١٠ أكتوبر ١٩٢٢) ، وما نشره عن كتاب « كلمات وإشارات » لآل نسة حي (الهلل م ٣٠ ج ٥ ص ٤٩٩ - ٤٥٠) ، وما كتبه من دراسة نقدية لديوان ولي الدين يكن (المقتطف م ٦٦ ج ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٩)

\*\*\*

تعتبر الفترة التي بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٨ ، الفترة التي بلغ فيها الخليل ذروته من الشعر وقد استهل هذه الفترة بملحمته العظيمة « نرون » التي تعتبر أول ملحمة من الشعر في الأدب العربي ، وهي خير ما نظمهُ الخليل ، ويظهر فيها مطران وقد ملك أعنة خياله الوثاب وهضم شيكسبير هضمًا قويًا فلم تتسرب معانيه وأغراضه الى ملحمة الا بعد ان مثلها وأدارها في ذهنه فجاءت من نفسه . وهذه الفترة من حياة مطران يمكن ان نقول عنها ، انها فترة ظهوره بالاعراض الشيكسبيرية في الشعر ، ولكن على اساس من الرجوع الى نفسه

والاشعار التي قالها مطران لهذه الفترة من الزمن غير مجمعة في ديوان ، فهي متفرقة في بطون صحف ومجلات ذلك العهد ، ونحن نذكر منها ونسجل أهم ما استوفقنا منها على ان نعود في البحث العاشر ونتبها كلها . وأول ما يصادفنا من شعره تلك الفترة الزمنية قصيدته « بائعات الازهار » (الهلل م ٣٥ ج ١ ص ٢٤) قيلت في وصف فتيات يبعن الازهار في حفلة لاجانة متكوني الشام) و« وصف مغنية » (الهلل م ٣٥ ج ١ ص ١٧٧) وهي في وصف مغنية شاهدها في حفلة وثام واتلاف) و« ايريس او الحب الخالد » (الهلل م ٣٦ ج ٦ ص ٦٥١ - ٦٥٢) و« مولير » (م ٣٧ ج ١ ص ١٨ - ١٩ من الهلل) و« في سبيل الصناعة الوطنية » (الهلل م ٣٨ ج ١ ص ٤٤ - ٤٥) و« ما مصير القوم » (المقتطف م ٧٧ ج ٣ ص ٢٥٦) و« هند » (الهلل م ٣٩ ج ٢ ص ١٨٩) و« بنت شيخ القبيلة » (المقتطف م ٨٠ ج ١ ص ٢٣ - ٢٤) و« مفاخر الهدايا للعروس المحسنة » (ابولو م ١ ج ٣ ص ٧٢٤ - ٧٢٧ وهي في ٩ مقاطع) و« النرجسة » (الهلل م ٤١ ج ٩ ص ١٢٥٩) و« مرثاته لحافظ » (ابولو م ١ ج ١١ ص ١٢٩٨ - ١٣٠٦ وتعليق عليها للاستاذ احمد الشايب في نفس المرجع ص ١٣٠٦ - ١٣١٠) و« بنفسجة في عروة » (ابولو م ١ ج ١ ص ٦ - ٨) و« النيل الخالد » (ابولو م ١ ج ٤ ص ٨٧ - ٤٩١) و« تكريم زكي مبارك » (ابولو م ٢ ج ٩ ص ٨٠٧ - ٨٠٨) و« رثاء شيخ العروبة » (ابولو م ٣ ج ٤ ص ٥٧٦ - ٥٧٨) و« بين عروسين » (مجاتي م ١ ج ٥ ص ٤٧٣ - ٤٧٥) و« شبل الاسد » (الأهرام ٢٩ - ٧ - ١٩٣٧ ص ٩)

وقد تضافرت الروايات عام ١٩٣٣ عن عزم مطران ان يخرج مجموع شعره كاملاً في ديوان مشفوعاً بدراسة نقدية وافية من قلم الدكتور طه حسين<sup>(١)</sup> غير انه على الرغم من مضي

(١) ابولو : م ١ ج ٢ ص ٧٠٢ وبروكلمان في تكملة تاريخ الآداب العربية . اللحق الثاني فقرة



خمس سنوات على ذلك التاريخ ، لم يخرج مطران شيئاً . وان كان يروي من جديد أنه شاعر في جمع شعره وتنقيحه مقدمة لإخراجه في ديوان على أبناء العربية . ولا شك ان صدور مثل هذا الديوان سيكون غمّاً عظيماً للادب العربي المعاصر ، لأنه سيجمع شعر ثلاثين سنة من نظم الخليل مما لم يثبت في ديوانه الاول ومما هو متفرق في بطون الصحف والمجلات العربية في مصر وسوريا ولبنان . على اننا من باب التسجيل التاريخي قد اثبتنا هنا ما قدرنا على اثباته من المواضع التي عثرنا فيها على شعره ، وسنثبت في المبحث العاشر ، كل ما عثرنا عليه من كلام منظوم أو منشور في ثبت يساعد من جهة على حصر آثاره ، ومن جهة أخرى على دراسة شعره

\*\*\*

لقد ساعد ما كان للخليل من حظ في الحياة الأدبية العربية أن يجعل له مكاناً بين أدباء العربية المعاصرين ، فذاع وانتشر اسمه وأصبح الرجل ملء أسماع الناس في الشرق العربي ، وانتبه له المستشرقون في أوروبا ، فكتبوا عنه وجملوه رأس مدرسة جديدة في الأدب العربي (١) وذهب البعض يقارن بينه وبين شوقي بك ، ومنهم من قدمه على شوقي واتخذوا اماماً وزعيماً للشعر المعاصر (٢) — ذلك أنهم أخذوا بروعة الجديد الذي حمله شعر الخليل ومنحاه الشخصي في شعره الذي يطبعه بطابع خاص (٣) . وليس هنا مجال الكلام على شاعرية الخليل وأغراض شعره وما يلبسه هذا الشعر من الصور التي يرتديها من عالمي الوجدان والطبيعة ، فلذلك مكانه الخاص من دراستنا . اما الذي يزيد تقريره هنا ، أن هذه الحياة الحافلة التي عاشها الخليل نظراً لأنها كانت حياة ضخمة ، فقد ملأت أسماع الناس ، وكانت قدوة للكثيرين ، وأحدثت أثراً لم يحدثه غير القليل من الأدباء الاعلام الذين عاصروه

والواقع ان مطران عاش عيشتين : عيشة مادية في عالم الواقع ، تتوضح صورتها في جهاده في الاعمال المالية والاقتصادية والزراعية . وعيشة ذهنية تتظاهر في الحياة الشعرية التي عاشها . غير ان الحياة الذهنية كانت غالبية عليه ، ولهذا لم ينجح مطران في حياته في عالم الاعمال ، وهو نفسه يعترف بأنه لم يخلق للجهد العملي وان مملكته الحقيقية لا تخرج عن عالم الذهن (٤)

وحياة مطران التي دارت في معظمها في عالم الذهن ، كانت حياة شعورية يتعارض في

(١) بروكلمان تكملة تاريخ الآداب العربية . الحق الثاني فقرة ١٥

(٢) صديق شيبوب — البصير — العدد ٨٤١٨ — ٥ يونية ١٩٢٥ ص ١

(٣) صديق شيبوب في البصير — ٥ يونية ١٩٢٥ ص ١ والشايب في أبولو م ج ١ ص ١١

(٤) ١٣٠٧ — ١٣٠٨ (٤) مطران في حديث له مع سلامة موسى بالهلال م ٣٦ ج ٩ ص ١٠٣٤-١٠٣٨



شبكة انتمالاتها الفكر والعقل . ومن هنا كان مطران شاعر الفكرة في الأدب العربي الحديث (١) ، وقد عرف ذلك معاصروه منه فاعترفوا له به وفي ذلك يقول حافظ ابراهيم :

« هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد ، وصدعوا قيود التقييد ، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي . وأفسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث وطوفوا بسرد وقائع التاريخ ففتح بذلك فتحة جديدة » (٢)

كما وان الأستاذ الشايب يعترف له بذلك فيقول :

[ ان مطران ليس شاعراً فقط أو هو شاعر من الطراز المثقف ، هو عالم وأديب : صياغة بديعة ، وشعور صادق ، وخيال عام ، وأفكار سديدة ] (٣) —

هذا والشيخ ابراهيم اليازجي يشهد له بتمكنه في الأدب الى حد أن ليس بين المعاصرين من يقدر أن يمشي معه فيقول عن قصيدته في رثاء نجيب الحداد

« هذا هو شعر خليل مطران الحقيقي ولو كان شعره على هذه الصور والماني وهذا الحسن في الصنعة في اظهار العواطف بلا مشى معه أحد من المعاصرين (٤)

وليس المجال استقصاء كل ما قيل في الخليل فهو لو جمع لكان كتاباً ضخماً (٥)

### مقدمة

يبلغ الخليل الآن من سني حياته العامرة بحافل الاعمال والآثار الثامنة والستين من عمره . وقد عرضنا لهذه الحياة في خطوطها العامة وزلنا بها الى الأصل الثابت من نفسه مستعينين على ذلك بكلام الخليل حيناً وبما كتب عنه حيناً آخر ، ماثلين الفراغ الذي في هيكل حياته بما يمكن أن يُستخلص من شعره . وهكذا انتظمت معنا حياته في سلسلة تدرج جميعها في صورة مطردة تركز على الواقع . اما امتداد هذه السلسلة في المستقبل فتروك الى الزمن بحيث لا يخرج ما يجد لمطران من وقائع وآثار عن نطاق الخطوط التي رسمناها لشخصيته في دراستنا

على أنه مما يحسن التنبيه اليه هنا اننا في اثناء استعراض سيرة الرجل لم نتوسع في سرد الشواهد التي اعتمدناها لتفصيل حياته والاستدلال منها على الاصل الثابت من شخصيته لان الكثير من هذه الشواهد مبثوث في المراجع التي ائبناها في الحواشي وقد تركناها لمراجعة القارئ وفطنه

(١) أحمد الشايب في مجلة أبولو م ج ١١ ص ١٣٠٧ — ١٣٠٨

(٢) الشعراء الثلاثة ص ٢٥٣ — ٣٥٤ (٣) الشايب في أبولو م ج ١١ ص ١٣٠٧ (٤) أنيس الجليس ، السنة ٩ ج ٩ ص ٣٧١ (٥) أنظر العدد الخاص بمطران من مجلة مركيس — عام ١٩١٣ — والشعراء الثلاثة ص ٣٥٢ — ٢٥٥ ومن المهم أن نقول أن في المصدر الاخير يوجد كلام عن مطران ص ٥٣ منسوب للنفلوطي وهو في الاصل منشور بمجلة مركيس م ٢ ج ١٩ سبتمبر ١٩٠٦ ص ٢٧٦ جاء ضمن مقال بعنوان طبقات الشعراء بدون توقيع ويظن أنه للرافعي



# ان تؤمني ...

للدكتور ابراهيم ناجي

أنتِ ان تؤمني بحبي كفاني لا غرامي ولا جالك فاني  
أجذب الهجر خاطري وجناني وأجفّ النوى دمي ولساني  
فتعالي روي الظما في عيوني واجنوني لقطرة من حنان  
طال والله في بعادك ذلّي ووقوفي على ديار الهوان  
أي سحر أحسّه أي روح سكبت في هاته العينان  
لكأنّ الرمم ما تبعثان وكانّ النشور ما تسكبان  
وكانّي مخلّق في سماء ومُطلّ منها على الأكوان  
مستغرّ بما منّحت قوّي أجمع الكون كلّه في عناني



# الآثار

## وقيمتها الغذائية

للكون عبره رزق

تُعدُّ الآثار بلا مرأى في مقدمة الأطعمة المفيدة بل الضرورية لصحة الانسان. وميل الاولاد بدافع الفطرة الى حبة الآثار من أفضل الأدلة التي تدعو الانسان الى تناولها حسبما يلائم صحته وسنه . فهي تنقل الى الانسان محضرات « المطبخ الشمسي والجوي » العجيبة التي لا يمكن الشك في منافعها لحظة واحدة . زد على ذلك فالآثار ليست بالأطعمة التي تجهد الجهاز الهضمي أو تسبب ارتباكاً فيه متى أخذت باعتدال ، ولا هي فقيرة من ناحية قيمتها الغذائية ، بل على الضد من ذلك يجب اعتبارها أطعمة تدّخر فيها قوى حيوية عظيمة

ولذلك فالدواوة بالآثار أو عصاراتها من الامور المعروفة اليوم كوسيلة لتنقية الجسم من الأدران والفضلات السامة في كثير من الامراض الحادة والمزمنة بفضل فعلها المقوي والمنقي معاً ، وهذه الدواوة لا تختلف في تأثيرها في المريض عن الاقتصار على اللبن الحليب في الامراض نفسها وعدا ذلك فقد ثبت بالاختبار أن الانسان الذي يقتصر على تناول الآثار يسهل عليه أن يعيش بغير انزعاج خلافاً لما يعتقد بعضهم من انها خالية من المواد المغذية ، ولست أقصد بذلك الرجوع الى ما كان عليه اجدادنا الاولون الذين كانوا يقتصرون على تناول الآثار دون سواها ، انما يجب علينا تعاطيها اكثر مما نتعاطاها عادة في هذه الايام ، أولاً لأنها تعتبر دواءً مفيداً جداً ضد الامساك، وثانياً لكونها مغذية ورخيصة معاً . ثم ان عصرها يثير الشبهة للطعام كما أن رائحتها وطعمها يفعلان فعل التوابل والمقبلات . ولتأخذ مثلاً على قيمة الآثار الغذائية الموز، الذي يحتوي في الكيلوغرام الواحد على : ٦ الى ١٢ غراماً من المادة الزلالية و ٣ الى ١٢ غراماً من المواد الدهنية و ١٣١ الى ٢١٨ غراماً من هيدرات الكربون . ومن هذا يمكننا أن نستنتج أن الانسان يستطيع أن يعيش اذا اكتفى بأكل الآثار . والذين يدعون الى مذهب الاقتصار على الفواكه يفضل رأيهم على رأي الذين يدعون الى الاقتصار على تناول الخضروات . لأن الآثار غنية خاصة بالاملاح العضوية : كالطريطات والمالات والسيرات التي تسبب افرازاً وافراً من عصير البنكرياس ، كما انها تحتوي ايضاً على الغليكوز والفلوز وغيرها من المواد التي تحترق وتمد الجسم بالقوة والحرارة . وعلاوة على هذا كله فالآثار تحتوي على الفيتامين — هذه الاجسام الغريبة التي لا تزال معلوماتنا عنها ناقصة على كثرة المكشوفات الحديثة في ميدانها ولكن لا يختلف باحثان مختصان في أنها ضرورية للحياة



أما هناك شيء واحد يؤسف له وهو أن تعاطي الفواكه الغضة والنيئة يتطلب أولاً النظر في حالة الأسنان والمعدة ، فبعض الناس مثلاً لا تستطيع معدهم أن تتحمل سوى أصناف معينة من تلك الفواكه لأن هذه تسبب غالباً عند المصابين بعسر الهضم عجزاً وارتباكاً في الجهاز الهضمي ، فيشعر المريض إذ ذاك بثقل في المعدة في أثناء النهار ، وباضطراب وأحلام مزعجة ليلاً في أثناء النوم واليك الآن أصناف الأثمار المسموح بتناولها لذوي المعد الضعيفة : — ١ — الأثمار الغضة الناضجة :

العنب . الخوخ . الموز . الدراقن . يوسف افندي ٢ — الأثمار المطبوخة : التفاح . الخوخ . الموز . البرتقال . المشمش . الأناناس . الدراقن . الكرز . التوت الأفريجي ( Fraises )

أما الأثمار المنوعة عنهم سواء أجنة كانت أم ناضجة فهي : الاجاص . الريباس ( Groseilles )

كذلك الأثمار الجافة الشديدة الحلاوة كالتين والتور . والدسمة : كالجوز واللوز والبندق ومن الأثمار ما يسبب اضطراباً في الهضم بالنظر لتركيب انساجها الخارجية : كالاجاص (الكثرى) والتفاح فهي على الرغم من نضوجها التام لا تلائم الذين يشكون ارتباكاً وظائف الهضم وخاصة عند الذين يمضغون مضغاً ناقصاً أو الذي تلفت أسنانهم أي أصيبت بالتخر . فوالحالة هذه تؤثر الأثمار المذكورة تأثيراً سيئاً وتسبب نفس الاضطرابات التي تحصل أحياناً من تناول بياض البيض الجامد أو الفطر ( Champignons ) وبذلك تكون عائقاً للعصارات الهضمية وتقلل فعل الاجسام الغريبة في الجسم . كذلك تقلل التور والتين وقشور بعض الأثمار ( كالدراقن والخواخ والاجاص الخ ) — عندما يعتري أعضاء الهضم أو وظائفه ضعف ما

وبوجه عام يجب الامتناع عن تناول الأثمار إلا بعد نضوجها التام أي بعد أن تكون قد طرأت عليها الدورة الطبيعية تحت تأثير الشمس ، وبعبارة أخرى التغيرات التي تميزها عن الأثمار الفجة والثمرة الناضجة تحتوي على : ١ — الماء : وذلك بنسبة ٧٨ إلى ٩٠ ٪ . أما الموز فثأؤه أقل ( ٧٤ ٪ ) وأما البطيخ الأصفر فثأؤه أكثر ( ٩٥ ٪ ) ٢ — السكر وهو ما تميز به الثمرة الناضجة فيعطى قسماً وافراً من حلاوته ٣ — الحوامض : إن حموضة الأثمار تختلف باختلاف نوعها ونسبتها تكون ٢ إلى ٣ ٪ ٤ — الروائح العطرية : وهذه تعطي مختلف الأثمار الناضجة طعماً ورائحة خاصين بها ٥ — سليوس : قسم من هذا على الأقل يغدو من نفايات الجسم . لكنه يساعد ميكانيكياً حركات الامعاء الدورية التي تحصل بتأثير تقلص أليافها العضلية ، وبذلك يساعد على تفريغ الامعاء بانتظام . فضلاً عن هذا فبعض الأثمار تحتوي على مواد دهنية ( كالجوز واللوز والبندق ) وأخرى تحتوي على مواد نشوية كاللوز مثلاً

أما نسبة السكر في ثمرة ما فتختلف دائماً بحسب حالة نضوجها وبحسب السنين أيضاً . ففي فصول الصيف الجافة والمشمسة مثلاً تكون نسبة سكر الأثمار فيها وافرة . أما في فصول الصيف الرطبة والقليلة شمسها فالأمر يكون على عكس ذلك أي أن نسبة السكر في الأثمار تكون فيها



قليلة وحموضتها شديدة . ومن ذلك نستخلص النتيجة التالية: في بعض السنين الجافة والحارة جداً يكون السكر مجتمعاً — الى حدٍ ما — في لب الاثمار حتى ان عصيرها يلوّث اصابع الذي يتناولها . بينما في السنين الرطبة والقليلة شمسها لا تلاحظ تلك الخاصة على الاطلاق . ولهذا يخشى في فصول الصيف الحارة والجافة من اعطاء الاثمار الى المصايين بضعف ما في الجهاز الهضمي ، واذا اردنا ان نسمح لهم بتناولها فليكن ذلك بالاحتراس التام ، ولا سيما الذين يشكون مرضاً ما في الكبد . أما الذين يهضمون الاثمار ، على انواعها جيداً فقائدتهم الصحية تقضي بأن يتناولوا منها ما يشاءون بدون وجل او تردد . وأما ذوو المعد الضعيفة فينبغي ان يقتصروا على تناول الاثمار المطبوخة وذلك بشكل ( خبيصة ) Marmelades بعد اضافة السكر اليها او عدم اضافته مع العلم ان الاكثار من السكر يسبب حموضة المعدة . وخبيصة الفواكه المطبوخة تفضل بوجه عام على المربي لكونها تحتوي على قليل من السكر وكثير من الماء

ويجب ألا يغرب عن ذهننا ان هضم الاثمار منوط على الخصوص بفعل المضغ . فبقدر ما تكون الثمرة ممضوغة بالاسنان وممزوجة باللعاب يكون هضمها ، كما هو معلوم ، سهلاً وأدنى الى التمام اما اصناف الاثمار المطبوخة الصعب هضمها والتي ينبغي على كل شخص ضعيف المعدة أن يتجنبها فهي:

- (١) عصير الاثمار المجمد ( Gelée ) ومربيات الفواكه لاحتوائها على قدر وافر من السكر
- (٢) الاثمار المطبوخة عند ما تكون كاملة او مقطعة قطعاً ( Compotes ) (٣) الاثمار المجمدة والمشربة السكر ، والاثمار المطبوخة المضاف عرق اليها (٤) اقراص المعجنات واقراص الحلوى المحشوة بالاثمار لان عجين هذه الاقراص يكون غير مختمر اختماراً كافياً

ومن فوائد تناول مقادير وافرة من الاثمار في حالة الصحة ، مكافئتها وطأة الامساك لأنها تطرد السموم من الجسم كما ذكرنا اعلاه وتلين الامعاء وتسهل تفريقها بما تحتوي عليه من مقادير وافرة من القلويات والماء . وهذا المفعول الحسن له تأثيره بنوع خاص في الكبد والكلى والدورة الدموية التي يخف التعب عنها كثيراً ولا سيما الكلى التي تستريح لأن الاثمار لا تسبب لها اي تعب او اجهاد . وللحصول على أفضل نتيجة يحسن بنا تناول الاثمار قبل طعام الفطور صباحاً ، وفي الساعة ١٠ صباحاً ، كذلك في الساعة ٤ بعد الظهر . وما يجدر ذكره ايضاً ان بعض الاطباء كانوا الى عهد قريب يمتنعون الاثمار عن المصايين بداء الرثية والقرص خوفاً من تأثير الاملاح العضوية التي تحتويها هذه الاثمار . لكن اطباء اليوم قد خالفوا هذه الفكرة الخاطئة واوصوا بتناول مقادير وافرة من الاثمار منذ ان تأكدوا ان تلك الاملاح تتحول في الجسم الى كربونات قلوية تزيل حموضة الدم . ولهذا نعرف أن نقدّر اليوم ما للثمار من المفعول الحسن في داء القرص والرثية فيوصى يومياً بتناولها وخاصة العنب والكرز والتوت الافرنجي والليمون الحامض الخ . انما يجب الاحتراس كي لا يحصل اضطراب في الجهاز الهضمي اي ان لا يتجاوز ما يتناوله



الإنسان منها الحدّ اللازم . وإلى القارىء نذتين خاصتين بالكرز والتوت الافرنجي :

(١) الكرز : يحتوي الكرز الغضّ في حالة نضوجه التام على ٨٠ ٪ من الماء و ١٠ من السكر و ٢ هيدرات الكربون و ١ حوامض و ٠,٧ مواد زلالية و ٦ سليولوس . ومن الضروري التمييز بين الكرز الحلو والكرز الحامض . فالأول منهما يوصى استعماله بنوع خاص في حالة المصابين بعسر الهضم ، بينما الثاني لا يمكن السماح به لجميع المصابين على السواء . وعلى كل ينبغي ان يكون الكرز ناضجاً نضوجاً تاماً ، وكأغلب الأمار يجب منعه عن المصابين بالالتهاب المعوي والكرز يُعتبر صحيحاً من المبردات اللطيفة ولا سيما اذا مزجنا عصيره بالماء وأعطيناه كشراب للمحمومين . كذلك يكون مفيداً جداً كمدرّ للبول ومليّن خفيف للأمعاء . ومن الكرز الجاف يمكن تهيئة منقوع مغلي كمدرّ للبول ايضاً وذلك باضافة ٥٠ غراماً من الكرز الجاف الى لتر واحد من الماء . فهذا المنقوع يفيد جداً الاشخاص الذين ادرارهم كثيف ونادر ، كذا ينفع المصابين بداء النقرس والرثية . وسواء كان الكرز طازجاً أو مطبوخاً ففضله سهل جداً . اما المربيات المستحضرة منه فتتطلب معدة سليمة لضمها دفعاً لحصول ثقل في المعدة والأمعاء اما الكرز الجاف فيحتوي في كل ١٠٠ غرام على : ماء ٥٠ و سكر ٣١ وهيدرات الكربون ١٤ ومواد زلالية ٢ وبقايا ١٥ . واذا اردنا الآن ان نأخذ مقداراً معيناً من الكرز الجاف والكرز الطازج فالأول منهما يكون اكثر غذاء من الثاني

(٢) التوت الافرنجي : يختلف مفعول هذا الثمر باختلاف الاشخاص . وبوجه عام يُعدّ من الأمار المطفة للجسم . اما لذوي المعد الضعيفة ولذوي الاستعداد لبعض الامراض الجلدية كالشري والاكريما فيعتبر مضرّاً . وعلى نقض ذلك يكون مفيداً جداً في حالات الرثية وداء النقرس والحرض Arthritisme وعند ذوي الامزجة الصفراوية والامتلاء الدموي وخاصة في حصى المجاري البولية . والاقتصار على تناول التوت الافرنجي يعادل تماماً بمنافعه الاقتصار على تناول العنب ، حكيمه للمريض ، عند المصابين بداء الرثية وامراض الكبد والحرض . فيؤخذ منه قدر ٢٠٠ الى ٤٠٠ غرام يومياً مع الاحتراس في مراقبة حالة الجلد والأمعاء لأن هذا الثمر يسبب عند بعضهم الحكة او الشري ، ويحدث القبض من ناحية الامعاء . ويحسن باصحاب المعد الضعيفة تجنب مريات هذا الثمر لأنها تسبب غالباً ثقلاً وارتباكاً في المعدة . أما شراب التوت الافرنجي فنسبة تركيبه كمايلي : سكر ٦ اقسام وماء قسيان وتوت افرنجي ٣ اقسام . وبعد أن يذاب السكر في الماء يضاف اليهما التوت الافرنجي ثم يغلى الخليط بضع دقائق وبعدها يُعصّر ويُصفى . ولا حاجة الى التذكير هنا أخيراً بضرورة غسل هذه الفواكه قبل تناولها لأن الارض التي تُزرع فيها غالباً ما تسقى بمياه أو سوائل أخرى مشكوك في نظافتها



## بحث اقتصادي

صناعي مقابل في موقف

إيطاليا وألمانيا منها

— ١ —

القوة الحربية في العصر الحديث تقوم على أساس صناعي، وما الجيوش والاساطيل وأسلحة الطيران إلا الحد القاطع من السيف، وأما النصل كله فهو ما يعرف باسم «الامة في حالة حرب» ولا سيما صناعاتها وزراعتها ومواصلاتها، والصناعات الحربية على وجه الخصوص. لان ما تتطلبه القوات الحربية من الاسلحة والذخائر لاحد له، والصناعات تقوم بعملها على الوجه المطلوب، اذا هي غذيت بتيار لا ينقطع من الخامات، وأهم الخامات التي تحتاج اليها الصناعة في حالة حرب، هي خمسة عشر خاماً — الفحم والحديد والبتروال والنحاس والرصاص والنفترات والكبريت والقفطن والالومنيوم والزنك والمطاط والمنغنيس والنيكل والكروم والتغنستن

فما هو موقف إيطاليا من هذه الخامات؟ أيها يستخرج في أرضها وأيها تحتاج الى استيراده؟ ليس في أرضها فحم ولا بتروال ولا نحاس ولا قطن ولا مطاط ولا نيكل ولا كروم ولا تغنستن، ويستخرج من أرضها ١٥ في المائة مما تحتاج اليه من المنغنيس. أما الكبريت والزنك فيستخرج منها في أرضها مقدار كبير يفيض على ما تحتاج اليه منها، وأما الحديد فنطاق استخراجه فيها آخذ في الاتساع ولكن المقدار المستخرج لا يكفي تماماً لما تحتاج اليه صناعاتها في أبان السلم وقلمما يكفي نصف ما تحتاج اليه في أبان الحرب، وأما الرصاص والنفترات والالومنيوم فتستطيع أرضها ان تجهزها بنحو ثلثي الى خمسة اسداس ما تحتاج اليه منها في أبان السلام

وهذا يعني ان إيطاليا لا بد أن تعتمد — وهي في حالة حرب — على استيراد كثير من المواد التي تحتاج اليها لمواصلة تلك الحرب. واحتياجها الى الاستيراد متفاوت اذا استثنينا الكبريت والزنك. وليبان مدى هذه الحاجة نرجع الى ما استوردته سنة ١٩٣٤ وهي آخر سنة يتاح فيها للباحث احصاء يصح الاعتماد عليه فيما يخص وارداتها

ففي تلك السنة استوردت إيطاليا من الحديد والصلب ما قيمته ٣٦٢ مليون ليرا ومن



الزيوت المعدنية ما قيمته ٣٧٧ مليون ليرا . والدولة المستوردة التي في حالة حرب ، تستطيع ان تفوز بما يعوزها من خامات الصناعة والحرب ، بأحد طرق ثلاثة

١ — فاما ان تصنع بديلاً منها بأساليب صناعية اقتصادية

٢ — وإما ان تعتمد على ما تخزنه منها في إبان السلام

٣ — وإما ان تستوردها في خلال الحرب من الخارج

أما الطريق الاول فلا يعلم أن هناك عوضاً أو بديلاً صالحاً يحل محل الحديد والصلب في صنع الاسلحة ولا هناك عوض آخر يحل محل الفحم في صناعة الحديد والصلب ، ولا عوض للبرترول في تسيير السفن الحربية المسيرة به ، والطائرات أو السيارات والدبابات التي اصبحت جزءاً اساسياً في كل جيش حديث . وهذا على سبيل التمثيل دون الحصر

وأما الطريق الثاني، فقد دل تاريخ الحروب على أن ما يستهلك من مواد الحرب في اثناء الحرب يفوق كل ما يتدبر له في اثناء السلام . ويضاف الى هذا أن حالة إيطاليا المالية لا تسمح لها بأن تنفق مبالغ طائلة على شراء مواد وخزنها لليوم العسير لأنها بذلك « تجمد » القليل الذي تملكه من الكميو الأجنبي . وما تستطيع أن تخزنه قد لا يكفي لحرب قصيرة علاوة على ارهاقها من الناحية المالية . وخزن المواد للحرب جزء اساسي من كل خطة حرية . ولكن هذا الخزون لا يقصد منه إلا سد الثغرة بين استهلاك السلام واستهلاك الحرب في بدئها . ومهما يعظم الخزون فلا بد من الاستيراد في حرب كبيرة بين دول متكافئة فلا يبقى امامها الا طريق الاستيراد

والاستيراد من الخارج يقتضي في المقام الأول اعتمادات مالية اجنبية . والاعتمادات المالية الاجنبية تجيء إما من زيادة الصادر على الوارد . وإما من ثروة ابناء الدولة المثمرة في البلدان الاجنبية فتصفي عند الحاجة اليها وتتفق لشراء المواد اللازمة . وإما بتصدير الذهب

وحالة إيطاليا التجارية في العهد الاخير لا تتيح لها الاعتمادات الاجنبية من طريق زيادة صادرها على واردها . ولا من طريق ثروة الايطاليين المثمرة في الخارج لان معظم هذه صفت في الحرب الحبشية وما تلاها . ففي ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٦ كان ما لحساب إيطاليا في البلدان الاجنبية ٦٣ مليون ليرا وهو خمس ثمن وارداتها العادية السنوية في إبان السلام . وقد كان هذا الحساب سنة ١٩٢٨ يزيد على ست آلاف مليون ليرا فأخذ ينقص تدريجاً حتى بلغ ما بلغه في آخر سنة ١٩٣٦ ويضاف الى هذا ان نفقات الحملتين الحبشية والاسبانية قضت على الحكومة بفرض ضريبة على رأس المال قدرها ١٠ في المائة

أما الذهب فالاحتياطي الايطالي منه كان يقدر في سنة ١٩٣٣ بنحو ٧٥ مليون جنيه فنقص الى نحو ٦١ مليون جنيه سنة ١٩٣٤ . فالى نحو ٣٢ مليون جنيه سنة ١٩٣٥ فالى نحو ٢٥ مليون



جنبه سنة ١٩٣٦ وهذا المبلغ كان ٧ في المائة من احتياطي ذهب فرنسا و ٨ في المائة من احتياطي ذهب انكلترا في الوقت نفسه . واذا قيل : ألا تعقد لها قروض ؟ كان الجواب أن ؟  
 فاذا كانت في حرب مع فرنسا وانكلترا فمن المؤكد انهما لن تعقدا لها قروضا . والمانيا لا تستطيع . واميركا بحسب قانون جنسن حظرت عقد القروض لدولة لم توف ديون الحرب التي عليها لاميركا . هذا من ناحية ثمن ما تحتاج اليه .

ولكن المسألة لها ناحية أخرى هي ناحية المواصلات البحرية . فاذا كانت ايطاليا في حرب مع انكلترا وفرنسا فنفذا البحر المتوسط من الغرب والشرق سيوصدان في وجهها . نعم لهذا الايصاد ناحية استراتيجية من حيث امكانه وقانونيته في ما يتعلق بترعة السويس . ولكن اذا كان التفوق للقوات البحرية البريطانية والفرنسية ، فالايصاد يمكن أن يتم في المحيط الاطلنطي من الغرب امام مدخل مضيق جبل طارق ، وامام مدخل ترعة السويس في شرق البحر المتوسط . ثم أن القوات البحرية البريطانية المستندة الى قبرص والاسكندرية وحيفا تستطيع أن تعرقل مواصلات ايطاليا في شرق البحر المتوسط وتحفض مقدار ما تستطيع استيراده من بلدان سواحله الشرقية . ووقوف تركيا في جانب فرنسا وبريطانيا يفضي الى قطع مواصلات ايطاليا بتاتا مع روسيا ورومانيا ومنهما معظم البترول الذي تستورده ايطاليا

وعلى ذلك تبقى مواصلاتها البحرية حرة تماما في البحر الادرياتيكي فقط مع يوجوسلافيا والباينا ومن المحتمل مع اليونان ايضا . ويوجوسلافيا تنتج بعض الفحم والحديد ، ولكنها على العموم تستورد مقادير منها . وفي اليونان بعض موارد معدنية ولكنها قلما تصدر . وأما البانيا فيها يباع بترول والمعروف عنها أن ما يمكن استخراجه منها يكفي ثلث ما تحتاج اليه ايطاليا من البترول في إبان السلام فقط

ولكن ... اذا كانت هذه حالتها من ناحية المواصلات البحرية ، فما حالتها من ناحية مواصلاتها البرية من الدول التي تجاورها في الشمال

اذا استثنينا فرنسا لان سككها الحديدية لا يحتمل ان تعمل على تموين ايطاليا في حالة نشوب حرب بين ايطاليا من ناحية وانكلترا وفرنسا من ناحية اخرى — فلاييطاليا تسع سكك حديدية تصلها بسويسرا والنمسا « المانيا » ويوجوسلافيا ، ثلاث سكك بين كل من هذه البلدان وبين ايطاليا . من هذه السكك سكتان مزدوجتا الخط والباقية مفردة الخط ، وهي جميعا تسير في جبال فميل الخط الحديدي صعودا كبير

وفي اثناء الحرب العالمية اهتم قسم الهندسة بالجيش الاميركي بوضع دليل دقيق للعمل الذي تستطيع ان تقوم به سكك الحديد في حالة حرب ، واذا اخذنا اقصى رقم في هذا الدليل وطبقناه



على السكك الحديدية التسع التي تصل إيطاليا بجاراتها الثلاث — سويسرا وألمانيا ووجوسلافيا — وجدنا ان أقصى ما تستطيع هذه السكك نقله في السنة يبلغ ٢٠ مليون طن أو أقل قليلاً، وهذا الرقم يشمل عمل هذه السكك اذا قصر على نقل المواد دون الركاب أو الحيوش، ويفرض ان حركة السكك والقطارات لا يعرقلها عمل الاعداء وان محطات الشحن ومحطات الاستقبال تقوم بعملها كالمساعة فلا تأخير ولا ازدحام، ثم يفرض ان جميع الجارات الثلاث مستعدة لتوريد ما تستطيعه الى إيطاليا مع ان احداها سويسرا والغالب أنها ستلزم الحياض الدقيق؛ والاخرى يوجوسلافيا وهي تأرجح في الميزان بين المعسكرين. ثم أنه يهمل من الحساب ان الخطوط الحديدية من يوجوسلافيا وخطين من الخطوط الثلاثة الممتدة من النمسا تجتمع عند مستر قرب البندقية حيث لا بد ان يقع ازدحام مبلبل. ثم ان الخط الممتد من مستر الى المنطقة الصناعية وهي منطقة توران ميلانو، يجتمع بالخط الثالث من ألمانيا المحترق لمضيق برنر عند فيرونا والازدحام فيها لا بد ان يكون مبلبلاً ايضاً

فاذا اقيم وزن لجميع هذه العوامل فالغالب في رأي الخبراء الهندسيين ان قدرة السكك الحديدية الايطالية على نقل المواد من يوجوسلافيا وألمانيا وسويسرا، لا تزيد على ١٥ مليون طن في السنة والغالب أنها لا تبلغه. ولكن مقدار الواردات الايطالية في سنة ١٩٣٤ عن طريق البحر بلغت ٣٤ مليون طن. فاذا فرضنا ان السكك الحديدية نقلت اليها ١٥ مليوناً مما تحتاج الى استيراده بقي عليها عجز قدره نحو ١٩ مليون طن وطبيعة إيطاليا الطبوغرافية في الشمال لا تشير الى احتمال مد سكك حديدية اخرى بسهولة او زيادة قدرة السكك الحديدية الممدودة على النقل يجعلها خطوطاً مزدوجة الاً بنفقة فادحة فجعل نفق سمبلون مزدوجاً — وهو احد الخطوط الرئيسية التي توصل الى ميلان — بدى سنة ١٩١٨ واستغرق اربع سنوات

## — ٢ —

تقول المجلة العسكرية الاسبوعية (مليتر دشنبلات)، ان ألمانيا تسيطر الآن في ميدان المستخرج من ركاز الحديد على خمس ما كانت هي وامبراطورية هابسبرج تسيطران عليه سنة ١٩١٤: ومعظم هذا النقص راجع الى خسارة لورين وضمتها الى فرنسا. وألمانيا تستخرج الآن ستة ملايين طن من ركاز حديد غير جيد (٢٠ — ٣٠ في المائة من الركاز حديد) ثم اضافت الى ذلك مليونين ونصف مليون طن في النمسا على وجه التقدير. فاذا اضيف الى المستخرج، الحديد المهمل الذي يعاد استعماله كان لألمانيا خمسة ملايين طن من الصلب حالة ان حاجتها السنوية — على ما تقوله المجلة الألمانية «جورنال التعدين الألماني» — الى ٢٦ مليوناً ونصف مليون



الآن معظم الاسلحة الالمانية لا تصنع من ركاز الحديد الالماني غير الجيد ، بل من ركاز الحديد السويدي الممتاز ( ٦٠ — ٧٠ في المائة من الركاز حديد ) المستخرج من مناجم جبال بلندة . و المانيا الآن تستورد كل سنة تسعة ملايين طن من هذا الركاز . ولكن ثلاثة ملايين طن فقط تنقل في خليج بوثلنا فبحر بلطيق . والثلاثان الباقيان ينقلان من شمال النرويج الى مصب نهر الرين ومنه رأساً الى المناطق الصناعية في الرور بسفن نهريّة . ثم تبتاع المانيا سبعة ملايين طن من ركاز الحديد من اللورين وهو معتدل الجودة ونحو مليوني طن من طبقة اجود من بلباو بشمال اسبانيا والريف في المغرب الاسباني . ومقادير يسيرة جداً من يوجوسلافيا والبرازيل . وبعد ان تستعمل كل الحديد القديم في المانيا تحتاج الى ان تستورد من الخارج جانباً كبيراً من ٥ ملايين الى ٦ ملايين طن من الحديد المستعمل التي تحتاج اليها كل سنة

وقد صرح المارشال جورنج غير مرة منذ تولى الاشراف على تنفيذ مشروع السنوات الاربع لجعل المانيا مكتفية ان مناجم الحديد التي نسبة الحديد في ركازها واطىء ستفتح على نطاق واسع وان المناجم الجديدة ستخرج عشرين مليون طن في السنة وان مصانع ضخمة ستحول ذلك الركاز الى صلب ، وان المصنع الواحد منها قادر على اخراج مليون طن من الصلب في السنة الواحدة . وعند ما انشئت المصانع المعروفة باسم مصانع هرمان جورنج للحديد صحبها تهليل وتكبير وارسال العمال الى المواقع المختلفة لاعداد مساكن العمال . ودعي اصحاب شركات الصلب الخاصة الى الاكستاب في رأسها ، ولكن سرأة صناعة الحديد في المانيا لم يشتركوا وذلك لسبب يسير بسيط جداً ، وهو ان مصانع من هذا القبيل لا تسفر الا عن خسارة . ففي مناطق الرين والرور مناجم قريبة من الامكنة التي يكثر فيها الكوك اللازم لاستخراج الحديد من الركاز . ونسبة الحديد في ركاز هذه المناجم من ٢٥ — ٣٠ في المائة ومع ذلك لولا معونة الحكومة المالية لوقف تشغيلها ، فكيف يمكن تشغيل مناجم بعيدة عن ميدان الصناعة وعن موارد فحم الكوك ونسبة الحديد في ركازها لا يزيد على ١٢ الى ١٧ في المائة

ولما ضمت النمسا الى المانيا كسبت المانيا موارد للحديد لا بأس بها كما تقدم وقال يومها المارشال جورنج ان هناك « موارد من الركاز الغني لا حد لها » فصححت له بحجة « الفرنكفورتر تسيتونغ » هذا القول بنشرها الارقام الصحيحة وهي : ٢٤٢ مليون طن من ركاز الحديد « النسبة ٢٧ في المائة » وهذا المقدار يكفي المانيا خمس سنوات ونصف سنة على معدل استهلاكها السنوي من الحديد الآن . اما مناجم النمسا فكان معظم ما يستخرج منها يصدر الى ايطاليا . وفي الوسع توسيع نطاق الاستخراج باستعمال وسائل جديدة فيزيد المستخرج من نحو مليون طن في السنة — وهو اقصى ما كان — الى خمسة او ستة ملايين طن على الاكثر وما زالت ايطاليا صديقة المانيا



فيجب ان تمنح حصّة وافرة من هذا المقدار. وثمّ نقل هذا المقدار من شمال النمسا الى الرور مشكلة قائمة بنفسها. المسافة ٧٠٠ ميل والنقل يقتضي كل يوم قيام عشرة قطارات كل قطار منها مؤلف من ٤٥ مركبة من المناجم ومعظمها يجب ان يعود فارغاً. قالى ان تتمّ رعة «الرين — الدانوب» تظل مشكلة نقل حديد النمسا الى الرور مشكلة غير يسيرة

ولنحول النظر الآن الى مادة اخرى من المواد الاساسية في الصناعة والحرب ونعني مادة «البترول» وهي فيما يتعلق بالحرب لا غنى عنها للطائرات والدبابات والسيارات على اختلافها والسفن الحربية. فقد نشرت مجلة «الدويتش فهر» وهي لسان الجناح النازي في الجيش الالماني مقالاً في عدد يناير سنة ١٩٣٦ قدرت فيه حاجة المانيا الى البترول في الحرب فاعتبرت تقديره على اساس جيش قوامه ٣٠٠ فرقة منها ٣٠ فرقة ميكانيكية عدتها ١٠٥٠٠ دبابة و ١٤٠٠ الف سيارة نقل و ٤٠ الف سيارة ركاب و ٦٠ الف موتوسيكل فاذا حاجتها الى البنزين والزيوت والشحم خمسة ملايين ونصف مليون طن بالسنة. ثم هناك سلاح الطيران وقوامه ٩ آلاف طائرة منها ٦٥٠٠ ذات محرك واحد و ٥٠٠ ذات محركين و ٥٠٠ ذات ثلاثة محركات و ٢٥٠ ذات اربعة محركات و ١٢٠٠ اخرى من طراز «السيبور» فاذا حاجتها الى مليون وثلاثة ارباع مليون طن في السنة. يضاف الى ذلك اسطول بحري تبلغ حاجته مليوني طن ثم يضاف الى ذلك ثلاثة ملايين ونصف مليون للصناعة والنقل وراء خطوط القتال

والمجموع الذي قدرته مجلة الدويتش فهر ١٢ مليوناً وثلاثة ارباع المليون من اطنان البترول وفي ١٦ ابريل سنة ١٩٣٩ أخرجت مجلة «الاقتصادي الالماني» تقريراً آخر فاذا المقدار في حسابها يتفاوت من ١٥ مليوناً الى عشرين مليوناً. ومتوسطه ١٧ مليوناً ونصف مليون من الاطنان. وهذا التقدير قريب من تقدير خير فرنسي إذ روعيت النسبة بين حجم الجيشين ففرنسا في عرفة تحتاج الى مقدار يتفاوت من ١٢ الى ١٥ مليوناً من الاطنان

فاذا تنتج المانيا من هذا المقدار؟. يتابع البترول فيها تخرج نصف مليون طن في السنة ومجلة (الاقتصادي الالماني) تقول (مارس ١٩٣٨) ان نصف مليون طن من البنزول تستخرج كنفاية في مصانع فحم الكوك يستخرج منها ٢٠٠ الف طن من الوقود

ويستخرج من الفحم بالطريق الصناعي ٧٨٠ الف طن من البنزين الصناعي فمجموع ما يستخرج داخل البلاد مليوناً طن وهو ثلث ما تستهلكه المانيا الآن وتوسع ما ينتظر استهلاكه في اثناء الحرب على التقدير المتوسط لمجلة الاقتصادي الالماني

أستطيع أن تسد الفرق بتوسيع نطاق البنزين الصناعي المستخرج من الفحم؟ هذا يعني توسيع نطاق هذه الصناعة عشرين مرة. ولكن أعلم ما يقتضيه هذا التوسع من مقادير الفحم



وعدد العمال والنفقة ؟ فقد ألفت في انكلترا لجنة لدراسة موضوع جعل بريطانيا مكتفية من ناحية البترول باستخراج البزبن من الفحم . فقررت اللجنة في تقريرها أن صنع ١٥٠ ألف طن من البزبن الصناعي في السنة يقتضي معالجة ٦٠٠ ألف طن من الفحم وعمل ستة آلاف عامل في المناجم والنقل والمصانع ورأسمال قدره أربعون مليوناً من الجنيهات . وهذه المنشآت تخرج مقداراً من الزيت يكلفها مليوني جنيه حالة أن ثمنه في السوق العالمية ثلث ذلك المبلغ . وأرقام هذه الصناعة في ألمانيا تؤيد هذه الأرقام . ومع ذلك فلم يفت مجلة « الاقتصادي الألماني » نقل خلاصة هذا التقرير الى قرائها

وعلى هذا الأساس لا تستطيع ألمانيا أن تجعل نفسها قادرة الآن على الاكتفاء الذاتي في مادة البترول وما يشق منها عن طريق الصناعة إلا برأسمال قدره ستة عشر ألف مليون مارك وتحويل نحو ٦٥ مليوناً من اطنان فحم الانتراسيت — وهو تقريباً نصف انتاجها — ونصف مليون من العمال الى هذه الصناعة . ونصف مليون عامل يعني ١٥ فيلماً في الجيش وكذلك يمكن القول ان الفوز بما تحتاج اليه من البترول ومشتقاته لن يجيء الآن من هذا الطريق

والمطاط — لقد صنع المطاط الصناعي في ألمانيا وهو يعرف باسم « بونا » . وهو مطاط يتصف بأهم صفات المطاط الطبيعي ويفوقه . وقد روى — زيشكا في كتابه « العلم يحطم الاحتكار » أن الجيش الألماني امتحن مطاط البونا امتحاناً دقيقاً في سنة ١٩٢٥ فجهزت أربعون سيارة بمجلات من مطاط البونا وسيقت ليل نهار سوقاً متواصلاً بواسطة فريقين من السواقين وفي النهاية وجد أن مدى حياة العجلة المصنوعة من مطاط البونا ٣٠ ألف ميل

ولكن موطن الضعف في هذا المطاط العجيب أن نفقات صنعه تجعله أغلى كثيراً من المطاط الطبيعي . فالمطاط الطبيعي يباع الرطل منه بمبلغ يتفاوت من ٢٤ مليماً الى ٣٠ مليماً . حالة أن رطل البونا في سنة ١٩٣٦ كان يكلف عشرين قرشاً . وفي مجلة لبنك الريخ صادرة في يناير ١٩٣٨ أن الرطل منها لا يزال يكلف من ١٣ الى ١٤ قرشاً

وليس هناك معلومات يوثق بها عن مقدار ما يصنع من هذا المطاط . ولكن كاتباً ألمانياً خيراً على ما يلوح يقول في كتاب له أن ألمانيا استهلكت من المطاط في سنة ١٩٣٥ مقدار ٧٢ ألف طن وأن جزءاً من أربعة عشر جزءاً ( اي أكثر قليلاً من ٥ آلاف طن ) من ذلك صنع في ألمانيا بالتركيب الكيميائي . وفي ٨ فبراير من سنة ١٩٣٨ كتب مكاتب جريدة التيمس اللندنية في فرانكفورت أن مقدار ما يصنع من مطاط البونا ينتظر أن يبلغ قريباً ٢٤ ألف طن في السنة وهذه زيادة عظيمة ولكنها قلم تلحق بزيادة المطلوب من المطاط

ثم هناك مواد صناعية أخرى تجعل في قولنا خيوط النسيج من صوف وقطن وكتان .



والحالة في ألمانيا في ما يتعلق بهذه المواد هي عكس الحالة الخاصة بالمطاط . فصنع الخيوط الصناعية المختلفة سهل ورخيص ولكن خواصها لا تزال دون خواص الخيوط الطبيعية التي تقابلها . فمقطوعية ألمانيا من هذه الخيوط — وهي مقطوعية مقيدة أشد التقييد — يؤخذ خمسها مما تخرجه المصانع الألمانية من الاعواض الصناعية كالرايون والفيسترا . يضاف الى هذا ان ألمانيا زادت محصولها من الكتان منذ سنة ١٩٣٢ سبع مرات ، وابتاعها من الصوف ٣٠ في المائة وجمعت كل ما يمكن جمعه من الخرق القطنية البالية القديمة في طول البلاد وعرضها لاعادة استعمال خيوطها وجموع ما تستهلكه من هذه الخيوط يبلغ في السنة ٨٥٠ ألف طن منها ١٠٠ ألف طن من الفيسترا و٦٥ ألفاً من الرايون و٦٠ ألفاً من الخرق القديمة المستردة و٢٥ ألفاً من الكتان و١٥ ألفاً من الصوف والمجموع ٢٧٥ ألف طن أي ثلث ما تحتاج اليه

أستطيع ان تسد النقص بخيط الفيسترا ؟ هناك مصانع جديدة لصنعه تقام ، وكان في الجو أحاديث عن مضاعفة ما يصنع منه سنة ١٩٣٨ كما ضعف في سنة ١٩٣٧ ولكن المصاعب التي تحول دون توسع عظيم فيه كانت ان صناعته مبنية على الحشب المستورد . ومعظم الاستيراد كان من تشيكوسلوفاكيا وروسيا ، والى حد ما من فنلندة . وقد جاء دخول النمسا — وفيها حراج غنية — وتشيكوسلوفاكيا في نطاق الريخ مما سهل على ألمانيا مسألة الاستيراد وتوفية الثمن . وهناك الآن تجارب تجرب لصنع الفيسترا من خشب اشجار الزان والشرين وهي كثيرة في حراج ألمانيا . ولكن قطع اشجار الحراج في ألمانيا ماض على وجه يثير مخاوف الخبراء

ثم ان الفيسترا ليس عوضاً صناعياً بالمعنى التام . بل يجب ان يخلط بنحو ٧٥ في المائة من القطن الطبيعي ، او الصوف الطبيعي لينتج خيطاً تمتسج منه منسوجات قطنية او صوفية تصلح للملبس . وقد شكوا احد تجار برلين لمنشئ هذا المقال ان نسيج الفيسترا الذي لا تزيد نسبة القطن الطبيعي او الصوف الطبيعي فيها على ٢٥ في المائة لا يثبت على غسلة واحدة بالماء الساخن ثم هو قصير العمر . والملابس المصنوعة من مزيج كهذا لا تدفئ وشووبوب واحد من المطر الشديد يقضي عليها . ثم ان الملابس التحتانية التي تصنع منها لا تلبث حتى يشعر لابسها كأن طبقة من المطاط الرقيق تلامس بشرته علاوة على انها تولد عند التفاعل بعرق الجسم راحة كريهة

وأهم من هذا وذلك انها لا تفي بحاجة ملابس الجنود . وعلاوة على ما تقدم تحتاج ألمانيا الى استيراد معظم ما تحتاج اليه من الالومنيوم والنيكل والنحاس وتسعة اعشار ما تحتاج اليه من النحاس وثلاثة ارباع ما تحتاج اليه من الرصاص وثلث ما تحتاج اليه من الزنك



# غنى الجار

لعبير الحمير الربيب

أهلُّ بها لله راضيةٌ نفسي  
على موهباتي ألف دينٍ لأمتي  
وأحتمل الدنيا كأني خلقتها  
رفعتُ حجاب الشمس فيها فأطلعت  
على القربِ مني كنز قارون مائلاً  
ففي بيت جاري أثر المالُ وكرهُ  
وجاري جماع الباخلين وظلمهم  
تكبرُ فلا لفاظ منه إشارة  
وانطق الفصحى فمن طرف ألقه  
له أسرة كالروض زهراً وصاحداً  
بنون بنات كالورود ملابساً  
يمرُّ على سكنائي في ذيل بيته  
صحوتُ على قصف الرياح وصوته  
يطالبني بالأجر في غيظ بائعٍ  
وقال يوارى ظلمهُ أي ضامنٍ  
أراك هنا كلَّ الاثناث ولا أرى  
فقلت معاذ الدين ما كنت مرة  
إذا كانت السكنى بأجرٍ مذلةً  
وأسمعه صوت الدراهم فانحنى  
وأخضع فقري كبره وراءه

وأشربها في الصبر مترعةً كأسي  
على اني فيها لدى محني منسي  
وان جميع الخلق علّق في رأسي  
عليّ النهار الصفوخُ لوأ من الشمس  
ولما أنل منه سوى خُرقة اليأس  
فيصبح في لمع الثراء كما يمسّي  
فلم يدع محروماً بعيد ولا عرس  
كأن عباد الله طراً من الخرس  
كنفخة ذي مال وجاه من الفرس  
فمن شامها ألفى ملائك فردوس  
يمرون كالإصباح معتدل الطقس  
مرور عيون المومنين على القلوس  
وما أحدث الطرق الخلع من الجرس  
تصيده المحتال بالثمن البخس  
لسكنى تعرت عن سرير وعن كرسي  
سوى قلم ثاوٍ على الأرض او طرس  
غريباً وما أذلت يومي ولا أمسي  
فما أرحب المجان في غرف الحبس  
يقدم أعذار اليهود من الوكس  
وأي غنى للحر غير غنى النفس



# فليكس فارس

لصديق شبيب

في أواخر الشهر الماضي فجعت العربية بأديب من خيرة أدائها ، وخطيب من أبلغ خطبائها . ورزئت العروبة بداعية من أخلص الدعاة لها ، ومجاهد من أبر المجاهدين في سبيلها . وفقدت الإنسانية فرداً كان من أنبل أفرادها قلباً ، وأقومهم خلقاً ، وأصدقهم عاطفة ، وأخلصهم أمانة ووفاء . انتقل الى رحمت ربه المغفور له فليكس فارس وقد كان كل هذا . فلا غرو إذا عظم خطبه على اللغة والعروبة ، وبكاه أصدقائه وعارفو فضله العديدون المنبشون في الاقطار العربية كلها وبلاد المهجر وشاطرهم حزنهم عليه وشعورهم بالفجيعة فيه جميع الناطقين بالضاد . وإذا نحاول اليوم ترجمة حياته والامام بمواهبه وصفاته نريد ان يعرف هذا العالم العربي أي رجل فقد بفقده . كان يمثل جيلاً من أبناء العربية يكاد يزول أفراده ، ولوناً من الأدباء يعز أن نلقى اليوم نظيره

ولد المرحوم فليكس فارس في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ بقرية « صليا » التابعة لقضاء المتن الاعلى المحاطة بغابات الصنوبر القائمة « من اسرة لبنانية قديمة انتبت اكثر من واحد خدم لبنان وحكوماته المتعددة

كان والده المرحوم « حبيب فارس » كاتباً وشاعراً تلقى علومه بمدرسة عينطورة وعين في الثانية والعشرين من عمره رئيساً للدائرة الاجنبية وسكرتيراً خاصاً لمتصرف الحيل رسم باشا وما لبث ان اعتزل الخدمة وأخذ يعارض في اساليب حكم جبل لبنان ، وكان قد تولى متصرفيته واصا باشا . فاضطر اخيراً الى التزوج الى مصر حيث اصدر صحيفة « صدى الشرق » ليحارب على صفحاتها المظالم التي كانت تقع على لبنان واهله في ذلك العهد . وقد حاول واصا باشا الاتقام من أسرته التي ظلت مقيمة في « صليا » فأنزله بها شتى الوان الاضطهاد . وقد شهد فليكس فارس الصغير هذا الاضطهاد فانطبع نفسه منذ صغرها على حب الحرية والثورة بالظالمين وكان المرحوم حبيب فارس قد تزوج بالسيدة « لويز شفاليه » وهي سويسرية بامها وهولندية بآبيها . وقد حنت هذه السيدة الفاضلة على سرير طفلها الصغير فليكس تنشده الموسيقى الغربية



التي تعلمتها من وطن « جان جاك روسو » فاستعد عقله لفهمها ، وصارت فيما بعد « تصل الى شعوره الباطن الخفي اهتزازات هذه الموسيقى كأنها صدى خافت لصوت بعيد . . . » على انه كان اذا رجع « الى كوامن الغريزة يشعر بالفطرة العربية متغلبة على سائر ما ورث من نزعات أوربية » وما خصه فليكس فارس بالموسيقى عند ما تحدث عن نفسه نستطيع ان نعممه بحيث يشمل الثقافة والادب ، فقد نشأ متغلبة عليه نوازع الادب الفرنسي ثم لم يلبث ان تخلص من أثرها فصار ادبياً عربياً صمياً

تلقى فليكس فارس علومه الأولية بمدرسة « بعبدات » ثم اخذ العربية عن والده والفرنسية عن أمه . ولم يلبث ان برع باللغة الفرنسية وشغف بها وصار يستلمها فسهل العربي في اثناء هذا كانت أسرته قد انتقلت من « صليا » الى « المريجيات » ، وهي البلدة القائمة عند منحدر « ظهر البيدر » في اتجاه دمشق . ومنزل أسرته فيها عند منحدر الوادي تحوطه الاشجار والكروم ويطل على منبسط سهل البقاع ذي الألوان المختلفة والمناظر البهجة هذه هي العناصر التي كوَّنت فليكس فارس عند ما استقبل الحياة بعد اتمام دروسه في سنة ١٨٩٨ وأخذ يحترف التعليم في بعض مدارس لبنان ويعالج الأدب في صحفه وفي بعض المجالات المصرية كائيس الجليس ومجلة سر كيس

فكانت النزعة الفرنسية تغلب وقسَّد على أدبه العربي . وقد وصفه في ذلك العهد الاديب خير الله خير الله في كتابه الفرنسي « سوريا » فقال انه « حاول أن يقتبس ما في الأدب الفرنسي من جمال ليدخله على الأدب العربي . وكان النقد الذي وجه اليه أن الهامه غريب عن العربية » ثم قال : « حقاً أن اسلوبه كان في بدايته معقداً ، وفكرته مبهمه غير مستقرة تماماً ثم على أن هناك اشياء لم تهضم . وزاد اللغويون على هذا فقالوا انه كان يسيء الى قواعد اللغة ولكنه عوض عن هذا جميعه بميزات طيبة كالاحساس والخيال والانسيجام واختلاف الافكار والصور وخصبها ، لذلك عند ما ظهر خطيباً للمرة الاولى أثار حماسه فياضة »

وقد كان ظهوره خطيباً عند صدور الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، اذ قام المصلحون ينادون بالحرية والاخاء والمساواة ، فائتلف المتنابدون وتقارب المتباعدون وغمرت البلاد موجة الانسانية الشاملة التي تجمع بين ابناء الوطن الواحد على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم فاذا الهلال والصليب يمشيان جنباً الى جنب في ظل الوطن ، واذا الشيخ والقس يتعانقان تحت راية الامة والدولة قام فليكس فارس وقسَّد خطيباً يستمد من روح ابناء وطنه هذا الوثام الشائع على الوجوه ويغذيه بما في نفسه من حب الحرية وكرهية الظلم والاستبداد فرحب به مواطنوه وانزلوه المنزلة التي هو خليف بها ولقبوه بخطيب الحرية



ولم يكتف فليكس فارس بنضاله على المنابر بل أجرى قامه للدفاع عن مبادئه ونزعات نفسه فأصدر في ٨ فبراير سنة ١٩٠٩ صحيفة اسمها « لسان الاتحاد » التي ظلت حية الى ٤ أغسطس سنة ١٩١١

في ذلك الطور من حياة فليكس فارس طبعت نفسه بطابعها الخاص واتخذ تفكيره شكله الكامل ونحا النحو الذي ظل يسير عليه طيلة حياته

وكان قد عين استاذاً للغة الفرنسية في المكتب السلطاني بجلب سنة ١٩١٠ فأقام فليكس فارس في هذه المدينة الى اواخر الحرب الكبرى . وحين دخلت الحيوش العربية سوريا التحق بها وعين سكرتيراً لجمعرف باشا العسكري ثم جاء بيروت واتصل بحكومة الانتداب فارسله الجزال « غورو » الى الولايات المتحدة مع الفنان المعروف المرحوم « جان دبس » ليتصلا بالبنانيين والسوريين في مهجرهم ويدعوهم لمساعدة وطنهم ويبيّن لهم مهمة فرنسا في الشرق فقاما بالمهمة التي عهد اليهما بها على أوفى وجه

اتصل فليكس فارس في اثناء اقامته باميركا بالاوساط العربية وادبائها وتوثقت او اصر الصداقة بينه وبين نفر عديد منهم وفي طليعتهم جبران خليل جبران كما اتصل بالاوساط الفرنسية ومثلي الدولة الفرنسية الرسميين . ثم عاد الى لبنان وفي نفسه مشروعات سياسية لم يستطع تحقيقها على الرغم من اقتناع الجزال « غورو » بصحتها . وقد هناك « غورو » بنجاحه في مهمته وعرض عليه منصباً أباه وفضل الاشتغال بالمحاماة وقيد اسمه امام محكمة التمييز ( النقض والابرار ) واشهر بتفوقه في المرافعة امام محكمة الجنايات

عند ما خلا منصب رئيس قلم الترجمة ببلدية الاسكندرية رشح فليكس فارس نفسه له وفاز به فانتقل الى هذه المدينة سنة ١٩٣١ ولم يلبث ان اتصل بالاوساط الادبية المصرية فذاع صيته ونبه ذكره واخذ يؤلف الكتب ويصنف الابحاث ويلقي المحاضرات والخطب بهمة ونشاط عظيمين حتى واقته منيته في صباح يوم الثلاثاء ٢٧ يونيه الماضي فذهب مبكية اخلاقه محمودة آثاره

\*\*\*

هذا هو الرجل ، اما الاديب فقد ذكرنا فيما تقدم كيف استهل فليكس فارس حياته الادبية قلق العبارة والاسلوب بارز الالهام الغربي . على انه لم يلبث ان تخلص من هذا وذاك واصبح كاتباً عربياً قوي العبارة صحيح الاسلوب ، دقيقاً في تخير الفاظه تجري على قامه سهولة سلسة في قوة وروانة . وقد ظهرت هذه المزايا في نثره وشعره

وقد تطور الهامه وتفكيره كما تطور اسلوبه . وهو اذا ظل يدين لثورة الفرنسية بمبادئ الحرية والاخاء والمساواة التي جاهد في سبيلها طول حياته ، واذا ظل يناادي بنقد التعصب



ووجوب تألف الاديان وعدم التفرقة بينها وبين أبنائها ، فانه عكف على تقاليد الشرق فاخذ يقول بوجوب احترامها ، وهي التقاليد التي ارادها مستمدة من الديانات الثلاث القائمة فيه ومن مجموع العادات التي درج الشرق عليها سواء في الاجتماع أو الفن أو الادب

ويطول بنا الحديث اذا شئنا أن نعرض لتفصيل هذه الآراء التي كان يعتبرها جماع رسائله الادبية والاجتماعية فقد فصلها رحمه الله في المحاضرات التي القاها في سنواته الاخيرة وجمعها في كتابه « رسالة المنبر الى الشرق العربي » وفيها يجد المطالع كيف كان فليكس فارس يمزج بين فكره ومطبقته ، ولعله كان يستوحي تفكيره من قرارة صدره الفياض بالشعور اكثر مما كان يستنزله من معين عقله الصائب . وقد كان ذا شعور متسع الافق ، وخيال رحب الجوانب

وقد كتب فليكس فارس كثيراً ، وعالج فنوناً شتى من فنون الادب كالشعر والقصة والاقصوصة . ومن تأليفه المطبوعة قصتا « الحب الصادق » و « شرف وهيام » وكتابا « النجوى الى نساء سوريا » و « رسالة المنبر الى الشرق العربي » . وكان قد أعد غيرها للطبع بما فيها ديوان شعر بعنوان « القيثاره » ولكن الاجل لم يفسح له لاتمام مشروعاته الادبية

وقد عكف في سنيه الاخيرة على ترجمة روائع الادب الاوربي فنقل قصيدة « رولا » التي نشرتها « المقتطف » وكتاب « اعترافات في العصر » وهما للشاعر الفرنسي « الفريد دي موسه » وكتاب « هكذا تكلم زرادشت » للمفكر الالماني « فريدريك نيتشه »

اما الخطابة فقد بلغ فيها فليكس فارس حدّاً من التفوق كبيراً . ولعلها كانت مصدر شهرته وذبوع صيته اكثر مما كان اديه

وكانت له قدرة عجيبة على المواقف الخطابية لا يعرف الكلل ولا التعب حتى قيل انه كان يعلو المنابر اكثر من عشر مرات في اليوم الواحد

وكان لا يعتمد على مواهبه الطبيعية في الخطابة بل يعالجها بأسلوب فني بارع . كان انيقاً في موقفه ، فيساً في اشارته ، بليغاً في عبارته . وقد فطر خطيباً أبلغ منه كاتباً ، فقد كان حين يرجل تواتيه الالفاظ مطواعة تتمثل في بريق عينيه وتجري سحراً جلالاً على لسانه

\*\*\*

واليوم وقد أسكت الموت ذلك الصوت الجهير وأخذ تلك الجذوة المتقدة وعاد فليكس فارس الى لبنان حيث نقلوا جثمانه كما عاد من قبله جبران خليل جبران فهو يرقد الآن في قرية المريجيات الى جوار آباءه واجداده حيث يحنو عليه الجبل الاشم بأرزه وضوبره وشمسه وارضه ومائه وهوائه ويحفظ العالم العربي بذكره ما بقيت في الصدور العربية زعات الشمم والفخار والاشادة بالرجال العاملين



كيف أفهمهم

## النقد الادبي

— ٢ —

جبرائيل جهور

استاذ بدائرة الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

### مؤهات الناقد

ينقلون عن جويته انه قال: هناك ثلاث طبقات من القراء فبعضهم يلتذ بما يقرأ دون ان يفقه سبباً لذلك، وبعضهم يحكم على ما يقرأ دون ان يلتذ به، وبعضهم يحكم وهو يشعر بلذة ما يقرأ، ويلتذ وهو يحكم، وهو خيرهم. والواقع ان الناقد الحقيقي يستطيع ان يرتفع فوق هؤلاء جميعهم بحيث يدرك ان باستطاعته ان يعجب بأثر دون ان يلتذ به شخصياً او ان يلتذ بأثر لا يستثير اعجابه ولعل اول ما يحتاج اليه الناقد ادراك غرض صاحب الاثر الفني وفهم المغزى الذي يرمي اليه، هذا سر النقد في نظري، ولست اذكر ان قرأت عن فيدياس وتلميذه الكمينس، وقد سبق بينهما جائزة في النحت، قالوا، فاخذ كل منهما في عمله حتى اذا تم صنع التمثالين كاد المحكون وهم ينظرون اليهما بين ايدي صاحبيهما ان يحكما لالكمينس لدقة التفاصيل وبهاء الصقل وجمال المسحة الاخيرة، وهنا وقف فيدياس يسأل المحكين ان لا يبدو آراءهم قبل ان يوضع التمثالان على قاعدتيهما في الموضع الذي عيّن لهما، وما ان وضعا حتى انقلبت آراء المحكين، ذلك ان التقاسيم البارزة والخطوط الحشنة في الظاهر قد تختل لينظر اليها من بعد، فبرزت بروعة جمالها حين ارتفع التمثال على قاعدته. اما حسن الصقل ودقة التفاصيل في تمثال تلميذه الكمينس فقد زالت معالمها حين ارتفع التمثال، وأضحى التمثال كثوب نصلت عنه الصبغة التي نفثها عليه صانع غير ماهر فالفنان، او رجل الفن اذا شئت، يحاسب على الغاية اكثر مما يحاسب على الطريق الذي يسلكه في سبيل تلك الغاية. والناقد الذي يخطيء غرض الأديب قد ضل سبيله، ولا ضرب لكم مثلاً بنقد بعضهم لقصيدة بشارة الخوري الشاعر التي قيلت في مهرجان الزهاوي، واسمحو لي قبل كل شيء ان اقرأ لكم الايات التي دار عليها نقده

بغداد ما حمل السرى مني سوى شبح مريب  
جفئت له الصحراء والتفت الكتيب الى الكتيب



وتنصت زمر الجنادب من فوهات الثقوب  
يتساءلون : وقد رأوا قيس الملوّح في شحوبي  
والتمتات على الشفاء مضرّجات بالنسب  
تبكي لها قبل الصبا ويذوب فيها كل طيب  
يتساءلون : من الفتى العربي في الزي الغريب  
صحراء يا بنت السماء البكر والوحي الخصب  
انا لو ذكرت ، ذكرت احلامي وانغامي وكوبي  
احدى الشموع الذائبات امام هيكلك الرهيب  
انا دمعة الأدب الحزين رسالة الألم المذيب  
من قلب لبنان الكئيب لقلب بغداد الكئيب

قال الاديب الناقد في جريدة المكشوف عدد ٣١ اذار (مارس ١٩٣٨) ما يلي: «وبشارة الخوري لو كان من الصحراء ولو كان ابنها وحبيها لعرف انها لم تعرف في حياتها الجنادب ، فالجنادب لم تطل من ثقب فيها ولا سمعت في رحابها صوتاً على الاطلاق » اه . وانا ارى قبل كل شيء ان اتهم معرفة الناقد بالصحراء فان لم تكن الصحراء ام الجنادب فأين موطنها بل اريد ان اذهب الى ابعد من هذا فاذعم ان بشارة الخوري ليس مرغماً على ان يعلم ان الصحراء تعرف او لا تعرف الجنادب ، ولا يهيمه ان يعرف ، فهو امام الفكرة التي تجلت له قد يستطيع ان يضحي بعلم الحيوان بأسره ، وقد يستطيع الروائي مثلاً وهو يقص رواية حرية ان يهمل التفاصيل في واقعة يريد ان ينتصر بطله فيها ، فيخطيء في وصف فنون الحرب وهو ليس قائداً حربيّاً ، بل ربما يخطيء في وصف موضع المعركة ذلك لأنه لا ينظر الا الى الغرض الاكبر وقد ملك عليه كل حواسه ، ألا وهو انتصار بطله ، فليس غرضه ان يعلم الفن الحربي ولا ان يرسم خارطة لميدان المعركة . ولم يكن بشارة الخوري في قصيدته هذه مدرّساً في علم الحيوان ولا شارحاً يصف مواطن الجنادب والجراد وفي الايلاذة سور قد يغبط كل النقاد ، بُني في السنة العاشرة من تلك الحرب لا لسبب فيما يظهر الا لأن اكلس قد ترك الميدان ، وقد خيل لهؤلاء النقاد ان السور كان يظهر ويختفي في الايلاذة بشكل غريب . واذن فقد زعموا ان هوميروس لم يضعه ، بل بناء شعراء متأخرون ودسوه في الياذة ، وقد انبرى لهؤلاء من زعم لهم ان السور لم يتغير ولم يتبدل ، ولو فعل فذلك لا يضير الشاعر ، لأن غايته الكبرى هي ان يبرز اكلس في اي شكل كان ، ويستطيع في سبيل غايته ان ينقل سور الصين الاكبر الى ميدان القتال في اليونان أو يذريه هباءً منثوراً في الفضاء ولقد قرأت لصديقي الاستاذ المازني وهو احد كبار النقدة في مصر في هذا العصر فصلاً في كتاب « صندوق الدنيا » عن تمثال النهضة الذي نحته محمود مختار ، أخذ فيه على



صانعه أشياء أصاب في أكثرها غير أنه حين عرض الى أمر نهوض ابي الهول الجديد على يديه عمد الى علم الحيوان فزعم ان الحيوان — من البعير الى الهرة — حين يريد ان ينهض يقوم على قائميه الخلفيتين أولاً ثم على الاماميتين وقال : « وأحسب ان مختاراً انما أثر هذا الوضع لأن منظر ابي الهول يكون غريباً ثقيلاً اذا أنهض على رجله الخلفيتين كما ينبغي ان يفعل اذا كان يقصد الى النهوض » ولا أظن صديقي الاستاذ المازني يسوؤه ان المجترات من الحيوان من ثور وجمل وغيرها تنهض على أرجلها الامامية أولاً

ولو سلمنا جدلاً أنها لا تفعل فذلك لا يضير مختاراً لأنه يجب ان تنظر قبل كل شيء الى الغاية التي رعى اليها مختار ، فابو الهول القديم يمثل الصبر والانتظار ، اما أبو الهول الجديد فيمثل نهوض مصر ولندكر كما ذكر الاستاذ أن ابا الهول هذا خليط من الآدمي والحيوان فله ان ينهض كيف يشاء ولكن ليس على رأسه كما يريد الاستاذ المازني متهماً ومتى أخذ الناقد يستفهم عن غرض الاديب بدأ النقد عمله . فما هو المعنى الذي يري

الشاعر ؟ وما الذي يقصده بهذا القول ؟ وما الذي فعله حين يحاول فهم المعنى ؟ وهل بلغ الشاعر غرضه ؟ وكيف عرض غرضه ؟ وبعبارة اوجز نكشف الغرض أولاً ، ثم نحكم على قيمته ، ثم نقدر صنعة الاخراج . تلك هي بكلمة مفاتيح النقد فاذا أحسننا استعمالها فتفتحت الابواب المغلقة واخذت الامور المغمضة تظهر شيئاً فشيئاً

وبعد ان يدرك الناقد غرض القطعة الادبية ومعناها ومغزاها واثرها في النفس ينتقل الى التفاصيل وسيرى ان المعنى العام الشامل مركب من معانٍ فرعية مترابطة واضحة في بعض الاحيان ومغمضة في بعض الاحيان الاخرى . ويرى أيضاً ان للعبارة الواحدة في كثير من المناسبات معاني كثيرة اذ ان لغة الادب ، شاء الناقد او لم يشاء تحتل في كثير من الاحيان غير معنى واحد . وابواب المجاز والكنايات واسعة وقد تنقل العبارة من موضع الى موضع فيتغير معناها وقد يستعار لفظها الى معنى آخر : خذوا مثلاً هذه العبارة « وكانوا في الزهرة ثلاثة رابعهم فلان » فدلوا اللفظي عددي لا أكثر بحيث يصبح المجموع أربعة ، اما مدلولها للناقد الادبي فيجب ان يكون اعظم من هذا وتستعرض ذاكرته ما جاء في سورة الكهف من القرآن الكريم : سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون... الخ وسيجد ان هذا الكاتب اراد ان يشير من طرف خفي ظاهر الى ان هذا الرابع كان منهم كما كان كلب اهل الكهف من اصحابه وهناك استعارات من عالم الفنون التي تدرك بالنظر مثال ذلك قولك : وبدا لونها كلون حاشية الافق عند الغروب فالسامع يسمع اللفظ ولا يرى فيه لوناً والقارئ يراه بحروف سود وكلاهما يعتمد الى خياله او حافظته وهذه تستعرض الالوان فتشرح للذهن هذا اللون وتصوره له على صفحات الدماغ وقد تخطى متى كان اللون غير مألوف لها ، فالصورة اللفظية تختلف عن



اللوحة المدهونة فذلك هي نفسها انتاج الرسام وهي تبرز امامك لتفصح عما فيها بينما هذه حروف مصفوفة في كلمات أو اصوات متقطعة تدوي في الآذان وما هي إلا رموز يستعين بها الادباء لنقل ما في نفوسهم ومع ان الادب كسائر الفنون قد هيئت له واسطة لا يصاله ونقل ما يحويه الى الغير فانه لا يزال أوعر الفنون مسلماً لان هذه الواسطة كثيرة الصور والمعاني ومن هنا كان الاشكال في النقد وهناك امور أخرى يجب ان يلتفت اليها في النقد العملي ، منها مسألة ايقاع الالفاظ وحسن جرسها والصفات الصوتية لمقاطعها ولا سيما في الشعر . وعلى الناقد بعد ان يكون قد أدرك المعنى الذي يستخلص من العبارة الواحدة ان ينتقل الى الموسيقى التي يعيها حسن انتظام الالفاظ ثم ينظر الى الكلمات المفردة ويتفهم معانيها الاولى وما تنتجها من خيال . ثم ينتقل الى المزج الصوتية في مقاطعها . وهنا قد يعترضنا ثانية اختلاف الاذواق واسمحوا لي ان اضرب لكم مثلاً على بعض هذه الظواهر واختلاف اذواق الشعراء فيها : نشر منذ زمن قصير الدكتور طه حسين بحثاً نفيساً في المتنبي ونقد فيه اشعاراً وردت للشاعر وأورد هذين البيتين :

بأبي من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجباماً

فافترقنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعاً

ثم قال : أعجب الفتى بهذا المعنى فاراد ان ينظمه وان يصل اليه فتكلف لذلك بيتاً ونصف بيت وانت ترى مظهر التكلف في قوله :

بأبي من وددته فافترقنا ، فكلمة وددته هنا نائية قلقلة مكرهة على الاستقرار في مكانها الذي هي فيه . أراد الصبي ( وقد كان المتنبي وقتئذٍ في صباه ) ان يقول أحبيته فلم يستقم له الوزن فالتبس كلمة تؤدي له هذا المعنى وتلائم هذا الذوق فلم يجد إلا وددته هذه ! وقرأ الأستاذ العقاد كتاب الدكتور طه فابرى يرد على هذا النقد ويقول : « والخلاف بيننا وبين الدكتور في طريقة النقد هنا جد بعيد فنحن نرى من جهة ان أبا الطيب لو أراد ان يقول أحبيته بدلاً من وددته لاستقام له الوزن مع بعض التجوز الكثير في الشعر المقبول في العروض وأرى من جهة ثانية ان أبا الطيب كان مستطعاً ان يستخدم هنا حبيته الثلاثية بدلاً من أحبيته الرباعية كما استخدمها في قوله وهو شاعر كبير حبيتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكأن أنتِ وافيّا

فلا ضرورة في الوزن ولا استكراه وفضلاً عن هذا لا نظن كثيرين يحسبون مع الدكتور ان وددته في موضعها من البيتين لا تعبر عن معناها الصحيح . فالوددة هي الكلمة العربية التي تقابل كلمة Tendresse في الفرنسية وتطابق معناها تمام المطابقة وهو ذلك الحب الرفيق الذي فيه خنوش وقشوق وليس فيه عنف ولا اعتلاج . ثم استشهد الأستاذ العقاد بطفافة من الايات الشعرية التي ذكر فيها الشاعر المتنبي في كبره كلمة وددته او مشتقاتها . وأظن ان باستطاعة الدكتور طه بدور ان يرد على هذا النقد ويحيل الأمر الى اختلاف الذوق والحكم في مثل هذا الامر هم مائة المتخصصين



ثم هناك تعابير او الفاظ شعرية ليس من الضرورة ان تكون الاساس في الاسلوب الشعري وليس الجمال في ارادها فحسب بل ان الامر يتوقف على الطريق الذي يسلكه الشاعر في استعمالها . ويذهب بعض النقاد في هذا العصر الى ان كل تعبير يناسب المقام يجوز استخدامه في الادب والعيب في نظرهم هو ان يكون الاسلوب عاجزاً عن التعبير غير اني ارى ان هناك الفاظاً اقوى من غيرها لا على نقل المعاني فحسب بل على نقل الجو او الحالة التي يريد الشاعر نقلها اليها ولعلي في غنى الآن عن ان اذكر لكم انه لا بد للنقاد في كثير من الاحيان ان يستسلم الى تأثير الشاعر فيه ولو الى حين ليرتفع معه في هذا الجو العلوي او ينتقل الى الحالة التي اسمها بعضهم حالة « اللاوعي » واسمها الوعي الاكبر او الروح الاكبر الذي يستتبع حتماً غموضاً في الفكرة واضطراباً في التعبير ولندكر ان الشاعر يستمد حياته وفنسه من العالم الباطني كما يستمد منها من العالم الظاهري ، والعالم الباطني لا تحد آفاقه وفي عمقه وبعده وعدم وضوحه يستطيع الخيال ان يكسب مناظر فنته وسحراً

ويجب على الناقد عند يقظته من هذه الغفوة السحرية ان يحلل ولو الى حد محدود اسباب نشوته ولذته والآن فقد ضل السبيل . ويحكي عن مصور كان يعرض صورة ان أحد الاغنياء قال له انه لا يعرف شيئاً من أصول التصوير . ولكنه يعلم اي شيء يجب ، فاستشاط الرسام غيظاً وقال هكذا تفعل الحيوانات أيضاً . ومهما يكن من امر الوقاحة في جوابه اليه فانه — اي الرسام — قد لمس ناحية مهمة من نواحي النقد في جوابه له . فان عالمنا بما يحب لا يكتفي بل يجب ان نقرن اليه الاسباب التي من اجلها تعلقنا بهذا الحب

ونستطيع ان نتبع صفات الناقد الحقيقي بشيء من التفصيل ، غير ان الوقت لا يسمح ولا اظن ان محاضرة واحدة تكفي للبحث في صفة واحدة من صفات الناقد بل اني ارى ان الغرض من المحاضرات ليس حشد المعلومات وقتل الموضوع درساً وانما هي تنبيه للخواطر وفتح ابواب الوحي للملمهين . وعليه فاسمحوا لي ان اجمل فأقول ان على الناقد في نظري ان يكون قبل كل شيء واسع الثقافة عميقها ، يحسن العلم والفلسفة ويتذوق الادب ، واسع الافق ، رحب الصدر بعيد النظر ، فلا يتعصب لجنس على جنس ولا لوطن على وطن ، متجرداً من الغرض ، فلا يجعل للهوى الشخصي سلطة عليه في احكامه على الآثار الفنية ، ولا يكيل الكلام جزافاً في تقرير او انتقاد ، ذا قدرة على التعبير عما يحس به اذا سئل عن ذلك ، وعليه بعد ان لا يتقيد بقيود الزمن ولا باقوال الناس ، فلا يبني نقده لشاعر ما على ما قيل عنه في عصره او على اثره فيه ، بل ينظر اليه نظراً حرّاً ، مالمكاً لمقله اذا اعترضته حالات منه قد تؤثر بسلطانها على احكامه الفنية ، حسن الاستعداد والتخيل والسليقة ، غير جاهل لنظم النقد التي عرفت من قبل ولا متقيد بها ، وعليه بعد ان تكون المقاييس التي يحاول هو وضعها مرنة بحيث تمتطع



ان تصمد امام المفاجئات الادبية التي قد تعصف بكثرة من نظم النقد فتدك معالمها عند ما تتحقق هذه الامور في الناقد ينجي. دور الذوق، وهو أبرز مؤهلات الناقد فيتلمس الجمال ويتذوقه ويدركه ويعيه، ويكون النقد الادبي عندئذ تطبيق شروط علم الجمال على الادب اما ميدان الجمال فهو لحسن حفظنا واسع تكثر فيه المتناقضات حتى زعم اناتول فرانس ان باستطاعة المرء ان يناقش في المواضيع المتعلقة بتقدير الجمال اكثر مما يستطيع في اي موضوع آخر، ومن يزعم ان المقاييس لتقدير الجمال وتذوقه قد وضعت وضبطت واستقامت وعينت حدودها فهو خادع او مخدوع، بل لا اظن ان علماء الجمال يستطيعون ان يخضعوه لهذه النظم التي تخضع لها سائر العلوم، ولا اظن ان الجمال ينفع بشيء اذا نظم على قواعد وأرقام وقياسات خاصة ليحشر بين العلوم. انه عندئذ ليجد ان خياله قد دخل بينها ومدلولاته الرقيقة قد تسربت بين المعادلات العلمية ولكن الجمال والمغزى الذي يحمله الجمال — سحر الجمال يبقى خارج الابواب — ولست اذكر من قال — وأرجو ان لا تحاسبوني على ارقام السنين — اذا استطاع علم الحياة ان يصبح علماً ثابتاً بعد الف سنة فسيقضي علم الآداب والسلوك مثلها ثم لا بد ان تمر الف سنة أخرى قبل ان يصبح علم الجمال مثلها وسيظل الناس في حيرتهم طيلة الثلاثة آلاف سنة يتساءلون عن مقاييس الجمال ونظمه. غير ان علماء الجمال قد اصطالحوا على وضع بعض النظم له ولكن الخطر كل الخطر أن يوضع هذا السلاح في ايدي الاطفال من الادباء والنقاد فانهم ينتحرون به ولقد يضطرونا درسها — لو شئنا التوسع — الى درس فنون أخرى كالنصير والموسيقى والرقص والنحت وغيرها وبكلمة ان هذه النظم لا يمكن ان ينظر اليها كما ينظر الى المقاييس المادية، وان تقدير الجمال وتذوقه يختلفان عن اللذة المادية التي نكتسبها منه. واذا سال لعاب احكم حين ينظر الى رسم تفاحة مثلاً فهذا لا يعني ان الجمال فيها هو هذه اللذة التي اكتسبها — هذه تزول ولكن الجمال يبقى فيها فيؤثر فيك وفي غيرك في اوقات أخرى. فتذوق الجمال اذن هو هذا الرضا الذي تحس به دون ان يكون لك مصلحة مادية: هذه هي في نظري فلسفة علم الجمال بكلمة، وذلك هو سحر الفن الذي لا يدرك بالحواس الظاهرة بل بالحس الباطن. هكذا أفهم النقد الآن، قد تفهمونه على غير هذا الشكل، ولعلي واياكم نفهمه غداً على غير ما نفهمه الآن، ولحسن حظي وحظكم وحظ النقد نفسه ان الناس تختلف فيه اختلافها في أمر الجمال، ولولا هذا الاختلاف في الاذواق لما وجدت كل هذه الكثرة من الرجال نعمة في عيون النساء، ولا ألفت كل هذه الكثرة من النساء سبيلاً الى قلوب الرجال. ولا اظن احداً في هذا البهو يوافق صاحب ليلى في ليلاه حين قال لقد فضلت ليلى على الناس مثلاً على الف شهر فضلت ليلى القدر



# الانزيمات

النظريات الحديثة في طبيعة عمل الانزيم

لرؤوانه محمد رؤوانه

## طبيعة عمل الانزيم

اتسعت الدراسات لمعرفة طبيعة عمل الانزيم وتأثيره كعامل مساعد، وساعد على تقدم هذه الأبحاث اكتشاف Büchuer طريقة عزل الانزيمات بعيداً عن خلاياها الحية ولقد ظهرت نظريات عديدة في تفسير عمل الانزيم، أبسطها النظرية القائلة بأن الانزيم يهيء بيئة مناسبة للتفاعل الكيميائي الحادث، ذلك لأن محلول الانزيم غروي، فتتسع بذلك الأسطح المعرضة للتفاعل المطلوب. إلا أن هذه النظرية قد سقطت أخيراً لأن الأبحاث الحديثة تثبت أن هناك اتحاداً فعلياً بين المادة المؤثر فيها وبين الانزيم، ثم يتحلل هذا المزيج الى المادة المطلوبة، ويبقى الانزيم ثابتاً دون أن يتغير، فيتحد بمقدار آخر من المادة وهكذا. وقد أمكن اثبات هذا الاتحاد بالتجربة العلمية، فأخذ محلولان من مادة التفاعل ومن الانزيم ثم رشحا خلال مرشح خزفي وخلط المترشحان، فوجد أنهما لا ينفذان من خلال مسام الترشيح دلالة على امتزاجهما. وهناك رأيان في طبيعة هذا الاتحاد، رأي يقول أنه مركب كيميائي أي أنه قائم على اتحاد الجزيئات، والثاني يقول أنه مركب طبيعي أو غروي، والرأي السائد الآن في الدوائر العلمية هو أنه نظام غروي يؤيد ذلك جميع البراهين العملية، والاثباتات النظرية، ورؤية المواد المتفاعلة بالانتراميكرسكوب Ultramicroscope، وتأثير الحرارة في الخاليط المتفاعلة ويؤيد هذا الرأي أيضاً كون التفاعلات التي تقع تحت تأثير الانزيمات هي تفاعلات عكسية، فالانزيم الواحد يستطيع أن يزيد في سرعة التفاعل في أي جهة، وكل اتجاه له شروط تفاعل خاصة، والامثلة على ذلك عديدة مثل تكون «الاستر» الصناعي للدهون بواسطة «اللياز» الذي في البنكرياس، وكذا تكوين البروتين من الحوامض الأمينية المتحللة، الى غير ذلك وقد خُصت الانزيمات المؤكسدة بقسط كبير من أبحاث العلماء ووضعت نظريات كثيرة لشرح عملها، أشهرها النظريتان التاليتان :







وقد لوحظ أخيراً أن انزيمات الانساج الحيوانية لا تؤدي عملها إلا إذا وجد معها مواد خاصة توجد في الغدد أو البروتوبلازم الذي يفرزها، مثال ذلك أنزيم التربسين يشترط لنشاطه وجود املاح الصفراء وهذه الاملاح - وما يشبهها - تسمى مساعدة الانزيم Co-enzymes ويمكن فصلها عن الانزيم بواسطة عملية الفصل الغشائي Dialysis خلال ورق الرق ( البارشمنت ) ، ومن أحسن الأمثلة لمساعد الانزيم في انساج النباتات ، هو مساعد انزيم الزيماز في خلايا الخميرة ، فإذا رشحت عصارة الخميرة خلال المرشح الهلامي (الجيلاتيني) ، رأيت أن الانزيمات الغروية التي تبقى لا يمكنها القيام بعملية التخمر ، وبتحليل هذا المترشح الذي يحتوي على مساعد الانزيم ، وجد أنه يحتوي على فوسفات ذائبة ومادة أخرى لم تعرف ماهيتها لأن

من جهة ثانية وجدت ظاهرة أخرى تعرف بظاهرة تضاد الانزيم Anti-enzyme وتوجد في الديدان المعوية التي تعيش في قنوات الحيوان الهضمية لمنع تأثير انزيمات المعدة والامعاء في تلك الديدان . وهي توجد أيضاً في الغشاء المخاطي المبطن لجدران الامعاء نفسها لمنع الهضم الذاتي للامعاء بواسطة الانزيمات الدائمة الاحتكاك بها

ونختم هذا البحث بذكر أهم الفوائد الفسيولوجية للانزيمات ، فللانزيمات تأثير هام في جميع الظواهر الحيوية ، ونحن قد علمنا أن الانزيمات لا توجد تفاعلاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل ، إذ أنها تساعد على التفاعلات العكسية في أي اتجاه ، فهي ولا شك تحدد سرعة التفاعل بعد أن يحدد البروتوبلازم اتجاهه . ومن المستحيل أن يتم التفاعل بين المركبات العضوية غير المتأينة في محتويات الخلية بغير هذه الأنزيمات وبمثل هذه السرعة الهائلة التي تتم بها التغييرات ، حتى يتمكن الكائن الحي من أن ينمو ويقوم بواجباته الحيوية الضرورية

\*\*\*

ومعلوم أن التفاعلات المختلفة التي تحدث داخل الخلايا كثيرة جداً وأغلبها يختلف عن الآخر ، لهذا كان من الطبيعي أن يكون عدد الانزيمات الذي تنتظر وجوده في النبات أو الحيوان ، كبيراً جداً ، وفملاً أثبت التجارب ذلك ، فوجد أن هناك ١٤ أنزيماً مختلفاً في القناة الهضمية وحدها و١٦ أنزيماً على الأقل في الكبد ، أي أنها توجد في جميع أشكال البروتوبلازم الحي ولا يختلف هذا في أي كائن حي سواء كان ميكروسكوبياً مثل البكتيريا ، أو ضخماً جداً كشجرة البلوط في المملكة النباتية ، ومن الأمثلة إلى الحوت في المملكة الحيوانية . ولتعدد الأنزيمات وكثرتها ، نشاهد في غالب الأحيان أنزيماً معيناً شائعاً في أنواع مختلفة من الأحياء ، مثال ذلك أنزيم التربسين ، فقد عثر عليه في أنواع من الكائنات الدنيئة وفي النباتات آكلة الحشرات وفي بنكرياس الإنسان وفي حيوانات أخرى عديدة



## جدول

## الانزيمات الهامة

القسم والنوع	اسم الانزيم	يشته الانزيم	المواد الناتجة	مكان وجود الانزيم
اولاً انزيمات هيدروليزية	الانفرتاز	سكر القصب	سكر جلو كوزو فراككتوز	الثمار
محلة الكربوهيدرات	مالتاز	سكر المالتوز	سكر جلو كوز	شعير المولت
	انيولاز	الأنولين	سكر فراككتوز	الخرشوف
	بكتيناز	بكتوز	سكر اراينوز	الثمار
	دياستاز — أميلاز	النشا	سكر مالتوز	شعير المولت
	سليولاز	السليولوز	سكر مالتوز	البكتيريا والفطر
ب — محلة البروتينات	پسین	البروتين	بيتون + البيوموزين	شجرة الباباظ
	ترپسين	»	»	نباتات كثيرة
	رينين	اللبن	باراكازينات	معدة الحيوانات الرضيعة
ج — محلة الاسترات	ليپاز	الدهون	جليسرین + احماض دهنية	الحبوب الزيتية
ثانياً انزيمات مؤكسدة	كتالاز	فوق اكسيد الايدروجين	ماء + اكسجين	كل النباتات
	پروكسيداز	»	اكسجين نشوء	»
	يورياز	يوريا	ثاني اكسيد كربون + نوحادر	»
ثالثاً انزيمات مجزئة	زيماز	سكر غنب	كحول + اول اكسيد كربون	خماثر
	لاكٹاسيداز	حوامض دهنية	حامض لاكتيك	بكتريا



## لخص

بالاسماء العلمية التي وردت في هذا المقال ولم نعر لها على مرادفات عربية  
حتى تسهل مراجعتها على القارئ

اللفظ العربي	الاصطلاح العلمي	اللفظ العربي	الاصطلاح العلمي
الانزيم	Enzyme	انزيم الاميلاز	Amylase
عامل مساعد	Catalyst	» اليورياز	Urease
سكروز	Sucrose	» الكتالاز	Catalase
جلوكوز	Glucose	» الزيماز	Zymase
مالتوز	Maltose	» بروكسيداز	Peroxidase
انزيمات هيدروليتية	Hydrolases	» لاكتاسيداز	Lactacidase
انزيمات تحمل الكربوهيدرات	Carbohydrases	» اوكسيداز	Oxidase
» البروتين	Proteases	» الاميولوزين	Emulsin
» الدهون	Lipases	» الدكسترياز	Dextrinase
انزيم الاتقرياز	Invertase	» الجلكتاز	Galactase
» مالتاز	Maltase	البيتون	Peptone
» انيولاز	Inulase	البيتيد	Peptides
» دياستاز	Diastase	دهن الاستيارين	Stearin
» سليولاز	Cellulase	الحمض الاستياريك	Stearic acid
» سيتاز	Cytase	جليسيريد	Glycerides
» بكتاز	Pectinase	جليسرول	Glycerol
» پيسين	Pepsin	استرات	Esters
» اربسين	Erypsin	انزيمات مختزلة	Aeductases
» تربسين	Trypsin	استيالدهيد	Acetaldehyde
» رنين	Rennin	سكر اليفيولوز	Levulose
» الزيماز	Zymase	سكر الفراكتموز	Fructose



# بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

## حول «مباحث عربية»

النظر في آراء النقاد

بقلم الدكتور بشر فارسى

لا يسعني — و «المقتطف» خارج في أغسطس — إلا أن أشكر لطائفة من النقاد عنايتهم بكتاب «مباحث عربية». وهؤلاء النقاد هم (على ترتيب الهجاء): الأب انتاس ماري الكرملى «المقتطف» يولييه ١٩٣٩ — ابراهيم عبد القادر المازني «البلاغ» ٢٧/٥/٣٩ و «المقتطف» يونيه ٣٩ — ادمار جلاذ Le Journal d'Egypte ٢٣/٦/٣٩ — اسماعيل أحمد أدهم «الرسالة» العدد ٣١١ و ٣١٢ — بروكلن «تكملة تاريخ الآداب العربية» ج ٣ ص ١٦٩ لندن ١٩٣٩ — زكي محمد حسن «الاهرام» ٢٩/٥/٣٩ — سلامة موسى «البلاغ» ٢٣/٦/٣٩ — صديق شيبوب «البصير» ١٩/٥/٣٩ — كامل محمود حبيب «المقطم» ٩/٦/٩٣ — محرر الدستور الأدبي، «الدستور» ١٠/٥/٣٩ — محرر «الهلal» يونيه ٣٩ — م. ح. ع. «الدستور» ١٨/٦/٣٩ — مراد كامل «الرسالة» العدد ٣٠٨ — وشكري للصدّيقين: القصصي محمود تيمور («الرسالة» العدد ٣٠٩) والفنان زكي طليمات («الرسالة» العدد ٣١١). وشكري أيضاً لمن بعث اليّ برسائل رقيقة، وأخص بالذكر الأستاذ ميخائيل نعيمة من لبنان، والدكتور فيليب حتى من أميركة الشمالية، والمستشرق ماسينيون من فرنسا والمستشرق تيشنر من المانية

وقد ورد فيما كتب النقاد كلام لطف أيّ لطف حتى إنك تراني أنسبه الى سماحة الطبع نارة، وأعده من باب حسن الظن بالمؤلف أخرى. واهتمام النقاد — على اختلاف مشاربهم، إذ فيهم العالم والأديب والمنشئ — بكتاب كنت أظنه يدفن يوم يخرج، لعبوس صفحته وثقل مادته، لأقطع دليل على ان في مصر من ينشط لكتاب مجرى على «أسلوب يضجر من همهم من القراءة أن يتسلوا ويتلهوا ساعة لأنه يحوجهم بشدة إحكامه الى كد الذهن» على قول الصديق الأديب المترسل ابراهيم عبد القادر المازني



وتتمة لما يجنيه القارئ — على سبيل الفرض — من هذا الكتاب ، ليجسن بي أن أعرض معه جُلَّ ما أخذ عليه . وإن أنا نظرت في المآخذ ، على اختلاف ألوانها ، فأنما يكون هذا طلباً للدنو من الحقيقة ورغبة إلى القارئ المهدَّب في أن يرى رأيه فيها

\*\*\*

أخذ عليّ العلامة الأب أنستاس ماري الكرملّي استعمال لفظه « المنضدة » بدلاً من « النضد » لأن المنضدة « لفظه لم ترد في كلام فصيح » ، والنضد « من باب تسمية الشيء بالمصدر » والوجه أن المنضدة لا تصيها في « لسان العرب » ( ج ٤ ص ٤٣٣ وما يليها ) ولا في « القاموس » مثلاً ، ففيهما : « النضد : السرير ينضد عليه المتاع » . فالأب العلامة على صواب . إلا أن المعجمات لا تحصر متن اللغة ، فضلاً عن أن باب الاشتقاق ميسور لطالبيه . والمنضدة على وزن مفعلة ( بكسر الميم ) تجري مجرى اسم الآلة . ثم اني يلوح لي ان استعمال لفظه النضد يورث بعض الاشتباه لأن النضد يدل على الشيء ومصدر الفعل في آن ، وفي استعمال لفظه المنضدة تقييد للمعنى ونجاة من الاشتراك

\*\*\*

يسألني الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية في كلية الآداب جامعة فؤاد الأول — أن « أدوّن الرموز ( التي استعملها ) في الطبعة الثانية على ترتيب ما ، نحو الترتيب الابداعي » وبهذا الأسلوب الرقيق ينهني الزميل الفاضل أنه كان ينبغي لي ان ارتب الرموز ، مع قلها . وعليّ عهد أني متدارك هذا في الطبعة الثانية ان شاء ربك

\*\*\*

في رأي الأستاذ صديق شيبوب ان استعمال « النقد الباطني مقابلةً للنقد الخارجي لا يتمشى وتقاليده اللغة . فقد قالوا : خارجي وداخلي ، أو ظاهري وباطني » والحق بين يدي الأستاذ الناقد صديق شيبوب من جهة التقليد اللغوي . الا أن للاصطلاح الفلسفي ان ينحو نحوه ابتغاء الدقة والفرار من اللبس . ويان هذا اني لو استعملت « الظاهري » لانصرف الذهن الى الأخذ بالـ « ظاهر » ، و « الظاهر هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة ويكون محتماً للتأويل والتخصيص » ( أطاب « التعريفات » للبرجاني ، مصر ١٢٨٣ ، كلمة « الظاهر » الأولى ) . هذا على حين أني أريد « القضية التي يكون الحكم فيها على الأفراد الخارجية فقط » ( اطلب « كشاف اصطلاحات الفنون » كلمة « الخارجي » ) . ومن هنا فولي عند الفحص عن حديث نبوي : « واذا بدا لك أن تعدل عن النقد الخارجي critique externe



وهو النظر في الأسانيد ، الى النقد الباطني critique interne وهو النظر في الأسلوب ، فاعلم أن أسلوب هذا الحديث محض اسلامي « (مباحث عربية ص ٤٢) . هذا ما يعلل إعراضي عن لفظة الظاهري . وأما انصرافي عن لفظة الداخلي ، وهي المقابلة للفظه الخارجي من باب التقليد اللغوي الى لفظة الباطني ، فسببه مخافة اللبس . وذلك لأن لفظة «الداخل» مُفادات شتى في الكلام والفلسفة ( وهي : الركن والأسطقس والهيولى والاصل ، والموضوع — راجع « التعريفات » كلمة الداخل ) . هذا فضلاً عن أن « الباطن » أدل على المعنى المقصود من « الداخل » في هذا التعبير : « النقد الباطني » . لأن الباطن يوجه الذهن الى ما هو داخل والى ما في الداخل من خفي ، على حين ان النقد الداخلي لا يقتضي النفاذ الى كنه الاشياء بل يقف عند ما وراء المنظور . وعلى ذلك ترى الباطني أشد إيفالاً وأعم

واذا قلت : لم لا تستعمل كلمة « خفي » — وهي ضد كلمة « ظاهر » أيضاً على ما جاء في « التعريفات » ( كلمة « الظاهر » الثانية ) — قلت : ان كلمة « الخفي » مساقة الى اللبس ، لأن الحفاء « في اصطلاح اهل الله هو لطيفة ربانية مودعة في الروح بالقوة ... » ( « التعريفات » كلمة « الخفي » ) . واذا اعترضت بعد هذا بقولك : ان كلمة « الباطني » مجلبة للبس أيضاً من حيث ان « الباطنية » فرقة من فرق المسلمين ( أطلب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركون » للرازي مصر ١٩٣٨ ص ٧٦ وما يليها ، ثم أطلب « كشاف اصطلاحات الفنون » كلمة « الباطنية » ) ، جعلت ردي أنك إن اردت النسبة الى « الباطنية » قلت : نقد الباطنية ، اي فرقة الباطنية ، لا النقد الباطني أي : طَلاب الباطن ( وعلى هذا « الظاهرية » )

\*\*\*

عدّ الاستاذ م . ح . ع . (١) المبحث الأول من الكتاب ، وعنوانه : مسامون في قلندة « مقالا لا يتناسب مع موضوعات الكتاب »

وهذا حق من جهة أن ذلك المبحث لا ينهض ، نحو مبحث « مكارم الاخلاق » أو « المروءة » أو « تاريخ لفظة الشرف » ، على استقراء الوقائع واستقصاء المصادر . فليس هو مبحثاً بالمعنى المتواضع عليه ، ولذلك سميت « استطلاعاً » inquiry, enquête وهو بهذا يدخل في باب « المشاهدة مباشرة وملاقة » ( كما يقول ابن سينا ) من علم الاجتماع . ولعلي جعلته رأس المباحث ، لجِدِّته وخلاصة موضوعه مع سهولته ، مدخلا الى فصولٍ كالحلة تأكل حواشيها منها



ثم ان الكاتب المستعرب الأستاذ اسماعيل احمد ادهم ، خريج جامعة موسكو <sup>(١)</sup> ، نشر في « الرسالة » ، بعد الدكتور مراد كامل ، نقداً مسهباً أحب أن أتمهل عنده :  
 ألا اني يسوءني ان اقول اني لمست فيما كتبه الأستاذ ادهم انحرافاً عن وجه النقد الصحيح واضطراباً في تناول المسائل العلمية ، واجتلاباً للنقد نفسه ، واستسلاماً الى آراء المستشرقين من غير تمحيص للواقعات ذاتها ، ثم تحدياً في القول . واليك تفصيل ذلك :

\*\*\*

أما انحراف الناقد عن وجه النقد الصحيح في مثل قوله في مبحثي « مكارم الاخلاق » — وهو المنشور من قبل باللغة الفرنسية في « مجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم في رومة ١٩٣٧ بعد الثاني له في مؤتمر المستشرقين (سبتمبر ١٩٣٥) — : « وكان بودنا ان تناقش الباحث آراءه التي أتى بها في الموضوع ولكن المصادر اعوزتنا . لهذا صرفنا النظر عن مناقشتها . على انه يظهر ان الباحث وفي حقه من التحقيق والفحص العلمي »

هذا أسلوب من النقد لم ألقه قبل اليوم . فاما ان يناقش الناقد الباحث في مسائل واضحة معينة ، ولا يكون ذلك إلا بعد مراجعة المصادر بنظر نافذ . وإما ان يتجنب الكلام او يعرض للبحث من الناحية الموضوعية فيبين مطالبه ويجهلها للقارئ دون ان يلقي في وهمه انه يستطيع مناقشة الباحث ولكنه « صرف النظر عن المناقشة » لان المصادر تعوزه . ذلك أسلوب فيه تهويل ، مما يدعوا القارئ الى الارتياح في قدر البحث نفسه . افلم يكتب الناقد : « على انه يظهر (كذا) ان الباحث وفي حقه (اي الموضوع) ... » ؟

انما وظيفة النقد تحقيق الموضوع ولا سيما اذا كان مما يتصل بالعلم الاستقرائي . وعلى هذا الوجه يستعين الباحث بالناقد على خدمة العلم الصريف

\*\*\*

وأما اضطراب الناقد في تناول المسائل العلمية في استشهاده بفصل من كتاب « ملتي اللتين » للأستاذ مراد فرج (القاهرة ١٩٣٠ ج ١ ص ٩٠) . قال الناقد : « كلمة المروءة وردت في اللغة العبرية نازعة فيها لمعنى السيادة » ثم رجع القارئ الى : سفر دانيال ، الاصحاح ١٤ ، الآية ١٩ والواقع ان في كتاب مراد فرج ما حرفه : « مرا : فتح فكسر نمال ممدود بمعنى السيد

(١) أورد الاستاذ سامي السكيالي في مجلته بحلب « الحديث » في التصدير الذي عمله لبحث الاستاذ ادهم في « طه حسين » ١٩٣٨ ، ان الاستاذ ادهم أخذ في العلوم والفلسفة اجازتي Se D., Ph. D. بدرجة شرف من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ وانه غم من الجامعة نفسها اجازة Ph. D. بصفة شرفية سنة ١٩٣٨ . هذا وان الاستاذ ادهم ، كما يعلم قراء المقتطف ، يجعل تحت توقيع اسمه : « عضو أكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد الروسي للدراسات الاسلامية »



وولي الأمر». وعليه فن إن جاءت لفظة «المروعة»؟ ثم إن الأستاذ مراد فرج استشهد في هذا الموطن بسفر دانيال (من «العهد القديم»)، فكتب: «دانيال ١٤ — ١٩، والأصل العربي ١٦...» (يريد الإصحاح ١٤ والآية ١٩ في الأصل العربي والآية ١٦ في الأصل العربي) ومن المستحيل أن يكتب الأستاذ فرج: الإصحاح ١٤ (الرابع عشر)، لأن سفر دانيال اثنا عشر إصحاحاً فقط. ومن هنا اتضح لي أن الإصحاح ١٤ من غلطات الطبع. فسألت زميلي الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول — في ذلك، فأخبرني بعد المراجعة أن الصواب هنا: الإصحاح ٤ (الرابع) والآية ١٦ و ٢١.

وهكذا ترى كيف جاء الأستاذ أدهم ونقل ما في كتاب فرج من غير تحقيق ولا مراجعة. والظريف أنه استشهد بسفر دانيال أولاً، اذ قال: «دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج في ملتي اللتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١»، كأنه أطلع على سفر دانيال قبل «ملتي اللتين» لمراد فرج — وما يتصل بما تقدم أن الناقد كتب عند الكلام على أنساب العرب: «ولكننا على الرغم من ذلك نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون وانحاذ من قبائل مختلفة: (ابن حزم نقلاً عن الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧. والمراجع العربية تروي أن قبائل تيوخ وغسان والعنق تكونت من شيت البطون التي تناثرت في الصحراء من القبائل العربية التي تفرقت بعد تركها مواطنها في الجنوب: الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ وكذلك لنا (يعني كتاباً له) علم الأنساب العربية ص ١٣ — ١٤»

على هذا النحو ترى الجزء الثالث (?) من «الفهرست» لابن النديم يُثبت مرتين على سبيل المرجع. وليس للأستاذ أدهم أن يستجد بغلط الطبع، إذ في كتابه المستشهد به أيضاً «علم الأنساب العربية» (طبعة مجلة الحديث، حلب ١٩٣٨ ص ١٤) ما جاء في نقده حرفاً بحرف هذا والمعلوم أن «الفهرست» لابن النديم طبع مرتين: مرة في ليبزج Leipzig سنة ١٨٧٢ ومرة في مصر سنة ١٣٤٨ هـ. وفي كلتا المراتين خرج «الفهرست» في جزء واحد. والذي حدث في هذا الموطن أن الأستاذ أدهم اقتبس المرجع إلى «الفهرست» من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يراجع المظنّة (شأنه مع «سفر دانيال»)، ولو راجعها لعلم أن الكلام على الأنساب يقع في «المقالة الثالثة» («الفن الأول: في أخبار الأخباريين والنسابين...») من كتاب الفهرست لافي «الجزء الثالث» منه. ومن هنا يتبين أنه ظن المقالة جزءاً لحظّة اقتبس المرجع، وأما الصفحة التي يعينها (ص ١٨٧) فلا أثر فيها لما يذكره. بل إنني قرأت «الفن الأول» من «الجزء الثالث» كله (طبعة مصر) ولم أعر على حديث الناقد وأما قوله في مرجعه: «ابن حزم نقلاً عن الفهرست...» فغاية الاشتباه. لأنه إذا



قال ابن حزم من غير تعيين اراد صاحب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » المولود سنة ٣٨٣ ( والفهرست صنف سنة ٣٧٧ ) . ولابن حزم ستة وثلاثون مؤلفاً ( راجع : بروكسن « تكملة تاريخ الآداب العربية » ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٩٤ — ٦٩٧ ) . وعليه فلنا ان نسأل الناقد اي كتاب لابن حزم يعني . ثم اني اعلم أن لابن حزم كتاباً لا يزال مخطوطاً عنوانه : « جبهة النسب » وقد نشر جانباً منه Khuda Bukhsh في كتابه Contributions to the Hist. of Isl. Civiliz. كلكته ١٩٠٥ ص ١ الى XXXV . فهل يعني الأستاذ ادهم ذلك المخطوط ؟ واذن فإن اسم الكتاب واين الصفحة كما يصنع الناقد الثبت والباحث الثقة ؟ (١) وخاتمة القول : أن الجزء الثالث في الفهرست ، وأن النص المستشهد به في ص ١٨٧ ، بل في الفن الاول من المقالة الثالثة من الفهرست ؟ ثم من ابن حزم هذا وما كتابه ؟ — ومن الاضطراب أيضاً أن يقول الناقد : « ويرى ( يعني ) للعربي صلات اجتماعية في حدود الحي والقبيلة . وفكرة البحث وجهة ، ولكن ما رأيه في كون التحاق العربي بقبيلته اوحيه مظهر ( كذا ) من الاصل الطوتمي totemism عند العرب القدماء ، والطوتمية مصدرها فردية صرفة »

والرد ان الطوتمية جماعية صرفة ، كما قرر ذلك علماء الاجتماع . واليك دليلاً ما كتبه ( دوركايم ) Durkheim صاحب مدرسة علم الاجتماع في فرنسا لهذا الزمان : « ان نوع الاشياء الذي يعين الحي من طريق جماعي collectivement يسمى : طوتم . وطوتم الحي هو طوتم كل فرد من افراده » ( اطلب Les Formes élémentaires de la Vie Religieuse باريس ١٩٢٥ ص ١٤٣ ) . وعلى هذا ما جاء في دائرة المعارف البريطانية ( الطبعة ١٤ ، كلمة Totemism ) : « للطوتمية خاصة اصلية هي ارتباط جماعات من الناس بجماعات من الحيوانات او الاشياء ، لا ارتباط افراد من الناس بحيوانات مفردة . وهذا الارتباط الاخير ظاهرة شائعة لا يستحسن ان تتطوي تحت الطوتمية »

\*\*\*

واما اجتلاب الاستاذ ادهم للنقد فيسّن عند كلامه على طائفة المسلمين الذين اهدت اليهم في فنلندة سنة ١٩٣٤ ، وهم من الترك — التتر الضاريين أصلاً فيما وراء جبال اورال . وقد دونت أنهم هجروا الى الشمال وحلوا بفنلندة عقب الثورة البلشفية في روسية

(١) وهذا يذكرني ان بالاستاذ ادهم ميلا الى ارتجال المراجع . من ذلك ما جرى على قلعه في مجلة الرسالة ( العدد ٣١٣ ص ١٣١ ) : « قد تكررت جملة كذا في كتابات العالم الاجتماعي دوركايم Durkheim وخصوصاً في مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون ( ص ١١ و ١٣ و ٢٤ و ٢٦ مثلاً ) » فانه هذه المجموعة ؟ راجع ما كتبه في الرسالة العدد ٣١٤ « باب رسالة النقد » ص ١٣٧٩



على ان الناقد يقول : « ونحن نعرف ان المصادر التركية تتحدث عن رحلة جموع من الأتراك المسلمين الى الشمال في القرن السادس عشر للميلاد وانهم زلوا بلاد ( الفنوا ) . فهل تحقق الباحث من ان مسلمي فنلندة الذين شاهدتهم عن كثب ليسوا من نسل هؤلاء ؟ وان قولهم بأنهم انوا فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا حقيقة مخلو من الرب ؟ »

والرد ان هؤلاء المسلمين الذين اهتديت اليهم في فنلندة خبروني بما دوتته ، وقد أيد موظفو الحكومة الفنلندية ما خبرني به القوم ، وصاحب الدار أدري بالذي فيها . وليس لي ان اشك فيما قاله هؤلاء الموظفون واولئك المسلمون ، اذ لا داعي الى الكذب ، واذ الهجرة قريبة العهد ( خمس عشرة سنة ) فكيف تُسَلِّق ؟ والذي يُخَيِّل اليَّ ان الاستاذ أدهم — خريج جامعة موسكو — يريد ان يجعلنا نرتاب في ان نفرأ من الناس بل من المسلمين يُخطر لهم ان يفروا من الثورة البلشفية ( او الثورة الاشتراكية الكبرى ، كما يسميها )

— ومن اجتلاب النقد ايضاً قول الأستاذ ادهم اني كتبت أن هؤلاء المسلمين يقيمون في مدن ، منها مدينة « توركو » ولم اذكر ماصلة هذه المدينة بلفظة « ترك » . وفي رأيه ان هؤلاء المسلمين لم يستطيعوا ان يخلعوا اسماً مشتقاً من جماعتهم ( يعني لفظه ترك ) على تلك المدينة لأنهم لم يقيموا بها سوى خمس عشرة سنة ولأنهم أقلية ، وعليه « فللموضوع شأن اعمق من القول بأن هؤلاء من الذين زلوا فنلندة بعد الثورة البلشفية في روسية » . وبهذه الجملة يعود الناقد الى حمل القارئ على الارتياب في تاريخ هجرة اولئك المسلمين ، فيصرف ذهنه الى جماعة الترك الذين رحلوا الى فنلندة في « القرن السادس عشر »

والرد ان مدينة « توركو » عيّدت ، سنة ١٩٢٩ ، انقضاء سبعمائة سنة على انشائها ( راجع « دائرة المعارف البريطانية » الطبعة ١٤ كلمة Turku ) ثم ان « توركو » هو الاسم الفنلندي للصميم للمدينة ( واسمها الأسوحي : آبو Abo ) ، وقد أهمله الفنلنديون الآن تعصباً لقوميتهم . وكانت « توركو » عاصمة فنلندة في المائة الرابعة عشرة للمسيح ، وفيها كان مقر الاسقف وقيام الحكم ( اطلب La Finlande بقلم J.—L. Perret باريس ١٩٣١ ص ١٥ ثم Hist. des Pays Baltiques بقلم Meuvret باريس ١٩٣٤ ص ٧٢ ) . والمائة الرابعة عشرة للميلاد قبل « القرن السادس عشر له » . فلا تأثير اذن لجماعة الترك الذين ذكرهم الناقد في اسم مدينة « توركو »

— ومن اجتلاب النقد ايضاً ان الناقد يقول في بحثي عن اولئك المسلمين « اني لم اتعمق في البحث » وحيثه اني كتبت ان حروف هجائهم هي الحروف اللاتينية — التركية التي وُضعت وشاعت بأمر اتاتورك ، فلم اتثبت من ان هذه الحروف هي التي « توافقت عليها اترك آسيا الوسطى والقوقاز والاورال في مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ »



وهنا أقول دفعة أخرى : ان هؤلاء المسلمين خبروني بما دوته ، فضلاً عن انهم صرفوا  
هواهم عن روسية الى انقره ، كما جاء في مبحثي ( ص ٢٣ ) ، وذلك بغضاً للبلشفية وأصحابها .  
والمهدة في ذلك عليّ

[ هذا وإن منطق الاستاذ ادم في هذا الاعتراض والذي سبقه يذكرني بمنطقه في اثبات  
تاريخ ميلاد صديقي الاستاذ توفيق الحكيم . فقد عين الاستاذ الحكيم لأدم مولده ولكن  
الاستاذ ادم أبي الآ أن يسلب صديقي خمس سنوات من عمره ، وذلك على طريقته الخاصة في  
الاستدلال . اسمعه يقول : « هنالك خلاف جوهرى بيني وبين الاستاذ توفيق الحكيم بخصوص  
تاريخ ميلاده ، فهو يقول انه ولد عام ١٨٩٨ في خطاب بعثه الينا ولكن هذا التاريخ لا يتفق  
مع هيكل التحقيقات ( كذا ) التي قمنا بها . . . . . وعلى هذا يكون ميلاد الاستاذ الحكيم اواخر  
سنة ١٩٠٣ ( صيف عام ١٩٠٣ ) ، اما انه مولود في الصيف فهذا محض استنتاج من مجرى تاريخ  
حياته حيث افترض ان والديه ذهبا للاسكندرية لقضاء اشهر الصيف ، فوضعت والدته بالاسكندرية »  
راجع هذه القصة الفريدة في مجلة الحديث ، حلب ١٩٣٩ ص ٣٣٢ المتن والحاشية رقم ٨٧ .  
— ومن اجتلاب النقد ايضاً ان الناقد يقول اني « اعتبر كلمة البصيرة مقابلاً لكلمة  
intuition ( يريد ناظرة اليها ) في ص ٥٧ ( من كتابي ) » على حين ان « المرجح عنده لفظة  
الحدس لأنها فلسفياً كما جرت على اقلام فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي تفيد معنى الانتقال دفعة  
واحدة من المبادئ الى النتائج ، وهذا ما يفيد معنى لفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما  
يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية »

والرد اني لم اثبت كلمة intuition ازاء كلمة « البصيرة » في ص ٥٧ من كتابي ولا في صفحة  
غيرها ، فمن ان جاء بها الناقد وكيف يجعلني « اعتبر » ما يجعل هل انا « اعتبره » ؟ انه يحملني هذا  
لينساق الى الكلام على « البصيرة » و « الحدس » فيذيع علمه الغزير ، دون ان يخرج نصاً لأحد  
من فلاسفة العرب . واليه نصاً صريحاً للغزالي : « الحدس وهو سرعة الانتقال من معلوم الى  
معلوم . . . » ( « تهافت الفلاسفة » بيروت ١٩٢٧ طبعة Bouyges ص ٢٧٣ . ثم ليراجع لفظة الحدس  
في « كتاب الاشارات » و « النجاة » لابن سينا : Goichon, Introduction à Avicenne ، باريس  
١٩٣٣ ص ٣٦ التعليقات ) . ومهما يفد « الحدس » فان الناقد يرى ان كلمة intuition تفيد ايضاً انتقال  
دفعة واحدة من المبادئ الى النتائج ( ولعله يريد « الى المطالب » : كما جاء في « التعريفات » و « كشف  
اصطلاحات الفنون » ) ، وذلك « اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية »  
وهنا أحب ان أدعو الناقد الى مراجعة معجمات الفلسفة ، نحو « المعجم الاصطلاحى والنقدي  
للفلسفة ( ج ١ ص ٣٩٦ — ٤٠٢ ) وصاحبه الاستاذ لاند Lalande وعليه أخذت فن المنطق في



السربون . فلعل الناقد يرى ان مدلول كلمة intuition يذهب الى أبعد مما يظن . وذلك لان المصطلحات الفلسفية لا تصاب على وجوهها التامة في « معاجم اللغة » كما يقول الناقد . أضف الى هذا ان لفظة « البصيرة » ولفظة intuition متماثلتان من حيث الاشتقاق اللغوي ( راجع « البصيرة » في « كشاف اصطلاحات الفنون » ووازن بينها وبين مدلول intuition عند Bergson خاصة ) . ولا أريد ان أعرض لهذا المطلب ، فانه يخرجنا عما نحن فيه

\*\*\*

واما استسلام الناقد الى آراء المستشرقين من غير تمحيص للواقعات نفسها ، فأقطع دليل على هذا ما كتبه : « على هذا التفسير يسير اعلام الاستشراق في أوروبا » يريد تفسير لفظة المروءة . ذلك التفسير الذي اظني دفعته دفعاً في مبحث لي نشرته من سنتين دائرة المعارف الاسلامية التي يخرجها « اعلام الاستشراق » في اوروبا

وعلى هذا النحو من التثبت يردد الناقد أقوال المستشرق جولدتسيهر ، وهي أقوال تصعد الى سنة ١٨٨٩ ، في نقده لمبشي في المروءة . والغريب انه يعتمد على ما ذهب اليه جولدتسيهر في هذا الباب ، على حين اني عقدت فصلاً كاملاً في المبحث لأدفع مذهب جولدتسيهر وبين يدي الحجج المستخرجة من النصوص الصريحة لا المنزعة من الذهن تخيلاً وارتجالاً او المنقولة من كتب الفرنجة . وكل ما صنعه الناقد انه قال : « ان تساؤل معاوية عن معنى المروءة لا يدل على التباس معنى اللفظة لأن مثل هذه الاسئلة التي ترد في كتب الادب واللغة منجولة لاغراض واضحة ظاهرة » فان صح قول الناقد فآرائه في النصوص الأخرى التي اثبتها أو رجعت القارئ الى مظانها وهي كثيرة ، بدليل ان الناقد نفسه يقول : « في هذا المبحث ( اي مبحث المروءة ) يبرز الباحث رجلاً مدققاً عرض للموضوع في احاطة عجبية » . ما رأي الناقد مثلاً في كلمة ابي حاتم البستي : « اختلف الناس في كيفية المروءة » والبستي ، بهذه الكلمة ، بصرح بتضارب التعريفات للفظ المروءة وتباين الأقوال فيها ( راجع « مباحث عربية » ص ٦٠ ) . والبستي هذا اقرب الى العصور الاسلامية من المستشرقين ومناه ، فقد توفي سنة ٣٥٤ هـ . ثم ان اختلاف الناس في كيفية المروءة دليل على التباس هذه اللفظة

واما قول الناقد بأن المروءة تنزع في اللغة العبرية الى معنى السيادة ، مستخرجاً ذلك من كتاب مراد فرج ، على ما تقدم ، فمدفوع أساساً . ذلك ان مراد فرج نفسه يقول : ان اصل « مرا » العبرية ( ولم يذكر المروءة البتة ) آرامي . وفي مبحثي في المروءة فصل أرد فيه



الاستناد الى مادة «مرا» الآرامية في سبيل الذهاب — من طريق ذلك الاستناد — الى ان لفظة «مرء» العربية تفيد السيادة . وقد أعمل الناقد ما قاله الأستاذ فرج ، في كتابه «ملتقى اللغتين» ، في اصل كلمة «مرا» ، مغالطة

— ومن استسلام الناقد الى آراء المستشرقين انه يعول على كتاب Robertson Smith وعنوانه Kinship and Marriage in Early Arabia في «كون التحاق العربي بقبيلته اوحيه مظهر» (كذا) من الأصل الطوتمي

على ان كتاب Smith في هذا الباب لا يحتاج به اليوم (راجع مثلاً ما دوتته في رسالتي «العرض عند عرب الجاهلية» باريس ١٩٣٢ ص ١٩ من «ثبت المصادر» )

— وهنا اذكر اننا اصبحنا ندير النظر في كل ما يذهب اليه المستشرقون ، سواء بالرجوع الى الاصول والفحص عن المصادر الاولى أو بتعقب التبيين والاستدلال . اذ قد مضى الزمن الذي فيه كننا نأخذ العلم عنهم اخذاً فنؤمن بكل ما يقولون به . والرأي ان نقبس من مناهجهم ونعتد بما يؤلفون مع استقلالنا بأقلامنا وبصارنا : العلم لا يستأثر به ، والعربية وقنونها من رأتنا

\*\*\*

وأما تحدي الناقد في القول فيدخل تحته كل ما اخذ علي في باب اللغة . من ذلك انه يرى — بعد الاستاذ صديق شيبوب ، دون ان يذكره — ان تعبيرى : النقد الخارجي والنقد الباطني «ضعيف من جهة السياقة العربية اللغوية الخالصة» . وقد مرّ ردي على هذا الاعتراض

ومن ذلك أيضاً انه يرى ان استعمالى لفظ «السلوك» لأحد مشتقات المصدر الفرنسى (وهو moralité) تارة ، ولفظ (الاخلاقيات) لمشتق آخر لنفس المصدر (وهو morale بمعنى éthique) تارة اخرى «يوقع في اللبس والاختلاط»

والرد ان الناقد لم يدرك الفرق الذي بين اللفظين الفرنسيين : morale و moralité (راجع مباحث عربية ص ٣٦ و ٥٦) ، فالأول يدل على اعمال المرء من الناحية الاخلاقية ، والثاني يفيد علم الاخلاق . وحسب الناقد ان يستفسر معجاً فرنسياً المدارس ذيك اللفظين

— ومن ذلك أيضاً انه يرى ان قولى : «ان للفضة الشرف مفادات متجاوزة تارة ، متباينة اخرى» مما «فيه قصور واضح في التعبير العربى فضلاً عن ان التعبير غير مستقيم من جهة ابناء اللغوى العربى» (ابن البناء غير المستقيم؟) وحجته في هذا ان «في هذا التعبير لفظة التجاورهيد الفرنجياً معنى synonyme ، ولكي تسق مفادات العبارة لا بد من ابدال لفظة المتجاوزة من الجملة بالمتشابهة لأنها ادل على المعنى واكثر اتساقاً في الجملة»



وهنا لا أريد أن أطيل الرد، لا طمئني إلى أن القارئ العربي يظن بسليقته أن وجه الصواب (وكلمة synonyme في الأفرنجية هي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد أو متقارب) وليأذن لي الدكتور أدھم في أن أرشده إلى كتب اللغة العربية ليتبين أن معنى synonyme تؤديه في العربية الفصحى لفظة « المترادف ». وإليه مثلاً فصلاً قريب المنال في « المزهرة » للسيوطي ( النوع السابع والعشرون ). وأما « المفادات المتجاورة » فهي المتجاورة voisines في الفرنسية، وأما التشابه فيغير المترادفة. وبين هذه الألفاظ من الدقائق ما يشق على غير العربي أن يحس به — ويدخل فيما تقدم ما يراه الناقد في كلمة « الأسلوب » وما كتبه في شأن « المشاهدة والتخيّل ». والله لا أدري ما الذي استدرك الناقد إلى باب النقد في اللغة، وهو الذي لا يزال يأخذ لغتنا عنا. ألا تسمعه يقول ( مجلة الرسالة العدد ٣١٣ ص ١٣٣١ )، وهو يريد الاعتذار من اقتباس تعبيرات لي (١): « أني حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتي الأصلية، ومن هنا بعض ما يحجى على قلبي من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكاً للمعنى الذي في ذهني من تعابيرهم ».

\*\*\*

تلك هي ما أخذ الاستاذ أدھم على « مباحث عربية ». وما تمهلت عندها إلا إرادة أن تستقيم موازين النقد في بلدنا، ورجاء أن يظن من يفد علينا من المنصرفين إلى النقد أننا ندري ما أساليب العلم الحق، وأما لا يأخذنا القول بالظن ولا الكلام المتحدّي ولا الجدل المتحكم ولا التظاهر بالدراية والتثبت، وإن قال الناقد، غير متعجب ولا متردد، أنه « أكثر السكاكين في العربية استقصاء للمصادر ». ( مجلة الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٥ )

ألا أننا نطلب في مصر النقد الذي تمدد الرغبة الصحيحة في خدمة العلم، والعلم عندنا أمسى شيئاً مقدساً له سدّته وله حرّاسه. والنقد للعلم مصباح على أن يكون الزيت لا دخل فيه

بشر فارس

دكتور في الآداب من السربون

(١) اقتبس الاستاذ أدھم جلاً تارة برمتها وأخرى محرقة من توطئة مسرحيتي « مفرق الطريق » المنشورة في مقتطف مارس ١٩٣٨ ثم من بحث لي في مذهبي الرمزي منشور في مجلة الرسالة العدد ٢٥١ والطريف أنه استعمل هذه الجمل المقتبسة مني لدرس مذهب توفيق الحكيم في الرمزية. وهذه طريقة في التطبيق في النقد الأدبي جديدة ( راجع كل هذا في مجلة « الرسالة » العدد ٣١٢ البريد الأدبي » في اقتباس الكتاب » والعدد ٣١٤ )



## حول مقال التعقيم

كتب الدكتور شريف عسيران في عدد المقتطف لشهر يوليو عن التعقيم بين انصاره ومعارضيه افتتاحه بتعريفه لغويًا ثم قال (وكان الملوك والخلفاء يعقّمون الرجال الذين يستخدمونهم بسبل خصاهم فيزول عنهم الميل الجنسي) ثم أشار في الهامش إلى حكاية تؤيد هذا فقال (يقال هو أعقل من خاصي الخنثين وهو مثل أصله أن جماعة من الخنثين كانوا في المدينة في عهد سليمان بن عبد الملك الأموي فأراد أن ينفهم منها فكتب إلى عامله فيها أبي بكر عمر بن حزم احص من عندك من الخنثين فاتفق أن نقطة من السطر الأعلى وقعت فوق الحاء فخصاهم) وليست صحة الرواية كما روى الكاتب الفاضل فهو قد أوفى بحته من الناحية الطبية لذا لزم أن نصح ما ليس من اختصاص الطبيب بل من أبحاث الأديب فقد حكى الجاحظ في باب (مساوي شدة الغيرة والعقوبة عليها) من كتابه (الحاسن والاضداد) ما نصّه:

(حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسمّر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فينما هي تصب الماء على يده اذا ستمدها وأشار إليها مرتين أو ثلاثاً فلم تصب عليه فأنكر ذلك ورفع رأسه فإذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها إلى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فإذا رجل يغني فأنصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فأجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم أنه يشتهي فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الأبلّة يحكان قال فأتين منزلك من العسكر فأومأ إلى ناحية الغناء فقال سليمان ابث اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي أي النواحي كنت؟ فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال: فأقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبت الناقة ونبّ التيس فشكرت الشاة وهذل الحمام فزافت الحمامة وغنّى الرجل فطربت المرأة — ثم أمر به خفي وسأل عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة وهم الخنثون فكتب إلى عامله أن أخص من قبلك من الخنثين) وتلك هي الرواية المعقولة لا ما نقله الدكتور عن البستاني

وحدث الاصمعي أن الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو:

محبوبة سمعت صوتي فأرقسها  
من آخر الليل لما بلّها السحر  
تدني على الخد منها من مصفرة  
والحلي باد على لبائها خصر



في ليلةِ البدر ما يدري مُضاجعُها أوجهُها عندهُ أبهى أم القمر  
لم يمنع الصوت ابوابَ ولا حرسَ قدمها لطروق اللحن ينحدر  
لو تستطيعَ مشَتْ نحوِي على قدمٍ تكادُ من رقةٍ في المشي تنفطرُ  
ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه إلى سنان  
فأحضره ووجهت الجارية رسولا إلى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم إن  
سبق رسول سليمان فلما حضر انشأ يقول :

استبقني الى الصباح أعذرُ إنَّ لساني بالشراب منكسرُ  
فأرسل المعروف في قوم نُكِرُ

فأمر به فحُصِيَ وكان بعد ذلك يسمى الحصي — ولعلنا نكون بذلك قد أوفينا الغاية  
تفصيلاً من هذه القصة كما أوفيناها تحقيقاً في الرواية وقد أثبتت ان صحة امر الخليفة الى عامله  
بالمدينة كان بخصيمهم لا باحصائهم وأما المثل (هو أعقل من خاص الخنثين) فليس مراداً به الوالي  
بل الخليفة نفسه فانَّ النقطة لم تقع اتفاقاً كما يقول الباحث الفاضل ، بل الرواية رويت خطأ كما  
قلها البستاني بدون تحقيق . ونقلها عنه الدكتور بدون مراجعة

عبد الحفيظ نصار

دمهور

## ذيل

### لمقال الدكتور بشر

جمع مقال الدكتور بشر فارس (حول مباحث عربية) ومثل الجانب الاول منه للطبع في  
الثالث الاول من الشهر (يوليو ١٩٣٩) لاعتزام الدكتور السفر الى اوربا . ثم صدرت مجلّة  
الرسالة الغراء بتاريخ ١٠ يوليو — وهي ميدان المناقشة الاصيل — وفيها مقال بقلم الدكتور  
بشر فارس انطوى على أهمّ ما جاء في فصله المنشور في هذا الجزء من المقتطف خاصّاً بالردّ على  
الدكتور اسماعيل احمد أدهم . فاقضى التتويه

\*\*\*

ثم جاءنا من الدكتور بشر من الاسكندرية ليلة سفره ان ما اشار اليه في مقاله من ان  
الدكتور أدهم أخذ عن الاستاذ صديق شديوب فكرة النقد الخاص بلفظي الباطني والخارجي (راجع  
ص ٣٦٦ سطر ١٤ من هذا الجزء من المقتطف) ليس قرين الصواب لأن الدكتور أدهم كان أسبق الى  
الاشارة الى هذه المسألة من الاستاذ صديق . ولما كان المقال قد طبع عند ورود هذه الكلمة  
في ١٣ يوليو رأينا إنصافاً للدكتور أدهم وللدكتور بشر أن نورد هنا



# باب الصناعة

استظهرت المصنوعات في مصر الصناعة

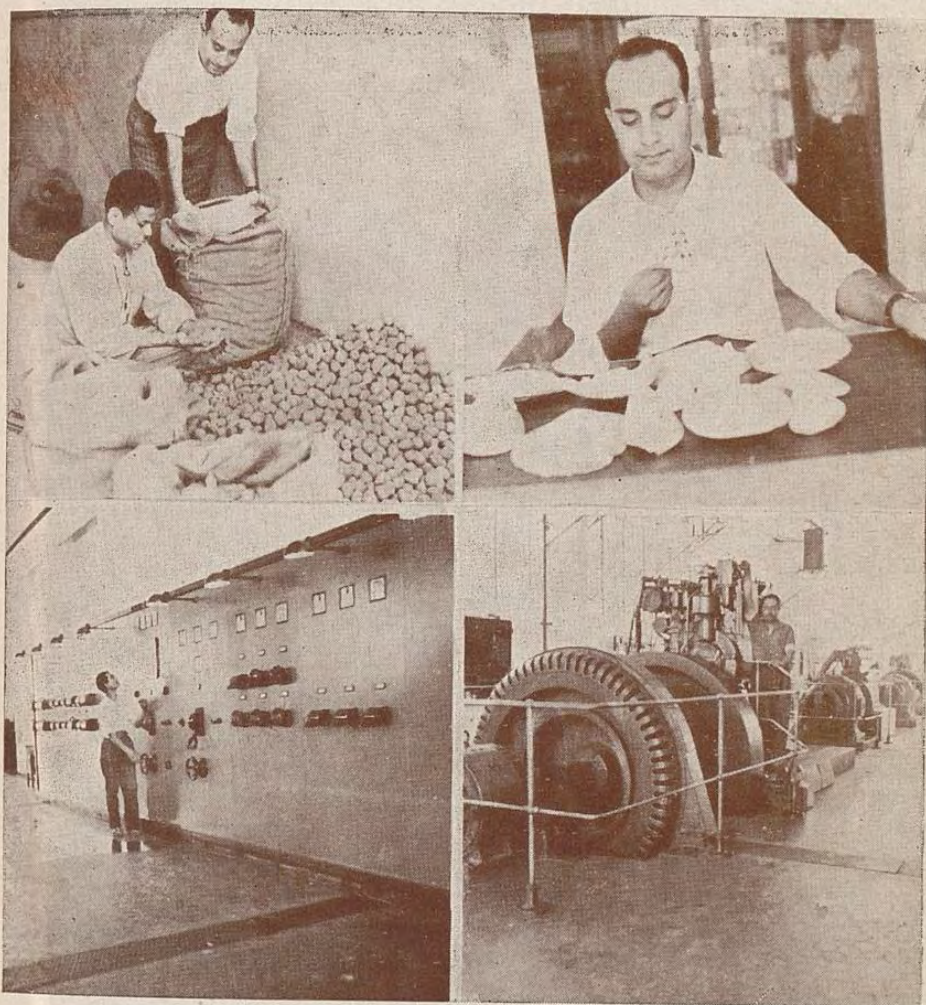
## جولة في مصنع مصر للأزوار

خامات السودان تصنع في مصر

فتش ملابسك واحص عدد الأزوار التي تحتاج إليها في حياتك فسواء أغنيًا كنت أم فقيرًا، وسواء أمن أنصار الحديث كنت أم من أنصار القديم، وسواء أرجلًا كنت أم امرأة فسجد أزوار الصدف أو الدوم تحتل من ملابسك مكانها الممتاز فهي جزء من مظهرك وهي لازمة لوقاية صحتك وبعض هذه الأزوار ظاهر للعيان وبعضها مخفي في الملابس الداخلية فهي شيء ضروري كالملح والكبريت وهي تجارة رابحة تنفق فيها مصر كثيرًا من مالها وقد كانت إلى عهد قريب تجارة خارجية نستورد بضاعتها من الاقطار الأجنبية ومازلنا حتى الآن نستورد بعضها إلى أن كفانا مصنع الأزوار التابع لشركة مصر لمصايد الأسماك بالسويس عبء الاعتماد الكلي على البلاد الأجنبية. فهو ينتج في اليوم الواحد ١٢٠٠ قاروصة (١٢ دسته) من الأزوار الصدف ومثلها من أزوار الدوم<sup>(١)</sup>. أما بقايا أزوار الصدف فيبلغ وزنها نصف طن تكسر بطريقة خاصة ويصنع من كسرها «بلاط الفسيفساء» ذو الألوان البراقة. ولا يتولى المصنع هذه العملية لبعده عن الأسواق التي تستعمل هذا الضرب من العروض فيبيعها خامًا إلى هذه المصانع. أما بقايا أزوار الدوم فإنها مادة جيدة للوقود والصنع. وبعد مصنع الأزوار بالسويس أحد فروع شركة مصر لمصايد الأسماك التي صدر المرسوم الملكي بتأسيسها في ٢٦ أغسطس ١٩٢٧. بدأ المصنع أعماله بصنع أزوار الصدف وحدها ثم اتسع نطاق العمل فأدخلت عليه صناعة أزوار الدوم ويختلف النوعان مظهرًا ومثانة فالأول يستعمل في الجلابيب والقمصان والملابس الداخلية. والثاني في البدل وملابس السيدات وخامات هذه الأزوار لم تظهر بعد في مصر إلا أن أكثرها يرد من السودان ولذلك فهي تعتبر تجارة محلية. وأنواع الصدف كثيرة بعضها يرد من السودان كالنهيد وبعضها من استراليا وجزائر تاهيتي وغيرها وله بورصة كبورصة القطن. ولم يجرب الصيادون المصريون

(١) الدوم من الفصيلة النخيلية Palmae واسمه الشائع Doum-Palm واسمه العلمي Hyphaene Thebaica ثمره في حجم التفاحة المتوسطة له حبة خشبية قاسية ولها قشرة طرية حلوة تؤكل





الصدف والدوم والقوة الكهربائية هي الخامات الأولية لصناعة الازرار في الصورة العليا الى اليمين وكيل المصنع يعرض اصناف الصدف وفي الصورة الثانية عامل يفرز حب الدوم تبعاً لحجمه وفي الصورة السفلى الى اليمين المحرك الكهربائي والى اليسار اللوحة الخاصة به



استخراجهُ من البحر لما يقتضيه استخراجهُ من جهد واحتياطات شديدة فالاصداغ البحرية تسكنها الاحياء المائية . فاذا خرجت الى الارض ماتت هذه الاحياء وتعتقت بقاياها فهي تحتاج الى بقعة منعزلة عن الناس حتى لا يضرهم تعفنُها ورائحتها . أما الدوم فبضاعة سودانية وهو يرد من الدويم والعطبرة وكسلا . ويشغل في هذا المصنع ١٥٠ عاملاً وعاملة يكسب الواحد منهم أجراً يتفاوت بين ١٠ قروش و ١٥ قرشاً . أما العاملات فتفاوت أجورهن بين ٨ قروش و ١٠ قروش في اليوم الواحد . وتدور آلات هذا المصنع بالكهربائية فتحتاج آلاتهُ الى قوة ١٨٠ حصاناً . ومع ذلك فقد اعدت مولدات كهربائية قوتها ٤٧٣ حصاناً حتى اذا تعطل أحدها اشتغل الآخر . وحتى اذا مست الحاجة الى زيادة الانتاج توافرت القوة الكهربائية المطلوبة .

وصناعة الأزرار الصدف من الصناعات المعقدة كثيرة العمليات فالحام الاصلي يحتاج عشر مراحل صناعية قبل ان يصبح أزراراً تباع . ان خاماتهِ ترد الى المصنع اصداغاً مختلفة الاشكال والحجوم فمنها المنبسط ومنها الهرمي ، ومنها الحشن ومنها الناعم ورائحتها كريهة ومنظرها لا يسر . يتساعها العامل فيضعها بين اسنان آله فتقطعها قطعاً مستديرة بعضها كبير وبعضها صغير تبعاً لمثانة الصدفه ومساحتها . وينتج العامل الواحد في عملية التقطيع ما لا يقل عن ٧٢٠ دسنة في اليوم ثم تمر القطع في مرحلة المسح فتزغ عنها القشرة الخارجية القذرة وتخرج من هذه المرحلة وهي بسمك واحد فتعمل لها الحلية وهي تختلف باختلاف الصدفه والطلب . ولكل حلية جهاز خاص يمكن تركيبهُ على الآلة ويبلغ عددها عشر حليات . ثم تفرز الازرار بالآلات خاصة يسهل بها زرع الازرار النافله ثم تمر في ادوار الثقب والتبييض والتلميع ويتم العمل فيها جميعاً بطريقة آلية تسهل على العامل كثرة الانتاج وجودة الصناعة . وتنقل الازرار الصدف الى مرحلة التجهيز النهائي . هنا العاملات تفرز الازرار الى ثلاث مراتب الاولى وهي التي لا عيب فيها مطلقاً والثانية قليلة العيوب والثالثة كثيرته وتباع الازرار مختلفة المراتب بأثمان مختلفة فازرار المرتبة الثانية يبلغ ثمنها ثلثي ثمن ازرار المرتبة الاولى تقريباً . وتثبت هذه الازرار على ورق ثم توضع في العلب وأحياناً تطلب المصانع ازراراً في أكياس من القماش فتوفر بذلك نفقات تثبيتها على الورق أو وضعها في العلب . ولكل مرتبة علامتها الخاصة ولكل حجم رقم يوضع على العلبه من الخارج ثم تلف وتصدر الى التجار

### أزرار الدوم

وتختلف صناعة الازرار من الدوم عن صناعتها من الصدف لاختلاف شكل الدوم عن شكل الصدف ولأن ازراره اكثر مثانة وقابلية للتلوين والنقش وصناعتها أدق من صناعة ازرار الصدف . وعندها أحدث غير بني في المصنع ولهذا كانت جميع آلاتهِ من آخر طراز يرد الدوم الى المصنع من السودان فيفرز وفقاً لحجمهِ : كبير ومتوسط وصغير . ثم ينتقل الى



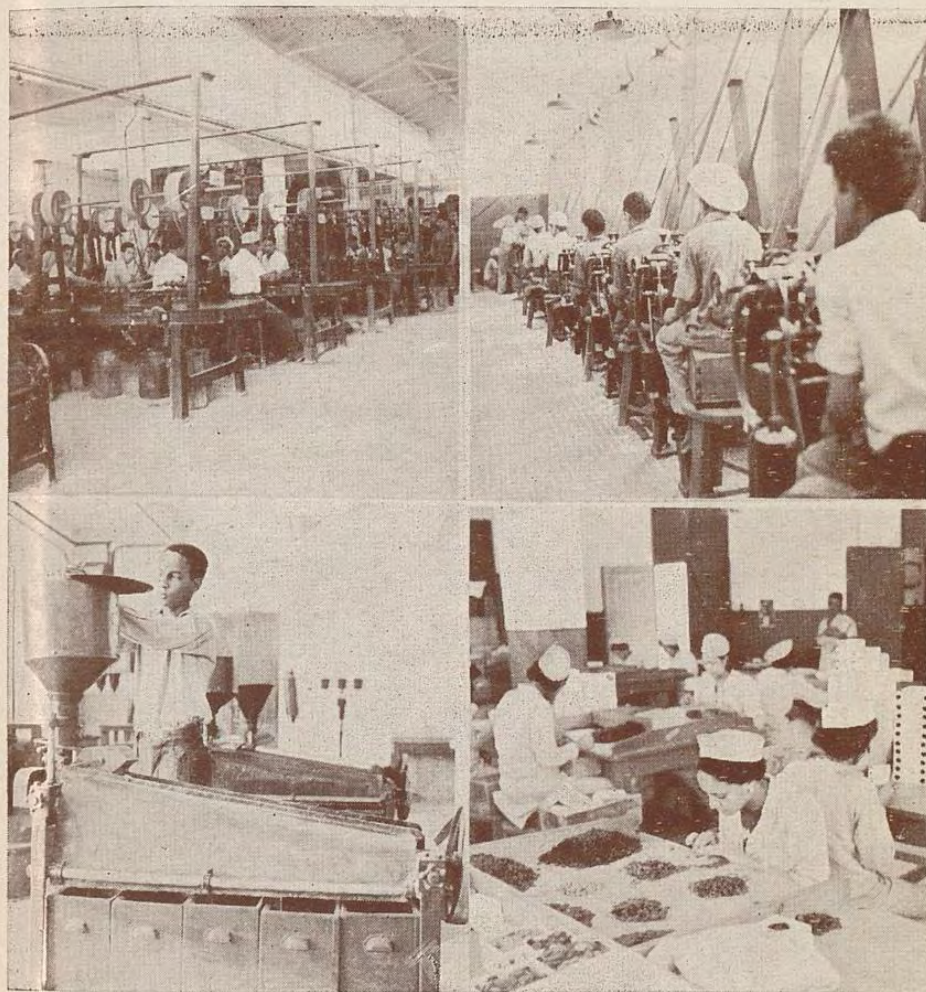
المرحلة الثانية حيث ينزع غلافه فيوضع في برميل به سكاكين مدة ٢٤ ساعة يدور فيها البرميل دوراناً يحدث صوتاً مزعجاً ولهذا جهزت الغرفة بباين عازلين للصوت حتى لا يصل الدوي الى الخارج فيقلق العمال . وتختلف عملية تقطيع الدوم عن عملية تقطيع الصدف . ففي حالة الصدف ، لآلة سكين مستدير تضغط على الصدف فتفصل منها قطع كالقروش ، اما في حالة الدوم فانه يُقطع بمنشار مستدير يدور ٢٨٠٠ دورة في الدقيقة ويقطع الدوم قطعاً عادياً . ولما كان الدوم صغير الحجم فانه يعرض اصابع العمال للاصابة في أثناء قطعه فيلبسوا اصابع من الصلب تمنع ٨٠٪ من خطر الاصابات ويستخرج من كل دومة اربع قطع اذا كانت الدومة سليمة فاذا كانت بها بعض العيوب التجارية او الصناعية فانها تضاف الى الفضلات لاستعمالها وقوداً او في تلوين الازرار . وقد كانت اصابات هذه المناسير كثيرة في بدء العمل فلما عثر العمال على استعمالها قلت الاصابات

ويجتاز الدوم بعد عملية التقطيع عمليات متعددة فيفرز بواسطة غربال ذي سبع عيون الى سبعة مقاييس مختلفة ثم يخروط وتعمل له الحلية المطلوبة ثم يثقب ويلون ويفرز وفقاً لتأثره باللون . ويحتم المصنع على العمال ان يكونوا مدققين في فصل الازرار الملونة بعضها عن بعض ليكونوا منها مجموعات متسقة اللون تقدم الى السوق . وتجتاز ازرار الدوم بعد ذلك مراحل اخرى كتلميعها وزخرفتها وتنشيفها بالطرق الفنية والكيميائية . وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج الى وقت يطول او يقصر تبعاً للحاجة . واكثر اصباغ الدوم نباتية وهو سريع التأثير بها لانه نبات ولذلك تكون ثابتة لا يتغير لونها رغم المقادير القليلة التي يحتاج اليها الزر للتلوين او الزخرفة

وتتبع العاملات في عد الازرار طريقة بسيطة سريعة فهن يستعملن لوحات مثقوبة بطريقة خاصة كل لوحة فيها مائة ثقب فتأخذ العاملة كمية من الازرار على اللوحة وتهزها فيأخذ كل زر مكانه ويسقط الباقي ومعنى امتلاء ثقب اللوحة ان عددها مائة زر تحزمها العاملة بطريقة خاصة وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فشايد معروضات الشركة وأعجب بها فقدمت الى جلالته مجموعة كاملة من ازرار المصنع . وتهتم الشركة بأن تقدم لعمالها نماذج من جميع أصناف الازرار وألوانها وحجومها لكي ينتقوا منها ما يوافق حاجة السوق

ويقصر المصنع عمله الآن على ساعات النهار ومع أنه مستعد للعمل ليلاً ومضاعفة انتاجه ، فيشتغل عماله وعاملاته من الساعة السابعة صباحاً الى الظهر ومن الساعة الواحدة بعد الظهر الى الساعة الرابعة ويشغل فيه الآن ٤٠ بنتاً و ١١٠ عمال اي نصف عدد عماله اللازم ليكون كامل الانتاج ويحرص المصنع على راحة عماله وعاملاته ولهذا خصص سيارة لنقل القتيات من المدينة الى المصنع فينظرهن امام فندق مصر او ينقلن الى صباح كل يوم ومساءه وخصص احدى غرفه لتكون عيادة خارجية يشرف عليها طبيب وممرض فاذا احتاج احد





تجتاز الخامات مراحل صناعية متعددة وهنا بعضها . ففي الرسم الاعلى الى اليمين جانب من  
 عنابر الدوم وفي الثاني جانب من عنابر الصدف وفي الثالث والرابع العاملات والعمال يفرزون  
 الازرار بالطريقة اليدوية والميكانيكية



العمال او العاملات الى علاج او اصاب بحادث تولى الطبيب فحصه وصرف العلاج اللازم ويتولى الطبيب فحص العمال مرة كل اسبوع حتى لا تنتشر بينهم الامراض فيحفظوا بصحتهم ونشاطهم والمصنع وعماله مؤمن عليهم ضد الاصابات والحوادث فاذا اصاب احدا العمال بعاقة في اثناء العمل صرف له التأمين تبعاً لشدة الاصابة وتأثيرها في عمله وتقدر اصابة جزء من اصبع العامل بمبلغ ١٢ جنيهاً يحصل عليها العامل خلاف العلاج

## تنشيط الانتاج في مصر

هو العلاج الوحيد لصون الثروة الأهلية

نشر المقطم من أيام بيانا وافياً من الاسكندرية عن صنع الحين والزبدة وسائر منتجات اللبن وما يفتنيه العاملون في هذه الناحية وما يلقون من صعاب تكاد تقضي عليهم بالكف عن العمل وهذه حالة جديدة بأن تكون موضوع عناية المسؤولين والذين يهمهم مصير الحالة الاقتصادية في مصر ولا سيما بعد ما هبط سعر القطن هبوطاً يضعف قوة مصر الشرائية ويقضي علينا بالتزام سياسة التوفير والاعتماد على النفس. لقد جاء الانتاج الأهلي ولا سيما الانتاج الصناعي في هذا العصر علاجاً لما اصابه من انحطاط في قيمة الانتاج الزراعي. وقد صار من المحقق أن القطن لا يمكن أن تقوم له قائمة فان انتاجه أخذ في الانتشار في بلدان لم يكن تعرفه من قبل وقد نافسه الحرير الصناعي والالياف التي استخرجوها في المانيا وقل استعماله بسبب الأزمة العامة وحرب الصين واليابان الى آخر هذه الأسباب المعروفة ومع أن القطن المصري لا يزال يجد أسواقاً في بلدان العالم فالعبرة ليس بهذا وحده بل بسعر ما يباع منه كذلك ليكون منه ربح لمنهجه بعد تسديد نفقات الانتاج وفائدة ثمن الارض ومال الضرائب. وإن في اضطرار مصر الى شراء مقادير من الزبدة والحين وسائر منتجات اللبن بما يبلغ ربع مليون جنيه في السنة وشراء اللحم ومواش وغنم من الخارج بمبالغ طائلة ان دوام هذا الامر مما يدهش ويستغرب في الحين الذي تسعى فيه للاقتصاد ومواجهة الحالة الدقيقة التي نشأت عندنا بهبوط سعر القطن. فالمسألة التي يجب الفصل فيها هي هل تستطيع مصر ان تنتج من اللحم واللبن ما يكفي لسد حاجتها أو لا. فاذا كان الجواب بالاجاب تعين على الحكومة ان تسعى لتحقيق المستطاع فان لم يكن في الحال فبالترجيح فاذا كانت الدنمرك وهولندا وهما في أقصى الشمال وليس لارضهما من الخصب ما لارض مصر ولا لشمسهما من الفعل ما لشمس مصر استطاعتا أن تمونا شعبيهما وتصدرا ما قيمته ملايين من الجنيهات من الزبدة واللبن والحين والبيض واللحم الى انكثرا وسواها فلماذا تعجز مصر عن بلوغ أقل من هذه المنزلة فتقطع شعبها ولا سيما بعد ما صارت حاجتها الشديدة تقضي به



# باب أخبار العلمانية

## اقتراب المريخ والمشتري وزحل

يشاهد قراء المقتطف في هذه الايام كوكبين متألقيين، احدهما حماراً والآخر مزراقاً. فالاول هو المريخ وقد اقترب من الارض حتى صار على اكثر قليلاً من ٣٣ مليون ميل منها. والثاني هو المشتري وقد أخذ في الاقتراب من الارض وسيغدو على اقرب قربه منها في ٢٧ سبتمبر القادم والصورة التي صدرنا بها هذا الجزء من المقتطف رسمها الفلكي موريل G. F. Morrell ونشرت في مجلة « اخبار لندن المصورة »، وهي تبين اقتراب المريخ والمشتري وزحل من الارض. ففي اسفل الصورة جانباً من سطح الارض، ثم على مقربة منه السيارات الثلاثة (وهي من اليمين صعوداً الى الزاوية اليسرى، المريخ فالمشتري فزحل المعروف بحلقاته). وهي مرسومة هنا كما تبدو لعين الراصد من خلال عدسات المرقب والغريب في هذه السيارات الثلاثة انها لم تقترب من الارض هذا الاقتراب وفي مواعيد قريبة بعضها من بعض (يوليو للمريخ، وسبتمبر للمشتري، و اكتوبر لزحل) وفي رقعة واحدة من الفضاء حتى لتكاد تقترن منذ مئات السنين على حساب موريل. واقترابها من الارض على هذا النحو لا بد ان يؤثر في مقدار جذبها للارض وهذا كافٍ لاحداث اضطرابات في قشرة الارض وجوّها كنشاط البراكين و حدوث الزلازل واضطراب احوال الجو. فالمشتري يفوق الارض وزناً

٣١٨ ضعفاً وزحل يفوقها وزناً ٩٥ ضعفاً. فاشترك تأثير السيارات الثلاثة لا بد ان يحدث حالة غير عادية في قشرة الارض وجوّها. والى القارئ بياناً موجزاً عن هذه السيارات الثلاثة من حيث بعدها وقربها من الارض زحل : — يقترب السيار زحل الى الارض في ٢٢ اكتوبر اقتراباً لم يقاربه من عشرين سنة. فيكون بعده عنها ٢٣٦٩٠٠٠ ر ٧٧١ ميل مع ان متوسط بعده عنها ٩٠٠٠ ر ٨٨٥ ميل. وقد اقترب منها في سنة ١٩٢٩ ولكنه كان أبعد ٨٨٠٠٠ ر ٦٦ ميل مما سيكون في ٢٢ اكتوبر القادم

المشتري : — ويقترب السيار المشتري الى الارض في ٢٧ سبتمبر اقتراباً لم يقاربه من ٢٤ سنة. فيكون بعده عنها ١١٠٠٠ ر ٣٦٧ ميل، مع ان متوسط بعده عنها ٨٣٠٠٠ ر ٤٨٣ ميل. وقد اقترب الى الارض سنة ١٩٣٤ ولكنه كان أبعد ٦٩٠٠٠ ر ٦٦ ميل مما سيكون في ٢٧ سبتمبر القادم

المريخ : — اقترب السيار المريخ الى الارض في ٢٣ يوليو اقتراباً لم يقاربه من سنة ١٩٣٣. فكان بعده عنها في ٢٣ يوليو ٣٦٠٣٤٠٠٠ ر ٣٦٠٣٤٠٠٠ مع ان متوسط بعده عنها ١٤٢ مليون ميل. وكان بعده عنها عند اقترابه في سنة ١٩٣٣ — ٣٧٨٠٠٠ ر ٦٢ ميل



## كيمياءى مصرى وزوجته

يكشفان عقاقير فعالة ورخصة لشفاء لدغ العقرب

١ — فى سنة ١٩٣٢ وفقت أنا وزوجتى السيدة زينب كامل حسن الى تحضير المادة الفعالة فى سم العقرب فى حالة نقاوة وبكميات وفيرة  
٢ — رأيت وجوب درس خواص هذا المركب من جديد ولقد قام بدرس هذه الخواص احمد حسن محمد افندي المعيد بكلية الزراعة وقد أهدي عزكم نسخة من رسالة له فى هذا الباب ولقد وصلنا فى هذا البحث الى نتيجتين جليلتين

الاولى — أظهرت أن السم يقتل عن طريق تهيج الجهازين السيمبتاوى والباراسيمبتاوى  
والثانية — أظهرت ان العقاقير التى تخدر هذين الجهازين مثل الارجوتوكسين ومشتقاته والاتروبين تفيد فى وقاية حيوانات التجارب ضد السم حتى ولو اعطيت منه مقادير قاتلة

٣ — أمكننا انقاذ كلاب حققت بكمية من السم وزنها ٥٤ ر. مليجرام وذلك بمعالجها بالعقاقير التى اشرنا اليها سابقاً ( هذا المقدار من السم يكفى لقتل ستة كلاب وزن كل منها ثلاثة كيلو جرامات )

٤ — ثبت لنا ان العقرب البالغة الصائمة من نوع البودص كوينكوستراياتس وهى اكثر الانواع شيوعاً بالقطر المصرى تفرز اذا هيجت للدغ حوالي ٢٥ ر. مليجرام من السم فى

من بواث اغتباطنا ان نرف الى القراء نأ كشف علمي مصري تم على يدي صديقنا الدكتور علي حسن استاذ الكيمياء الحيوية بكلية الطب فى جامعة فؤاد الاول وقرينته السيدة زينب كامل حسن اذ وقفنا الى تحضير المادة الفعالة فى سم العقرب ومهدا السبيل الى الشفاء من لدغ العقرب بعقاقير فعالة ورخصة.  
والى القراء نص التقرير الرسمى الذى بعث به الدكتور علي حسن الى الدكتور علي توفيق شوشه بك المدير العام للمعامل فى وزارة الصحة: —

« حضرة صاحب العزة الدكتور شوشه بك بعد النتيجة يسرنى أن اخبر عزكم بأن البحوث الخاصة « بسم العقرب » التى اشتغل بها القسم عندي خلال الثمانى السنين الماضية والتي لقيت من عزكم شخصياً ومن بحوثكم القيمة فى ذات الموضوع مساعدات طيبة قد وصلت الى نتيجة سارة تبشر بفائدة عملية هامة توفر على الوزارة مبلغاً لا يستهان به سنوياً  
دللتنا البحوث المشار اليها الى جواز علاج لدغة العقرب بواسطة عقاقير لها مفعول مضاد لمفعول السم ذاته واني قبل الكلام فى التطبيق العملي لهذه الملاحظة أرى من الفائدة الاشارة الى الخطوات التى سار فيها العمل من أوله الى أن وصل الى هذه النتيجة



اترويين تحت الجلد اذا كانت الاعراض مصحوبة  
بسيلان لعابي شديد وبقيء او اسهال  
ثالثاً — تعالج الحالة العمومية بالطرق  
العادية اذا لزم الامر وفي قصر العيني يعطون  
الملدوغ لهذه الغاية حقن كافور او كورامين  
ويضعون المريض في حمام كهربائي

وتمتاز هذه الطريقة على طريقة المصل  
بانها اسرع في مفعولها وربما كان هذا ناشئاً من  
ان الجينارجين اسرع في الامتصاص وتمازايضاً  
بان هذه العقاقير لا تتلف على مر الزمن كالصل  
اما الجينارجين هذا فهو من مركبات  
الارجوت وقد اتفقت مع مدير قسم الطفيليات  
بوزارة الزراعة على انتاجه محلياً وسنبداً  
التجربة في الموسم المقبل

ولا يصح ان ننسى هنا ذكر الفرق الكبير بين  
سعر المصل وسعر هذه العقاقير لان علبة  
الجينارجين تساوي حوالي ستة عشر قرشاً  
وتكفي ستة اشخاص او اكثر وسيكون ثمنها  
بحسب الجملة اقل بالطبع

بما ان نتيجة التجربة تهمني كثيراً اقترح  
في حالة الموافقة على اجرائها ان تستعمل  
المستشفيات مشاهدات ممثلة لما هو مرفق طيه وإني  
مستعد لتقديم عدد كاف منها توفيراً للوقت اي  
الى ان تطبع الوزارة منها ما يلزمها

وتفضلوا عزكم بقبول شكري واحترامي

دكتور علي حسن

استاذ الكيمياء الحيوية

ملاحظة — عند ما لا حظنا المفعول

ثلاث لدغات متوالية وانما اذا لدغت سبع مرات  
متتالية يصل مجموع ما تفرزه الى حوالي  
٥٦. مليجرام من السم واتنا اذا ارغمنا  
عقرباً بالغاً من النوع ذاته على افراز كل ما في  
غدتيه وذلك بهيج الغدد كهربائياً حصلنا  
على حوالي ٦٠. مليجرام من السم  
ولقد استنتجنا من هذا اقصى ما يستطيع  
عقرب من هذا النوع حقيقته

نوع العلاج	عدد الحالات جيماً	عدد الحالات التي يقل سنها عن ١٢ سنة
المصل المضاد	٢٧	١٢
بالطريقة الجديدة	٣٦	١٦
بالطريقتين معاً	١	١
المجموع	٦٤	حالة شفيت كلها

ولقد شجعتني هذه النتيجة الطيبة على  
ان اتقدم الى عزتكم راجياً منكم عرض  
الامر على من يديهم الامر بوزارة الصحة  
بقصد تجربة الطريقة في المناطق التي تكثر فيها  
العقارب وأتم بالطبع خير من يقوم بهذه  
الوساطة لتتبعكم المستمر لهذه البحوث ومعرفتكم  
للجهود التي بذلت في سبيلها اما الطريقة ذاتها  
فسهلة للغاية ويمكن تبنيها من اوراق المشاهدات  
المرفقة طيه وهي تنحصر في الآتي :

اولاً — يعطى المريض ساعة وصوله  
حقنة تحت الجلد من نصف الى واحد سنتيمتر مكعب  
من الجينارجين او طرطيرات الارجوتامين  
ويمكن اعادة الحقن اذا عادت الاعراض ولكن  
هذا نادر الحدوث

ثانياً — يجوز اعطاء الملدوغ حقنة



ولقد كانت النتيجة الحتمية مشجعة للغاية اذ حصلنا على مصل مضاد من الماعز قدرت قوته في معامل الصحة بواسطة الدكتور حسين ابراهيم فوجدت تزيد تسع مرات على مصل ليستر مع العلم بان معملنا هنا طبيعي لم يركز — على أنني اعتقد ان اكتشاف مفعول هذه العقاقير سيوقف في النهاية استعمال المصل المضاد في علاج لدغة العقرب» آه بنصه

المعاكس الذي يحدثه الجينارجين ضد سم العقرب خطر لنا جواز استعماله في علاج اللدغة وجواز الاستعانة به في تحضير المصل المضاد للسم والاستغناء به عن السم الملطف والاناتوكسين الذي يستعمل عادة في بداية عملية تحضير المصل المضاد وقد عرضنا على عزتكم النتائج التي حصل عليها احمد افندي حسن محمد أولاً بأول

### هافلوك إللس

HAVELOCK ELLIS

مقروناً بالحركة الفكرية والاجتماعية الحديثة المتجهة الى تعزيز الصحة الجسدية والعقلية باخراج المسائل الجنسية من دياميس الجهل والتحريم . ويقال إنه كان يرغب في أن تكون قبريته كما يلي : « لقد اضاف شيئاً الى حلاوة الحياة ونورها » اما أنه اضاف شيئاً الى « نورها » أي الى فهم خفاياها فهذا مما لا ينكر ، ولكن هل زادت « حلاوتها » في افواه الأجيال التي اتسع نطاق فهمها لاسرار الحياة الجنسية ؟ هذه مسألة تحتل النقاش

ولد في سنة ١٨٥٩ في كرويدن على مقربة من لندن ، وكان والده من اسرتين لهما صلة وثيقة بالملاحة فقضى معظم طفولته على سفينة في المحيط الهادي وتلقى أصول التعليم على غير نظام . ولما كان في السادسة عشرة من عمره عين مدرّساً في مدرسة بولاية نبوسوث ويلس باستراليا فقضى فيها اربع سنوات وكان في معظم هذه المدة يقطن الحراج ويطنخ

إن وفاة هافلوك إللس زيل من ميدان الثقافة الانكليزية العالمية رجلاً يندر ندرته في هذا العصر المبك على التخصص . ذلك بانه كان يجمع في شخصه كثيراً من مناقب العلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء . ولعله لا ينقضي ربع قرن عليه حتى يطوف طائف النسيان بمعظم ما كتب . ولكن ذكره يبقى خالداً لأنه اقترن بحقيقتين اولاهما انه في مقدمة بحاث العصر الحديث الذين حاولوا ان يرفعوا النقاب عن حقيقة « الحياة الجنسية » ويزيلوا ما علق بها في أذهان الناس من تحريم بحثها وحظر التحدث فيها . وثانيتهما انه اضطلع في سبيل ذلك ، فقدم الى المحاكمة في إحدى محاكم انكلترا متهماً « بالقذف القذر » وامتنع الناشرون الانكليز عن نشر مجلداته في « سيكولوجية الشق » Studies in the Psychology of Sex بعد ما نشر احدها وحوكم بسببه . فنشرت دراساته هذه اولاً في اميركا . ولذلك يبقى ذكره



ولكن مؤلفه الكبير الذي قضى نحو خمس عشرة سنة في وضعه ونشره كان ذلك البحث الضافي الذي عنوانه «دراسات في سيكولوجية الشق» وهو ستة مجلدات نشر اولها سنة ١٨٩٧ وآخرها ١٩١٠ وموضوعاتها بحسب ارقام المجلدات (نقول ارقام المجلدات لان المجلد الثاني نشر قبل المجلد الاول) كما يلي: — نشوء الحياة الجنسي — الشذوذ الجنسي — تحليل الحافز الجنسي — الانتخاب الجنسي في الانسان — الرمزية الجنسية — الجنس وصلته بالاجتماع

واذا كان البحث الحديث في ظل المدارس السيكولوجية المختلفة ولا سيما مدرسة التحليل النفسي قد بدل بعض الآراء والنتائج التي وصل اليها هاقلوك إليس بالاستقراء والنظر البيولوجي ، فان هذه المجلدات الستة تحتوي على طائفة كبيرة من الحوادث التي تمت الى موضوعات الجنس بصلة، مستخرجة من حياة الامم والشعوب المختلفة على اختلاف مراتبها في الحضارة فهي من هذا القليل كنز من المعارف الجنسية لا ينفد

ما يحتاج اليه من الطعام ويدير شؤون كوخه بنفسه . ولكنه قرأ في خلالها طائفة من آيات الادب الانكليزي ونظم اشعاراً على مثال سوينبات شكسبير ، ودب في نفسه ديب الرغبة الشديدة في الإصلاح الخلقي . وعاد الى انكلترا في سنة ١٨٧٩ وانتظم طالباً للطب في مستشفى سانت برنولوميو وأتم دراسته وتخرج طبيباً ولكنه لم يمارس الطب الا فترة قصيرة إلا أن دراسة الطب وجهته توجيهاً جديداً . في مجاهل استراليا نظم الشعر ، فانقلب بعد دراسة الطب الى حياة علمية . غير أن هذا لم يتم الا بعد نضال نفسي . وفي الفترة المتوسطة بين الشعر والعلم شرع في نشر المسرحيات الانكليزية القديمة . وله عدا ذلك مؤلفات اشتهرت في وقتها بالنحو الفلسفي والنقد الأدبي منها «الروح الجديدة» (١٨٩٠) والرجل والمرأة (١٨٩٤) وعالم الاحلام (١٩١١) و «مهمة علم الصحة الاجتماعية» (١٩١٢) «ورقصة الحياة» (١٩٢٣) ومجموعة قصائده الطفولة والمراهقة وترجمات من الشعر الاسباني (١٩٢٥) وغيرها

### النسجم بالسكرميوم

وقد اجريت تجارب على جرذان اضيف الى طعامها مقادير يسيرة من كلوريد الكميوم (١٢٥ جزءاً من الكلوريد في عشرة آلاف جزء من الطعام) فاصيبت بفقر الدم ثم لما شرحت ثبت انها مصابة بتضخم القلب . والرأي اي ان سبب تضخم القلب جهده المبذول في تجهيز الجسم بعدد كافٍ من كريات الدم الحمر

يؤخذ من انباء مجمع تقدم العلوم الاميري ان اطباء معهد الكيمياء والتربة بكلية الطب في جامعة ستانفورد اثبتوا ان الادوات والاواني المطلية بالكمميوم — كاواني اللبن وصنارات الجرارين التي يعلق بها اللحم — خطر على الصحة لأن مواد الطعام التي تحفظ فيها أو تلامسها تسبب تسماً بطيئاً متجمع الاثر



## السلفايريدين والتيفود

وطمسن (Thompson) من اطباء مستشفى نورث ايسترن بلندن ومن غريب الحوادث التي وقعت لها ان احد المصابين بالتيفود كان مصاباً بضرب خاص منها من اوصافه طول زمنه وخطره . دخل المستشفى فعولج بالسلفايريدين ومصل التيفود فما انقضت عليه عشرة ايام حتى كان ناهياً والرأي ان الجمع بين السلفايريدين والمصل كان العامل الفعال في شفائه

عرف قراء المقتطف مما كتبناه عن عقاري السلفاينلاميد والسلفايريدين ان لها تأثيراً عجيباً في شفاء طائفة من الامراض ( راجع مقتطف يوليو ١٩٣٩ ص ١٩٥ ومايو ١٩٣٤ ص ٥١٧-٥٢٥ ) وقد اطلعنا الآن في رسالة العلم الاسبوعية على بناء خاص باحتمال فائدتهما في علاج التيفود . وقد قام بهذه التجارب ثلاثة اطباء ( هريز Harries وسوير Swyer

## سر السحاب الرائم ؟

ذلك بالشباب والشيخوخة في الانسان قالت الدكتورة مورغان إن تجاربها اجريت على الحيوانات وانها لم تحاول بعد تطبيق هذه التجارب على الانسان . ولكنها ترى ان الشيخوخة المبكرة في حيوانات التجارب قد يكون سببها نقص هذا الفيتامين في افراز الكظرين فقد اثبت تشريح الجرذان التي يعوزها هذا الفيتامين في طعامها ان قشرة هذه الغدد تقلص وتحول قبل الوفاة

في انباء جامعة كاليفورنيا ان الباحثين اجنس فاي مورغان وهلم دافيسون سخر استخرجتا مقادير مركزة من فيتامين مجهول تابع لفيتامينات B التي تكثر في الحميرة والرز والردة ( النخالة ) والكبد ، واثبتتا بتجارب اجريها على الجرذان والختاير الهندية وجراء الكلاب انها تؤثر في احوال الجسم التي تفتقر عادة بالشيخوخة المبكرة فتردها الى ما تكون عليه في عهد الشباب . ولما سئلتا عن علاقة

## حكم المناظرة

لرجل هو في سن احد تلاميذك فأجابهم . وماذا اصنع اذا كان الحق معه . فقالوا له : قد كان يمكنك ان تقول له كيت وكيت في الجواب . فقال لهم ولكنه يكون مباحكة ولا يكون من العلم في شيء فقالوا له : لكن الناس قد علموا الآن ان السيد أعلم منك . فقال لهم : أحب اليّ ان يعلمني الناس جاهلاً وان يعلمني السيد وحده علماً

قيل ان السيد الجرجاني تناظر مع السعد النفاذاني بمجلس خاص . وكان السيد شاباً حديث العهد . وكان السعد شيخ العلماء في وقته ، فاتتهى المجلس بأن السعد اقرّ للسيد وان السيد فليج على السعد امام ذلك الجمهور . فساء ذلك تلاميذ السعد . ولما انصرف الناس قالوا لاساذهم : ما كان ينبغي لك ان تسلم



## عجائب معرض نيويورك العالمي الجنان الكهربائية في المعارض العالمية الحالية

رطلاً وهو مؤلف من ٤٨ جهازاً لتقوية التيارات الكهربائية ويشتمل على ٩٠٠ عضو تساعد على المشي والعدّ والتدخين والكلام وله ذراعان مغطتان بصفائح الألومنيوم المزخرفة بستة وعشرين من أشكال الزخارف

واسمه ويلي فوكايت Willie Vocalite  
ولذلك الجهاز صنو ضخّم العروض في معرض سان فرانسيسكو العالمي  
وفي معرض نيويورك جني آخر عملاق اسمه پوليرهيكتور Polyrheter يلقى على سامعيه كل ربع ساعة ، خطاباً يترجم حالاً إلى ١٥٠ لغة مختلفة . وفيه جهاز كهربائي لترديد الكلام الذي يصدر منه ، وذلك بدوامات مغناطيسية ، توصل الصوت إلى مضخمات صغيرة موضوعة في عربات معزولة ، تطوف بأرجاء المعرض بحيث يستطيع الركاب الاربعة الراكبين في كل عربة من العربات الجائلة فيه ، سماع خطاب على كل مشهد من المشاهد المفيدة التي تصادفهم في أثناء تجوالهم

قلت في صفحة ١٠٨ من مقتطف يونيو الماضي في وصف عجائب معرض نيويورك العالمي الحالي ما يأتي : — ويسمعون صوتاً صناعياً يشرح خطورة تلك الحركة حركة البواخر والقطارات وعربات نقل البضائع قادمة الحواضر والمصانع ، من الضياع والحقول مقلّة المواد الأولية ، وعائدة الى الريف مشحونة « بشقّ المصنوعات » من جميع نواحيها مؤكداً الحقيقة الثابتة ، وهي ان كل امرئ في هذا العصر ، يتوقف بقاؤه على مجهودات أفراد كثيرين ، مبنياً وسائل تسهيل معضلات الحياة بالتعاون بين افراد المجتمع البشري . وهأنذا أصف للقرء الجهاز الكهربائي القائم بذلك العمل وصنوه المساعد له في مهمته : —

نقصد بالجنان الكهربائية ، الاجهزة المعدنية الشبيهة بالانسان التي يطلق عليها الانكليز والاميركان لفظ robots وقد نصب أحدها في معرض نيويورك الحالي وهو الجهاز المسمى اليكترو Elektro وطوله سبع أقدام وثقله ٢٦٠

### الشمعة الكونية

#### مفتاح الاضواء الكهربائية في معرض نيويورك العالمي

ترقبوا ظهور التيجم المسمى السماك الراج وهو نجم اصفر نير في النصف الشمالي للكرة الفلكية ويقع في ذنب الدب في المرتبة الرابعة ، وهو النير الرابع في السماء بجمعها . ويبعد عنا مسافة

حينما اريد افتتاح معرض شيكاغو سنة ١٩٣٣ ، وهو الذي أطلق عليه اسم معرض «قرن التقدم» توخى مديروه ان يفتحوا ابوابه للعجمهه بطريقه تجيبه في ذاتها . وهي انهم



الكبر مرقب كاسر في العالم، مرقب في جامعة شيكاغو ومثبتة في قاعدته، بصاصة كهربائية أي بطارية كهربائية حساسة بالضوء، فالتقطت نوره حالا، فولد فيها، تياراً كهربائياً، قوي بالاجهزة المضاعفة للتيارات، ثم نقل بالاسلاك الارضية الى معرض شيكاغو، حيث استخدم في فتح باب الضخم ذي العجلات، وفي إنارة مصابيح، فكانت طريقة الافتتاح اول أعجوبة شاهدها زواره

وقد رأى مدير معرض نيويورك العالمي الحالي، عند فتحه اختصاص الأشعة الكونية بذلك الشرف وذلك بأن سخروها إذ جمعوها في آلة من آلات جيغر Geiger العدادة، التي تسجل مرورها فتتحرك الجزئيات في الأنبوب الممتلئة بالغاز الجوي فتسلط الجزئيات قوة على الكهربات فتؤلف طاقة كافية لتنشيط أنبوب مفرغ من الهواء، فيدير الآلات الكهربائية التي تضيء أراضي المعرض

يقطعها الضوء في احدى وأربعين سنة ضوئية فسلطوا ضياءه على بصاصة كهربائية متصلة بأبواب المعرض، فما انعكس على عدسة البصاصة، ذلك الضوء حتى دار مفتاحها الكهربائي ففك عقال بوابات المعرض، فافتحت على مصاريحها، كأنها اديرت بقوة الجان، لا بمخترعات الانسان ودخل الزائرون المعرض أفواجا وهم لا يدرون من طريقة فتحه شيئاً وقد وصفت ذلك في مقتطف من مارس سنة ١٩٣٢ وديسمبر سنة ١٩٣٣ حيث قلت ما يأتي : —

فتح معرض شيكاغو في أواخر شهر يونيه سنة ١٩٣٣ وكانت طريقة افتتاحه معجزة لم يسبق ان شاهد الناس مثلها إذ اخترقت شعاعة ضاربة للاحمرار، من كوكب السماء الزامح، احدى البصاصات الكهربائية ففتح باب المعرض، بأن مرّ طيف الكوكب، أمام عدسة مرقب مرصد يركيز الكاسر للأشعة، ويبلغ قطر تلك العدسة ٤٠ عقدة (بوصة) وهو

### البصاصة الكهربائية في مصر

نظراً لضخامة هذه الابواب وتعدد فتحها وإغلاقها، في المناسبات الكبرى والمفهوم بناء على حديث دار بيني وبين رئيس تحرير المقتطف ومهندس خير من الانكليز أن الاجهزة الكهربائية التي من المحتمل التعويل عليها هي البصاصة الكهربائية قياساً على ما هو حاصل الآن في كثير من الاماكن العظيمة عوض جندي

وما دما نتحدث في منافع البصاصة الكهربائية فجدد بنا ان نورد الخبر الآتي نقلاً عن جريدة الاهرام الصادرة في ١٨/٦/١٩٣٩. وهو: طلبت ادارة السرايات الملكية، الى مصلحة المباني بوزارة الاشغال، تركيب أجهزة كهربائية لتسهيل فتح وإغلاق الابواب الرئيسية الثلاثة بسراي عابدين العامة



# مكتبة المقتطف

نخب الذخائر في احوال الجواهر

نشر الاب انستاس ماري الكرمللي

هذا كتاب نفيس النفاسة كلها. بل هو في الواقع ثلاثة كتب نفيسة مجتمعة بين دفتيه. اما الاصل فمن تأليف محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المعروف بابن الاكفاني واما الثاني فتحقيقات الناشر العلامة ، من لغوية وجغرافية وادبية . واما الثالث فمعارضة بعض ما جاء به ابن الاكفاني بما اورده التيفاشي وهو صاحب كتاب نفيس في الجواهر

وقد اخذ الأب العلامة متن « النخب » عن نسخة قديمة كانت برسم احدى خزان ملوك مصر وهي اليوم في خزانة كتب الآباء الكرملين في بغداد ثم حررها وعلق حواشيا للغوية والادبية وطبعها بالمطبعة العصرية ، فجاءت سفرأ نفيساً متناً وحاشية وفهارس في ١٨٨ صفحة من حجم المقتطف لا يستغني عنه الباحث العربي المحقق لما فيه من فوائد

جاء في الصفحة ٤٨ القول في الزمرؤذ ( وفي الحاشية: الزمرؤذ بدال معجمة وضم الاحرف الثلاثة الاولى وتشديد الراء وجاءت بدال مهملة ايضاً مع الضبط المذكور ) وقد راجعنا نسخة خطية للتيفاشي في خزانة المقتطف فاذا اللفظ وارد احياناً بالذال المعجمة واخرى بالذال المهملة. اما كلام المؤلف في الزمرؤذ فاليك بعضه « الحضرة تعم اصنافه كلها ، وافضلها ما كان ( مشبع الحضرة ) ذا رونق وشعاع لا يشوبه سواد ولا صفرة ولا غش ولا حرملات ولا عروق بيض ولا تفوت وليس يكاد يخلص عنها ودونه الريحاني الشبيه بورق السلق الطري واهل الهند والصين تفضل الريحاني منه وترغب فيه واهل المغرب يرغبون لما كان مشبع الحضرة وان كان قليل الماء ويزداد رونقاً اذا دهن بزيت بزر الكتان واذا ترك بدون دهن يذهب ماؤه الخ وقد لاحظنا عند المقابلة بين ما كتبه التيفاشي عن الزمرؤذ او غيره من الجواهر وبين ما جاء في النخب لابن الاكفاني ان التيفاشي يعني بوصف «علة تكونه» علاوة على اوصافه وخواصه حالة ان ابن الاكفاني يكتفي باوصافه

وقد جاء في ملحق النخب كلام على الجزع نقل فيه الاب العلامة كلاماً للتيفاشي قابلهما بما في مخطوطتنا فرائنا خلافاً يسيراً اردنا اثباته . فقد جاء في الملحق نقلاً عن التيفاشي «واجوده ما استوت عروقه في الثخن والرقه سليماً من الحشونة ووجود الآثار فيه » وفي مخطوطتنا التيفاشية « ... واجوده ما استوت عروقه في الحسن والرقه وكان سليماً من الحشونة وقيح التعرض ووجود الانافي » ولعل رواية الاب اصح



ومما يزيد قيمة الكتاب الذي اخرجهُ الأب الكرمللي الفهرست الاخير بوجه خاص وهو الحادي عشر ويحوي الكلم المكتوبة بالحرف الروماني وفي هذا الفهرست يجد المترجمون اسماء الجواهر باللغة العربية وما يقابلها بالفرنسية ، وحبذا الحال لو عني الأب الكريم باضافة الاسماء الانكليزية مع انها لا تختلف كثيراً عن الاسماء الفرنسية

### كتاب نقد الشعر

للاستاذ نسيب عازار

هذا الكتاب يدل على ان مؤلفه الاستاذ عازار واسع الاطلاع ملم بما جاء في كتب الادب العربية والاوروبية خاصاً بالنقد ويدل على ان المؤلف حصيف الرأي متزنه . وكثير ممن يكتبون في النقد يكتبون كتباً انشائية مطولة للدفاع عن رأي واحد ولا ينظرون الى تعدد المذاهب والآراء ولا الى جانب الصواب في كل منها فيمل القارئ المنقصف قراءة كتبهم . اما الاستاذ عازار فانه لم يكتب في النقد الا بعد ان درس الموضوع دراسة المؤرخ المحقق . وان القارئ ليتعجب كيف استطاع المؤلف ان يهيء لنفسه هذا الاطلاع الغزير النادر مع الأخذ بأحسن ما قيل في النقد في الكتب العربية والاوروبية . وخلق بكل متأدب وقارئ للادب ان يدرس هذا الكتاب وان يتأمل ما جاء فيه من اقوال المتقدمين والمتأخرين . وهذا الكتاب خليق بأن يوسع ثقافة القارئ وان يجعله يشعر كما يشعر الملاح اذا عبر المحيط بمد ان كان لا يتعدى الخليجان والسواحل . وتوطئة الكتاب مكتوبة بلغة المصطلحات العصرية ولولا ذلك لحسبناه من تأليف كبار نقاد العرب المعينين بأقوال المتقدمين وهو قلمنا يذكر شاهداً او قولاً او قصة الاً ويذكر المرجع الذي يستطيع القارئ ان يرجع اليه للتثبت . والمؤلف مثال للنقاد المبدع الذي يصفه والذي يلم بمحاسن ما ينتقد ويعرضها على القارئ كي يستطيع ان ينفع بابداع الشعراء والكتاب وان يعرض اوجه النقد في الحل الثاني وان لا يُغلب نظرية يريد تطبيقها قسراً . وهذا الكتاب يعلم الناقد ايضاً ان لا يطيل من غير جدوى اطالة مملولة فقد كان يستطيع المؤلف ان يجعل حجم كتابه اضعاف ما اكتفى به من الحجم لغزارة مادته وتعدد نظراته وآرائه ولكنه أثر الابهاز على الاطالة المملة . ولا يجد القارئ نقصاً في الشرح مع ذلك الابهاز الا في التوطئة اذا كان القارئ غير مطلع على مذاهب الادب الاوربي ولكن هذا ليس بنقص لان عنوان الكتاب النقد في الادب العربي وما هذه التوطئة الا مقدمة وهي على ايجازها لم تترك رأياً لكاتب الا وعته . فاذا احسن قارئ بحاجة الى الاستزادة والافاضة في شرح المذاهب العديدة والآراء المختلفة التي استعرضها في التوطئة كان احساسه



بسبب حاجته الى الاستزادة من الادب الاوروبي نفسه وهذا لا يستطيع المؤلف ان يمد به .  
وعلى ان هذه الرغبة في الاستزادة دليل على ان الكتاب نفيس مشوق ممتع  
وقد يشعر القارئ في اثناء القراءة انه لا يوافق رأياً من آراء النقاد القدماء التي يستعرضها  
المؤلف ولكن هذا لا يطعن في ضرورة استعراضها لان الكتاب في تاريخ النقد في الأدب  
العربي والمؤلف يقابل بين الآراء المختلفة . ومن الواجب ان لا يهمل رأياً وان لا يغفل مذهباً  
لناقد مشهور . وقد أدى المؤلف الامانة من هذه الناحية وهو في هذا الاستعراض مؤرخ اكثر  
مما هو ناقد لما يستعرضه وان كان يلخص نقده احياناً لما يستعرض عند ذكره خلاصة حقائق  
تاريخ النقد بعد كل قول . وأرى الاستاذ قد كسر وزن بيت قيس بن الخطيم : —  
قضى الله حين صورها الخالق ألا تكنها السدف

فالشطر الاول مكسور . فلما ان يزيد كلمة ( لها ) بعد قضى واما ان يورده كما جاء في بعض  
الكتب ( أوصى بها ) وسقوط لها من الأغلاط المطبعية التي لم يستطع جصرها كلها عند تصحيح  
الخطأ . وكلمة ( الى ) في بيت بشار صفحة ١٥١ ينبغي أن تكون أبى ( أبى طَلَلُ بالجرع أن  
يَتَكَلَّم ) وكلمة ( لاقت ) في البيت السادس من قصيدة مطيع بن إياس صفحة ١٧١ ينبغي ان تكون  
( لا قَيْنَتْ ) وسقطت كلمة ( ميني ) في البيت التاسع من هذه القصيدة فانكسر الوزن وصحته  
وبرغمي أن اصبحت لا تراها العين ( ميني ) واصبحت لا تراني

وهذه اخطاء مطبعية هينة قليلة تقع في كل ما يطبع ويستطيع القارئ ان يظن لها . ونعود  
فنقول ان هذا كتاب نفيس جامع لمقاييس النقد عند الاوربيين في التوطئة ولما ييسره عند العرب  
في باقي الكتاب وقد تشابه الموضوعات في القسمين في بعض الفصول وإن اختلفت اساليب التعبير  
والاغراض . وقد أحسن المؤلف اختيار كلمة خلف الاحمر التي قدمها في أول الكتاب فهو  
كالصيرف في تلك الكلمة يدل على الصحيح والمزيف من الشعر

\*\*\*

### ملخص الكيمياء

يعرف قراء المقتطف الاستاذ حسن السلطان مدير ثانوية البصرة بما نشر له في المقتطف من  
مقالات علمية نفيسة منها خدمات العرب للكيمياء وسيرة العلامة فون لايبج وكذلك مقاله  
الطويل في الغدد الصم وتأثيرها في الجسم والخلق  
وقد أحققنا بكتاب صغير الحجم كبير القيمة من ناحية طالب الكيمياء لأنه حوى في  
صفحات لا تزيد على ١١٥ من القطع الصغير التعريفات الكيميائية واصناف العناصر وخواصها  
وأهم القواعد المعتمدة في الكيمياء الطبيعية . فهذه الخلاصة في حدود غرضها خير معوان للطلاب  
« على استذكار الكيمياء النظرية والمعدنية »



## الطبع والصنعة في الشعر

تأليف محمد المهياوي - الناشر مكتبة النهضة بمصر - الصفحات ٢٠٨ قطع وسط

الاستاذ محمد المهياوي مؤلف هذا الكتاب، كاتب بليغ وراوية لا ينضب لروايته معين، أنعم النظر في أدب العرب بحسٍّ صادق وفكر ثاقب فاستقامت له آراء ونظرات يجب أن تفوز من ادباء العصر بما هي جديرة به من العناية

ولعلَّ أجلَّ خدمةٍ اسداها المؤلف الى ادب هذا العصر، هي التنبيه الى وجوب الرجوع الى الاصول في فهم الادب وخاصة الشعر. ففي عصر كالعصر الذي نعيش فيه تنكث حشرات الحضارة وتعارض تيارات الاجتماع وتبأري اساليب الفكر والفن، فتؤخذ بما يبدو منها خاطفاً للبصر مستوقفاً للعناية بهرجه، فينصرف النظر عن الاصول الى الفروع. وما عنايتنا بما يطلق عليه اسم «مدارس الشعر» في العصر الحديث من «رمزية» و«تأثرية» و«قديم وجديد وغيرها إلا من هذا القليل فكتاب الاستاذ المهياوي يعود بنا الى القواعد الاصلية في طبيعة الشعر واساليبه. فهو بذلك يقيم ميزاناً صحيحاً في عهد اضطربت فيه الموازين

والاساس في رأيه مفرغ في ثلاث قواعد أوردها في الصفحة السابعة. ١ - كلما كان الشعر صادراً عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع او شعر الفطرة. ٢ - وكلما كان صادراً عن غير ذات نفسه فذلك هو شعر الصنعة او شعر الافعال. ٣ - والشاعر المطبوع هو الذي يفيض احساساً فيفيض احساسه شعراً. فاذا كان شعره فيض المصانعة على لسانه فهو الشاعر الصانع أي ان الشاعر المطبوع في الغزل «هو حامل الصباية والهوى وصاحب القلب الذائب والكبد المحترقة... فاذا هو نظم من أنفاسه شعراً رأيت على كل شطر جمرة من ناره، ووجدت في كل بيت مزقة من كبده...» وبهذا الحساب مجنون ليلي شاعر مطبوع، والشعر المروي عنه أصيل لا منحول ولا مقتعل. أما في ما عدا ذلك فليبق الخلاف في هل مجنون ليلي هو قيس بن الملوح او غيره وليستمر النزاع في ان قومه بنو عامر او هم قوم آخرون فليس في ذلك ما يبطل الحقيقة وهي ان لهذا المجنون وجوداً ملأ رحاب العشاق

وعلى هذا الاساس كذلك يعتبر الاستاذ المهياوي عمر بن أبي ربيعة المشهور انه شاعر غزل، شاعر صنعة لا شاعر طبع. «فهواه مباغته واقحام، وتشبيهه مخادعة واستهواء، وحبه ظل منسوخ وعرض زائل، وقلبه عصفور مستطار لا يقع على فنن حتى يبرحه الى آخر... والحلب في هذه الصورة... ليس هو الحب الذي تأنس اليه الفطرة فيصدقها الحديث وتصدقته، والتعبير عن مثل هذا الحب يحسنه لسان الصنعة حيث لا يحسنه لسان الطبع...»



وعلى ذلك يمضي الاستاذ الهياوي في تطبيق رأيه على ابواب الشعر وألوانه وقصائد الشعراء فيحكم في هل هي الى شعر الطبع أقرب او الى شعر الصنعة  
وفي هذا التطبيق يستمد من معين معرفته بأدب العرب ونوادره فيأتيك بالمثل بعد المثل ويسوق الرواية في اثر الرواية، فكأنك واقف ومواكب الشعر العربي تمر امامك وأنت تنظر اليها ، بسني المؤلف معتمداً على حكمه  
وليس ثمة ريب في ان هناك مراتب متفاوتة بين شعر الطبع الصافي وشعر الصنعة الخالص ، وفي الحكم على قصائد الشعراء ومكانها من هذه المنازل المتفاوتة بين الطرفين يختلف حكم النقاد وهذا الاختلاف لا بد منه ، لأن النقد ليس الاً نظراً الى قطعة فنية من خلال المزاج الخالص . فالاستاذ الهياوي يرى قول امرئ القيس « ألا ايها الليل الطويل ألا انجلي » من شعر الصنعة وانا أراه يعبر عما في ذات نفسي احياناً أبلغ تعبير ، فهو بهذا الحكم — وهو من اوصاف الطبع عند الاستاذ الهياوي — يبت من شعر الطبع الخالص  
والخلاصة أن الأستاذ الهياوي أخرج كتاباً جديراً بأعظم العناية سواء من ناحية الآراء المبثوثة فيه أو من ناحية أسلوبه العالي

### الطب النفسي : علمياً ودينياً<sup>(١)</sup>

تأليف الدكتور مرقس غريغوري — طبع ملكن بلندن — صفحاته ٤٩٥ — ثمنه ٢١ شلناً

جاءنا هذا السفر النفيس ومقتطف اغسطس مائل للطبع فكان لا بد — ونحن مقبلون على عطلة الصيف — من الإشارة اليه إشارة موجزة على ان نوفيّه حقّه بعد انعام النظر فيه . وهو كما يؤخذ من عنوانه بحث موضوع العلاقة بين العقل والجسد في حالي الصحة والمرض من الناحيتين العلمية والدينية

فدراسة العقل البشري دراسة علمية تطوّر حديث العهد ، وعلم النفس هو آخر علم انفصل من الفلسفة واستقل بذاته . ولا تزال نذكر يوماً في صيف سنة ١٩٢٤ وقف فيه الاستاذ وليم مك دوغل في قسم علم النفس بمجمع تقدم العلوم البريطاني . وكان ملتئماً بجامعة تورنتو بكندا — ليلقي محاضرة الراسة فاستهلها باعلان استقلال علم النفس عن سائر العلوم . ومع ذلك فقد تقدمت الدراسات النفسية تقدماً يسوغ للباحثين استخراج النتائج والاحكام العامة . ومن هذه الاحكام ما يتصل بفعل العقل او النفس في الشفاء



وليس ثمة ريب في ان للعقل تأثيراً في الجسم في حالي الصحة والمرض . وقد تبين ذلك زعماء الشعوب القديمة ، فاجتمع الطبيب والكاهن في رجل واحد . ولكن تقدم علم النفس في العصر الحديث ، يقتضي ان يكون الطبُّ النفسيُّ أو العقليُّ مستنداً من ناحية الى اساس الارتقاء الحديث في علوم الطب وعلم النفس ، مع انه بطبيعته لا بد ان يتعدى — من الناحية الاخرى — حدود هذه العلوم ، مستضيئاً في الفلسفة والدين من انوار

هذا هو الاساس الذي بنى عليه الدكتور غريغوري كتابه ، موفياً البحث حقاً من النواحي التاريخية والنظرية والتطبيقية . وأنت اذ تطالع موضوعات فصوله الاثني عشر — الصحة والمرض ، الشفاء السحري قبل العصر المسيحي ، العلاج المسيحي ، الكنيسة والعلاج الروحي ، تطور الطب النفسي ، تشريح الشخصية البشرية ، نطاق الطب النفسي ، قواعد التحليل والاعتراف ، التنويم المغنطيسي العلمي والوهمي ، الايحاء وعامل الايمان ، فلسفة مركبة للحياة ، من هو الكفو للنهوض بهذه المهمة — تعلم ان الدكتور غريغوري حقق قول استاذة العلامة الدكتور وليم براون مدير معهد السيكولوجيا التجريبية بجامعة اكسفورد حيث قال في المقدمة « والدكتور غريغوري كتب كتابه من هذه الناحية الواسعة فوفى كل وجه من وجوه الموضوع حقاً »  
وحسبنا هذه الاشارة الوجيزة الآن على ان نعود الى تلخيص فكرة الكتاب تلخيصاً اوفى في عدد تالٍ

### النواسي

تأليف زكي المحاسني — استاذ العربية في تجهيز دمشق ١٧٨ صفحة — منشورات المكتبة العمومية بدمشق

لم يفز « ابو نواس » قبل الآن بما هو جدير به من عناية اساتذة الأدب وطلابه . ولعل ذلك مرده الى ما اشتهر به من المحجون والحلاعة . وليس هذا بالغريب . فقد كان كاتب هذه السطور يجد امتعاضاً من مدرسيه — وهو طالب — عند ما يشاهدونه متباطئاً كتاباً من مؤلفات اسكار وايلد ، وهو كاتب وشاعر بينه وبين النواسي وجوه شبه على ما تبين الاستاذ المحاسني . ولكن اذا كان ادباؤنا ومتأدبونا يقرأون الآن بغير حرج لرامبو وبودلير ووايلد ومن كان على شاكلتهم ويكتبون عنهم وينقلون بعض شعرهم فالناحية الخلقية في حياة « ابي نواس » يجب ألا تقوم حائلاً دون دراسته من ناحية عبقرية الشعرية ووضعه في المنزلة التي تليق به بين كبار شعراء العربية ، ثم بين كبار شعراء العالم في الحمرات . فهذا شاعرٌ بذَّ شعراء العالم في ناحية هي الصق ما تكون بقول الشعر ، تتقدم به في من تقدم بهم من فحول الشعر العربي ، الى ساحة الشعر العالمي والسر في إبداع ابي نواس ، تركيبة الحسِّي ونشأته في طفولته وحدثاته ، ثم صدقه في



التعبير عن ذات نفسه كما انعكست على صفحتها الصافية احوال العصر الذي عاش فيه . وفي الكلام على أجود شعره من حيث هو تجديد في شعر العرب ، متكا لفهم التجديد في عصرنا على وجهه الصحيح . ( فقد وجد أبو نواس في فاحة عصر جديد من عهد بني العباس وكانت اسباب الحياة تختلف عن مثلها في عصر بني أمية وفي الجاهلية . انه عصر فتح العين على كل جديد في الفكر والحس .... النهضة العلمية .. وتمازج الثقافة الفارسية بالثقافة العربية الاموية ... الترف والبسطة في اللذات وامتلاك الجواري ..... فانا اذا قرأ خريات النواصي اتمثل ترف بغداد ومجونها ولذاتها في لياليها فأسف لهذا الانحطاط الخلق . ومن يدري ربما كانت الليالي في بغداد أيام أبي نواس بمنزلة ليالي مونارناس ومونارتر في باريس في هذا العصر الذي نعيش فيه ) من الصفحات ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ من كتاب النواصي

فسر التجديد في شعر أبي نواس انه لبي داعي النفس وداعي العصر ، فتنبك جادة التقليد لفحول الشعراء السابقين ، وحين أهمل هذين الداعيين كقوله في الرثاء والمدح سقط شعره . فلا تعد أقواله في هذا الباب في جيد شعره ، بل في الوسع اهمالها بغير ان يضير ذلك مكاتته بين كبار شعراء العربية . وهذا يبين لنا ان التفريق بين القديم والجديد تفريق مصطنع ، وليس هناك الا مقياس أساسي واحد وهو مقياس « الصدق » و « الاجادة » في التعبير سواء أفي عصور الاسلام الاولى قيل الشعر أم في القرن العشرين

استهل الأستاذ المحاسني كتابه استهلالاً قصصياً على نحو ما فعل موروى مثلاً في ترجمته القصصية حياة شلي في كتابه آريل ، ولكنه عدل عن ذلك النحو في الفصل الرابع ، إذ أخذ نواحي حياة أبي نواس وشعره ناحية ناحية فقال في كل منها ما بدا له مستخرجاً الرأي من حياة الرجل وحياة عصره ومنطوق شعره ، آناً يستشهد بالشعر النواصي وآناً بأقوال كبار النقدة من أدباء العرب وآناً يقيم الموازنة بين حوادث ذلك العصر وما يقابلها في أوربا في العصور المتأخرة من آرائه التي وقف عليها فصول « الايمان » و « الزهد » و « التوبة » ان النواصي كان مؤمناً بالله ، على الرغم مما يبدو مناقضاً ذلك في آيات له ، وزاهداً في أخريات أيامه مع ما اشتهر به من المحجون والفسق . وتفسيره لذلك « وحين امتلأ من صابات الوجود انقلب الى الضد ففكر بالمعبود . فان لم يكن ذلك للتقوى فهو رجوع الى التقيض بعد الفراغ من المزيد . وقد يتفق مثل هذا لكثير من الخلق فاذا انتهوا من الفسوق انقلبوا الى ضدها فصاروا نساكاً مصلين لأنهم ملوا حياة الجسد فمالوا الى حياة الروح .... واذا كان ( أبو نواس ) إمام الخلقاء ففيم تنكر عليه هذا الانقلاب النفسي الذي بدا له في أعقاب عمره فأحب ان يدخل في دور التقوى والنسك من باب التوبة والعفو



« يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر »

« أكبر الأشياء عن أصغر عفو الله أصغر »

وله عدا هذا في شعره شعر كثير جيد في الوعظ . ولكنه على كل حال ليس أجود شعره . ولعل خير قوله وهو محتضر « دب في الفناء سفلاً وعلواً » الخ . وليس يتسع المقام للتبسط في نواح مختلفة من حياة أبي نواس وشعره كما جلاها الأستاذ المحاسني ولكن يكفي ان نقول انه رسم صورة لابي نواس الرجل والشاعر في اطار من حياة عصره ، وعلى الرغم مما في حياة الرجل وعصره من الفحش والخلاعة لا نجد كلمة نائية واحدة في هذا الكتاب

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟

تأليف الامير شكيب ارسلان — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه — ١٦٨ ص قطع المقتطف —  
الطبعة الثالثة — القاهرة ١٩٣٩

اشهر عطوفه الأمير شكيب ارسلان بعلومه ومعارفه الواسعة ولا سيما ما يتعلق منها بتاريخ الاسلام والمسلمين وسر تقدمهم القديم وتأخرهم الحديث . ولقد بعثت شهرته هذه حضرة الاستاذ الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مہراجا جزيرة سمبس برنيو ( جاوى ) على أن يكتب الى المرحوم السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار يقترح على عطوفة المجاهد الكبير امير البيان المشهور أن يكتب للمنار مقالا بقلمه السيل في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر واسباب قوة الافرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة فسرعان ما لبى هذا الطلب بمقالات نفيسة كان لها اعظم دوي في العالم مما جعل الجمهور يطلب نشرها في كتاب على حدة لسهولة الاستفادة منها فلبى الامير الطلب وطبع الكتاب مرتين ففدت نسخه بسرعة . وها هو ذا عطوفه يعيد نشره للمرة الثالثة في حلة قشبية وزيادات مستحدثة . ولقد سرد حفظه الله ما كان عليه المسلمون لأولون من عزة وسلطان وعلل ذلك وما صاروا اليه من تفكك وتخاذل وضعف وعلل ذلك ايضاً . ومن أظهر ما علل به الامير أن الأولين استرخصوا انفسهم في سبيل نصرة الدين وأنفقوا اموالهم فدانته لهم الدنيا . وأما اليوم فقد قبضوا ايديهم وضوا بأرواحهم فخرسوا كل شيء . وكتب الامير كتابه هذا بعد رحلة رحلها في اسبانيا وقف فيها على مشاهد آثار حضارة العرب في الاندلس والمغرب الاقصى وما انقلبت اليه حالة العرب والبربر اليوم . ثم كتب كتابه منفصلاً بهذه المؤثرات فكان آية من آيات بلاغته وحجة من حجج حكمته لعلها انفع ما تفجر من ينبوع غيرته وانبعس من معين خبرته فسال من انبوب يراعيه — كما قال فقيد الاسلام والعرب السيد محمد رشيد رضا وختم الكتاب بخلاصة وافية لاجنائه كلها منادياً المسلمين بان ينهضوا بمثل ما نهض به غيرهم . ومن النسخة خمسة قروش وهو يباع في مكتبة عيسى البابي الحلبي بجوار سيدنا الحسين بمصر



## سيف الدولة وعصر الحمدانيين

تأليف الاستاذ سامي الكيالي — ٢٣٦ صفحة من قطع المقتطف  
المطبعة الحديثة في حلب

لا يذكر اسم سيف الدولة إلا ويذكر معه أزهى عصور الأدب العربي، ولا يذكر أبطال العروبة الذين جاهدوا في بعث القومية العربية إلا ويبرز اسم سيف الدولة مشرقاً زاهياً، ولا تذكر مدينة حلب الشهباء إلا وتندفع الذكريات عن عهد الحمدانيين الزاهر فيها، فلقد كانت مدينة حلب على عهد عاهلها العظيم خليفة عامرة تفيض على العالم العربي الادب المصنفي الذي خلد على مر الزمان. وكانت مجالس سيف الدولة تجمع فطاحل الادب وأساطينه، ومن الخجل ان يخدم هذا الرجل العظيم العروبة وأدبها وتمر الف سنة ولا يتقدم أديب من أدباء العربية فيضع لهذا الرجل دراسة شاملة ينما يحظى رجال عصره من الادباء بالدراسات الطويلة والبحوث المستوعبة ويكون سيف الدولة هامشاً على حياتهم

وكأنما الرسالة التي يحملها الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الغراء الى موطنه حلب مقرر ملك سيف الدولة لم تزل به تقاضاه حق الوفاء لهذا العاهل حتى استجاب اليها، وهو الاديب المثقف صاحب الحركة الادبية المزدهرة في الشهباء وباعثها والثابت في جهادها فأخرج دراسته الممتعة وقد رسمها صورة صادقة لشخصية الرجل وعصره تناول فيها أصل الحمدانيين ونشأتهم والاحداث التي مرت بهم الى ظهور سيف الدولة الذي كان مثالي النظر في خدمة الخلفاء حتى استطاع بفكره الثاقب اقامة دولته. وهنا أفرد المؤلف بحثاً خرج منه الى مطابقة دولة الحمدانيين لقانونية الاصطلاح الدولي المعروف. ثم وضع بحثاً تاريخياً للمدينة التي جعلها سيف الدولة مقر حكمه انتقل منه الى دخول سيف الدولة هذه المدينة

وعقد بعد ذلك فصلاً تناول فيه حروب هذا الرجل وغزواته، واقتضى السياق التاريخي منه ان يرسم صوراً متتابعة للابطال البرنطين الذي ظل يصارعهم سيف الدولة ويصارعونه والذي انشأ دولته على تخوم امبراطوريتهم ليحافظ على الكيان العربي ضد مطامع هذه الامبراطورية القوية وانتهى منه الى فصل في آخر ايام سيف الدولة ففصل عن الحمدانيين ويني بويه

ولما كان عصر هذا الرجل من اواخر العصور بالشخصيات الادبية البارزة فقد رأى المؤلف نفسه مضطراً الى ان يتناول بعض هذه الشخصيات بشيء من التفصيل فعقد فصلين عن أبرز شخصيتين لازمتا عاهل حلب وهما الشاعران المتنبي وابو فراس الحمداني

وإنا اذا نختتم كلمتنا السريعة عن كتابه بالاعجاب نرجو ان يتاح له من الوقت متسع لان يتناول في القريب بقية الشخصيات من مفكري ذلك العصر وأدبائه بالدراسة الشاملة على نحو ما قام به حسن كامل الصيرفي



## الخلافة في مذهب رشيد رضا

٢٨٦ ص . القطع الكبير — بيروت ١٩٣٨

Le Califat dans la doctrine de Rashid Rida, par Henri Laoust  
Mémoires de l'Institut Français de Damas. Beyrouth 1938

هذا الكتاب الفرنسي ترجمة « الخلافة او الامامة العظمى » للسيد رشيد رضا، ترجمه المستشرق هنري لاوست وعلق عليه وأضاف إليه بعض الفوائد . والغرض من نقل كتاب صاحب المنار ان يطلع الجمهور الفرنسي المهتم بالتحول الفكري في الشرق الاسلامي على آراء رشيد رضا البعيدة المرمى في الاسلام والجدال عنه

ومزية الترجمة ان صاحبها أثبت المصادر التي نقل عنها رشيد رضا او عول عليها ، ثم أشار الى وجوه التقويم الذي كان يقصد صاحب المنار اليها والتي استتبت الآن في العرف وفي رأي المترجم ان رشيد رضا، وإن أقام مذهبه على المأثور عن السلف لا يقف عند النقل بل هو متكلم وأصولي وفقه ولا سيما محدث . وأعم ما كتب في فن الحديث مقدمته لكتاب جمال الدين القاسمي ، وعنوانه : قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث . واعتماد رشيد رضا في تخريج الأحاديث على صحيح البخاري خاصة ، وهو لذلك كثيراً ما يرجع الى شرحه المتأخر لابن حجر العسقلاني : « فتح الباري في شرح البخاري » . ويعتمد ايضاً على صحيح مسلم وشرحه للنووي ومما ذكره المترجم في تعليقاته ان صاحب المنار صرف الى اتحاد الامة الاسلامية اكبر همه ، وهي لا تكون الا من طريق التماسك الاجتماعي والثقافي والروحاني على أساس المساواة المطلقة . وعلى ذلك ان الجامعة الاسلامية ان هي الا مودة وصداقة مغنوية وأخوة دينية تجري بين الامم والجماعات المسلمة في مختلف البلدان

ب. ف

## عاصفة فوق مصر

قصة اجتماعية بقلم عصام الدين حفي ناصف — ١٢٩ صفحة — مطبعة فتي النيل مصر

هي قصة مصرية في جوها وأشخاصها — كما يقول مؤلفها الاستاذ عصام الدين — عالمية في مشاكلها وفلسفتها ، وقعت حوادثها أبان الازمة الاقتصادية التي خيمت على مصر والعالم في الاشهر الاخيرة من سنة ١٩٢٩ ولم تخف وطأتها قليلاً في سنة ١٩٣٧ الا ريثما اتصلت بها أزمة جديدة ما تزال جائمة فوق العالم في انتظار الحرب . وقد دفعه الى وضعه دراسته في اثناء اقامته في الريف للدوافع الحقيقية لحوادث قتل نزار الزراعات تلك الحوادث التي هي وليدة فوضى اجتماعية لا سبيل الى انهاءها بغير انهاء أسبابها



# فهرس الجزء الثالث

من المجلد الخامس والتسعين

السفر في حرارة النجوم	٢٦١
الدثار الكهربائي المحيط بجو الارض	٢٦٩
فلسفة سياسي أو سياسة فيلسوف : لعلي ادهم	٢٧٣
يعقوب صروف و «الاشياء الباقية» في الحياة . الذكرى الثانية عشرة لوفاته	٢٧٨
كلمات للدكتور يعقوب صروف : فضائل الحرب والسلام	٢٨٣
المثل العليا في الشعر : لعبد الرحمن شكري	٢٨٤
الجلجلة في الكلام واستخدام اليد اليسرى : للآنسة زينب الحكيم	٢٩١
طائرات المستقبل — اتجاه جديد في صناعتها	٢٩٥
محمد شاكر : لأحمد محمد شاكر	٣٠٠
البن والقهوة بين التاريخ والعلم	٣٠٨
خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم	٣١٢
ان تؤمني (قصيدة) للدكتور ابراهيم ناجي	٣٢٨
الاثمار وقيمتها الغذائية : للدكتور عبده رزق	٣٢٩
خامات الصناعة والحرب وأعواضاها : بحث اقتصادي صناعي مقابل	٣٣٣
غنى الجار : (قصيدة) لعبد الحميد الديب	٣٤١
فليكس فارس : لصديق شديوب	٣٤٢
النقد الادبي : لجيرائيل جبور	٣٤٦
الانزيماات : لرضوان محمد رضوان	٣٥٢
باب المراسلة والمناظرة * حول مباحث عربية : للدكتور بشر فارس . حول مقال التعقيم : لعبد الحافظ نصار . ذيل : لمقال الدكتور بشر	٣٥٧
باب الصناعة * جولة في مصنع مصر للازرار . تنشيط الانتاج في مصر	٣٧٠
باب الاخبار العالمية * اقتراب المربخ والمشتري وزحل . كيميائي مصري وزوجته . هافلوك الس. التسمم بالكدميوم . السلفانيلازيد والتيفود . مر الشباب الدائم . حكمة المناظرة . عجائب معرض نيويورك العالمي . الجان الكهربائية . الاشعة الكونية . البصاصة الكهربائية مكتبة المقتطف * نخب النخائر في أحوال الجواهر . نقد الشعر . ملخص الكيمياء . الطبع والصناعة في الشعر . الطب النفسي علمياً وأدياً . النوماسي . لماذا تاخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم . سيف الدولة وعصر الحمدانيين . الخلافة في مذهب رشيد رضا . عاصفة فوق مصر	٣٧٤
	٣٨٢